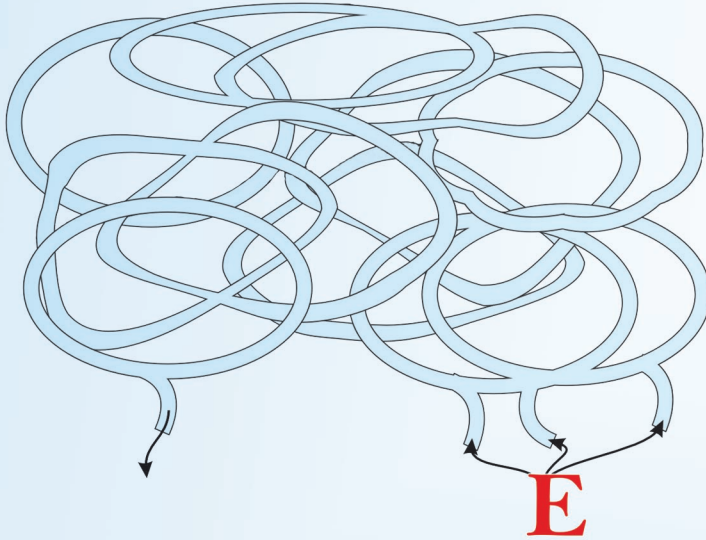


عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة)

إعجاز القرآن العزيز للسنة الإنجليزية



عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة)

إعجاز القرآن العزيز لغة الإنجليز

الطبعة الأولى 1429 هـ - 2008 م.

فهرسة المجلس الوطنى للإعلام - أبو ظبى.
المؤلف: عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة).
كتاب: إعجاز القرآن العزيز للغة الإنجليز.
مقاس: 300 ص، 24 سم.
رقم الإيداع: 65 - 2008 م.
رقم المطبوع: 1/100122/18323 أبو ظبى.
1- دراسات إسلامية.
2- إعجاز القرآن الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قال تعالى:

﴿الرَّكِيبُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ
ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

هود: 1.

صدق الله العظيم.

إهداء

إلى المرّبي الكبير والعارف النحرير الذي أنهلنا
عشق الحقيقة، وعللنا بهمة السعى لبثها:

سیدی الشیخ / أحمد ابن

سیدی الشیخ / دفع الله الصائم دیمه.

كلمة شكر

الشكر أستهلته برفيقة دربي - أم محمد - وهي تقف بجاني، تشاطرنى وعشاء رحلة الكتابة.

وعميق الشكر لشقيقي الأكبر البروفيسور / على محمد عبد الماجد - مدير المركز القومي للبحوث بالخرطوم سابقاً - والذي كان تشجيعه المعنوي إياي أعظم حافز على مواصلة الكتابة حتى رؤية هذا العمل النور.

وتمت دوحة الشكر لتظل الابن هيثم ميرغني حمد النيل لقيامه بتصميم الغلاف. وجزيل الشكر لكل من أسهم في اخراج هذا الكتاب. والشكر سلفاً للقارئ الذي نأمل فيه أن يحفزنا بنقده وملاحظاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على حبيبنا ونبينا وسيدنا محمد الشفيح المرتضى، وعلى آله أهل الوداد والرجاء، وعلى صحابته الذين لنصرة دينه قد بذلوا الأرواح والمهج، وارض اللهم عن أسيادنا أهل خرقة المقام والدرجة، صلاة ورضا تجعلنا بهما ممن فاز ونجا.

أما بعد، فقد بدأت فكرة هذا الكتاب بأن يكون بحثاً يقدم منى لوزارة التربية والتعليم بالسودان لنيل الدرجة الثالثة فى سلم الترقى فى الخدمة المدنية⁽¹⁾، ولا سيما أنه يتيح لى فرصة الخروج من الإطار التقليدى المتمثل فى تدريسى اللغة الإنجليزية بالمرحلة الثانوية. ولكن نسبة إلى ضيق الوقت قدمت للوزارة بحثاً آخر⁽²⁾، ثم رأيت أن أخرج هذا البحث فى كتاب تعم فائدته الأوساط الأكاديمية والأدبية على السواء، وهذا بالطبع يحتاج إلى وقت أطول مما يتطلبه تقديم البحث إلى وزارة التربية والتعليم.

(1) درجت وزارة التربية والتعليم فى السودان أن تطلب من الموظف تقديم بحث يمت إلى مجال تخصصه بصله، وذلك لكى يرقى هذا الموظف إلى درجة معينة فى السلم الوظيفى، وهذا تقليد حميد يشهد هم الموظفين ويربطهم بمستجدات العلوم، كل فى مجاله .

(2) قدمت للوزارة بدلاً عن هذا الكتاب دراسة تحليلية لرواية الكاتب الإنجليزي جورج أورويل: Nineteen Eighty-Four، كتبت هذه الدراسة باللغة الإنجليزية وسميتها:

(A View on George Orwell 's Nineteen Eighty-Four)

أى (نظرة فى كتاب جورج أورويل: Nineteen Eighty-Four) والذى يحكى فيه عن تنبؤاته لعام 1984م، وكان قد كتبه عام 1948م، أى بعد الحرب العالمية الثانية.

1- الموضوع: يتناول الكتاب - كما يوحي بذلك اسمه - فرضية أن القرآن الكريم قد أعجز اللغة الإنجليزية عن الإتيان بمثله، تماماً كما أعجز العرب من قبل.

2- الأهداف: يعطى الكتاب فكرة عامة عن جماليات كل من اللغتين - العربية والإنجليزية. ويقدر ما يبرز الكتاب جوانب تفوق اللغة العربية فإنه يتعرض لجوانب قصور اللغة الإنجليزية كدليل على إعجاز القرآن الكريم للغة الإنجليزية.

3- الخطوة: يشكل القرآن الكريم بآياته الملامح الأساسية لموضوع الكتاب وخطته. وبما أن القرآن الكريم قد أنزل باللغة البشرية فقد جاء التمهيد في الباب الأول عن ارتباط اللغة عموماً بالتفكير البشرى، وبهذا يقف القارئ على الجوانب المشتركة والمتباينة في اللغتين - العربية والإنجليزية؛ ثم كان الباب الثاني يتحدث عن بذور الإيمان بالله تعالى الكامنة في اللغات الإنسانية متخذين من اللغة العربية واللغة الإنجليزية مثالين لهذه اللغات، وذلك لنبرهن على أن اللغة سواء كانت تفكيراً بشرياً أم إيحائاً ربايياً فهي تقود للإيمان بالله عز وجل، وذلك لما في داخلها من دلالات الكلمات الإيمانية؛ أما الباب الثالث فقد تناولنا فيه الدلالات الفكرية في اللغة العربية، وهنا يتجلى لنا جوانب تفوق اللغة العربية، فلا تشاركها الإنجليزية هذا التفوق ولا تضارع التعبير العربي الدقيق والمبين عن معاني القرآن الكريم. والباب الرابع أبرزنا فيه أثر الإسلام على اللغة العربية كإشارة لارتباط هذه اللغة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الأمر الذي حفظها بالقرآن الكريم، وأبان القراء الكريم بها. أما الباب الخامس فقد تطرق إلى بلاغة اللغة الإنجليزية وجمالياتها، وهنا قد حفظنا للغة الإنجليزية رقيها واعترفنا لها بمقدرتها البلاغية مما يؤهلها للتحدي القرآني - فهل صمدت لهذا التحدي؟ فالكتاب وضع لتوفير هذه الإجابة. ثم تناول الباب السادس بعض جوانب القصور البلاغي في اللغة الإنجليزية كدليل على عدم مضاهاتها للغة القرآن الكريم - العربية. ثم حاولنا في الباب السابع تأكيد حقيقة: "وما القرآن الكريم بقول شاعر"، مبينين أنماط الشعر العربي

والإنجليزية وقوانينهما في محاولة منا لإثبات عدم مشابهة القرآن الكريم للشعر في كلتا اللغتين. وفي الباب الثامن ختمنا الكتاب بدراسة تحليلية لبعض نصوص القرآن الكريم في اللغتين العربية والإنجليزية لنبرهن عملياً على فرضيتنا بإعجاز القرآن العزيز للغة الإنجليز. والكتاب كما هو واضح من أهدافه يتناول الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، متجاهلين جوانب الإعجاز العلمي والتاريخي والخبري والأسرار الكونية وغيرها من وجوه الإعجاز القرآني، بالرغم من يقيننا أن المثلية في الآية ﴿فَأَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾⁽¹⁾ تعني التماثل في كل الوجوه وليس في اللغة فقط، غير أننا أخذنا الجانب اللغوي فحسب.

وفي الأبواب السبعة الأولى حاولنا بقدر المستطاع أن نعطي نماذج من آيات القرآن الكريم تبين - ولو بياناً يسيراً - ما نذكره عن اللغة الإنجليزية بحسب ما يتحدث الباب المعين، وذلك خشية التطويل على القارئ وتشتيت ذهنه بكثرة الأمثلة. أما في الباب الثامن فقد أسهنا، على نحو ما، في الأمثلة من القرآن الكريم لأنه يعتبر الباب الذي يلخص كل ما قلناه في الأبواب السابقة من مقارنات بين العربية والإنجليزية.

وقد انتهجت في كتابي هذا خطة قوامها الدراسة الوصفية التحليلية لجوانب اللغة المختلفة، بالإضافة للخطة التاريخية المتمثلة في إيراد بعض التطور والتغيير الإيجابي الذي لحق اللسان العربي جراء ارتباطه بالإسلام، وبعض الأصول التاريخية لبعض الكلمات العربية والإنجليزية (English Etymology). أما من ناحية اللغة والأمثلة فقد أخذت بعضها من كتاب المنهج المدرسي الإنجليزي بالمرحلة الثانوية بالسودان: (Spine Series) وهدفت من ذلك إلى لفت انتباه أبنائى وبنائى الطلاب والطالبات إلى أن كتابهم الإنجليزي يحتوى القدر الكثير من جماليات اللغة الإنجليزية وأسلوبها الأدبي الرفيع للقارئ الناقد المتذوق، وذلك شحذاً لهمم الطلاب واستنهاضاً لها كي تتذوق اللغة، ولا تتهيبها.

(1) البقرة : 23 .

4- الصعوبات التي جابهتني:

أ) إن الحديث والكتابة عن القرآن الكريم وعرة الدروب، خطرة المزالق حتى للعالم ذى الباع الطويل في هذا الشأن؛ فكيف بقاصر الرأى مثلى؟

ب) إن أشد ما أزعجنى هو قلة المراجع ولاسيما فيما يتعلق بالجانب الإنجليزي المقارن، حيث أننى لم أعثر على دراسة تحليلية باللغة الإنجليزية لنصوص القرآن الكريم تتناول وجه الإعجاز اللغوى. فإن كل ما صادفته في هذا الخصوص هو مجرد ترجمة تفسيرية لمعاني آيات القرآن الكريم، تلك الترجمة التي جاءت بأخطاء نؤمنا بها في ثنايا هذا الكتاب.

إن هيبة الموضوع وطرافته مع قلة مصادر ومراجع المعرفة في هذا الشأن كادت أن تطيح بعزى لولا يقينى بأنها دراسة طريفة وجديرة بالنشر. فقد قصدت أن أطرق نوعاً من الدراسة عن إعجاز القرآن الكريم لم أجد مثلها في اللغات الأخرى غير العربية. فالذين تحدثوا عن إعجاز القرآن الكريم تناولوا إعجازه للعرب ولغتهم. ولكن ما كتب باللغات الأجنبية لم يتجاوز مجرد الترجمات لمعاني القرآن الكريم في تلك اللغات. أما عن إعجاز القرآن الكريم لهذه اللغات الأجنبية فلم أقف على دراسة له كالتى قمت بها في هذا الكتاب. ولهذا تجمى دراستى هذه - والله الحمد والمنة - جديدة وطريفة في مادتها وفي نهجها. وإنى لأرجو لهذا العمل القبول من المولى الكريم وتمام النفع للقارئ.

وعلى الله قصد السبيل.

عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة)

الجمعة 14 / رمضان / 1427 هـ الموافق 5 / أكتوبر / 2006 م.

قال تعالى:

﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا
وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من
يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار﴾
البقرة: 200، 201.

الباب الأول:

إرتباط اللغة بالتفكير

الباب الأول: إرتباط اللغة بالتفكير

يعرّف بعض علماء الاجتماع الإنسان بأنه صانع الآلة، ويشيرون إلى أن من أقيم الآلات التي استطاع الإنسان أن يصنعها على مدار التاريخ هي اللغة، والتي تعتبر آلة (تواصل **contact / communication**). هذا القول يؤخذ به على زعم أن اللغة مواضعة بشرية وصناعة إنسانية. ولكن حتى إذا سلمنا بأن اختلاف اللغات والألسن آية من آيات الله عز وجل - وهذا هو القول الحق الذي يمتري فيه بعض العلماء - فإننا لا ننكر إعمال اليد البشرية بالتهذيب والتشذيب كما تشذب الأظافر؛ وكما لا يعد صبغ الشعر خلقاً له من جديد، وإنما هو مجرد إدخال اليد البشرية في عملية تجميل الخلق - من باب السعي والإعمار الذي من أجله نُشر الجنس البشرى على ظهر الأرض.

قلنا إن اللغة تعتبر آلة للاتصال البشرى. وعملية الاتصال والتواصل هذه يقصد بها نقل معاني الأفكار والأحاسيس في شكل (رسلة **message**) (لغوية **language**) من (المرسل **coder**) إلى (المستقبل **decoder**) وذلك بهدف التأثير على الآخرين في الرأى والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد.

عندما تحدث الإمام اللغوى عبد القاهر الجرجاني (400هـ / 1009م - 471هـ / 1078م) عن مفهوم الفصاحة والبلاغة فقد أشار إلى حقيقة هامة هي أنه لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض. أى رفض الجرجاني إبعاد العنصر اللغوى من البنية وعزله عنها، والنظر إليه من خلال هذه العزلة. وقال في هذا المعنى: "هذا ما ينبغي للعاقل أن يجعله على ذكر منه أبداً، وأن يعلم أن ليس لنا، إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة، مع معاني الكلم المفردة شغل، ولا هي منا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب"⁽¹⁾. كما أنه لا بد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي

(1) الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، ص 61.

يقتضيه العقل. وكذلك أكد الجرجاني أن معاني النحو هي المعاني ذات الدلالات العقلية، وأن المهم هو معرفة مدلولات النحو وليس معاني العبارات أنفسها. فقال: "إن أردت أن ترى ذلك فاعمد إلى أى كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شئ من معاني النحو فيها، ففى:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

قل الآتى:

من نبك قفا حبيب وذكرى منزل

فانظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟⁽¹⁾

فترتيب الألفاظ فى الجملة الواحدة يغير المعنى. فقولنا: "ما كل ما تفعل تُحمد عليه" يعنى أنك لا تُحمد على كل فعل تقوم به، ولكنك تُحمد على بعضه، أما قولنا: "كل ما تفعل لا تُحمد عليه"، يعنى أنك مهما تفعل لا تُحمد على شئ البتة.

إن الأعرابى حين سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله) - بنصب كلمة (رسول)، أنكر الأعرابى وقال: صنع ماذا؟ أى طلب الأعرابى ما يجعل خيراً مرفوعاً للناسخ "أن"، إذ أصبح (رسول) - بالفتح - اسماً لها باعتبار (محمداً) اسم (أن) و (رسول الله) بدلاً عن (محمداً)، فتأخذ إعراب المبدل عنه.

وقد التقط فكرة النظم والإعراب فيما بعد علماء اللغة الغربيون، فها هم يشيرون إلى تباين المعنى فى نظمين مختلفين لجملة واحدة⁽²⁾:

a) The dog chased the cat .

⁽¹⁾ المصدر السابق، ص 280. إن دراسة الألفاظ من واقع وجودها فى نصوصها تكلم عنها الجرجاني فى القرن الخامس الهجرى، ويتحدث عنها الآن (فى القرن العشرين) علماء الإنجليز تحت عنوان: (الدلالة القرينية contextualization).

⁽²⁾ Radford (Andrew) & Others: Linguistics , p 2.

b) Cat the dog chased the.

فالجملّة الأولى الإنجليزيّة - عكس الثانيّة - تخضع لقواعد (التركيب النحوي syntax) السليم الذي يعطي معنىً كاملاً.

هكذا يتضح لنا معنى القول الشائع عند علماء اللغة أن: "الإعراب هو فرع المعنى". فترتيب الكلام والعبارات حسب ترتيب الأفكار أمران متلازمان؛ فبقدر جودة الصياغة اللغوية يكون وضوح الفكرة، بينما الأفكار الغامضة تتمرد جمل اللغة وتراكيبها على خدمتها.

ومما يدل أيضاً على ارتباط اللغة بالتفكير البشري ما نجده من اختلافات في اللغات تبعاً لاختلاف التفكير؛ أو ما نراه من تباين الأفكار والآراء والأحاسيس والمعتقدات تبعاً لاختلاف اللغات. إذاً فالعلاقة بين اللغة والتفكير (علاقة تبادلية reciprocal relationship) يؤثر فيها كل من أحدهما على الآخر. يقول الدكتور ميشال زكريا: "كل من يتعلم لغة مختلفة ينظر إلى العالم بصورة مختلفة"⁽¹⁾. وكثيراً ما كان أستاذنا للغة الإنجليزيّة في المدرسة ينصحنا بأن نفكر باللغة الإنجليزيّة عندما نتكلم في حصته أو نكتب موضوعاً في (الإنشاء أو التعبير composition). وسر هذا النصح التربوي يكمن في اختلاف التفكير الذي ينعكس على اللغة. فالإنجليزي لديهم ستة عشر زمناً للفعل تندرج في الماضي، المضارع والمستقبل. ولكل واحد من هذه الأزمنة الثلاثة أزمان فرعية كثيرة. وهذه التراكيب الزمنية لا نجد مثيلاً لها يطابقها في اللغة العربيّة. ولهذا فكثيراً ما تجع الترجمة العربيّة لهذه الأزمنة الإنجليزيّة غير دقيقة، وإلاّ فقل لي ماذا تعني للعربي عبارة: (مضارع بسيط) التي يقابل بها أهل اللغة العربيّة التعبير الإنجليزي: (present simple)؟ وهل في اللغة العربيّة مضارع بسيط، ومضارع تام أو مكتمل: (present perfect)؟ فكل ما تم أو اكتمل في اللغة العربيّة فهو "ماضي past"!

⁽¹⁾ زكريا (دكتور ميشال): الألسنية - علم اللغة الحديث - المبادئ والأعلام، ص 45.

وفي مجال هذا الاختلاف اللغوي الذي مرده إلى التباين في التفكير يحضرننا المثال الذي أورده الدكتور رضوان القضماني حيث يقول: (إننا نقيس الزمن بالأيام والسنين، أى بأسماء تدل على أزمان، وهذا ما لا يستطيع الهندي الأحمر تصوره، إذ أن كل اسم عنده لا بد من أن يرتبط بشئ مادي يستطيع رؤيته أو لمسه، أى أنه يرتبط بأجسام فيزيائية، فبدل أن يقول الهندي: "مرّ على الحادثة يومان" يقول: "تشرق الشمس للمرة الثالثة بعد الحادثة"⁽¹⁾. إنه في السلوك البشري يكون النظر قبل العمل أى أن ظاهر ما يحدث إنما هو ترجمة لما كان قد سبق وجوده في الباطن، فإذا اعتبرنا اللغة هي الجانب الظاهر للتفكير الباطن في دواخل الفرد - لأن بها يتم إظهار هذه الفكرة المعتملة في الباطن - فإن لعلم النفس الصوفي تحليلاً يبيّن هذا الرأي. فعند الصوفية يبدأ عمل القلب بخاطرة تهجم على القلب وهي - أى الخاطرة - حديث نفس ألهمت فجورها وتقواها. فعلى حد قول الإمام الغزالي: "فمبدأ الأفعال الخواطر"⁽²⁾. ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء"⁽³⁾. وفي الحديث: "إن الله تجاوز لأمتي ما توسوس به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم به"⁽⁴⁾.

(1) القضماني (د. رضوان): علم اللسان، ص 65.

(2) وقد يكون مبدأ الكلام صور تنسج من الأحلام ولاسيما إن كان وقع الكلام والخطاب قوياً على الروح والعقل فلا مندوحة من أن يلطف في المنام، كما حدث في بداية الوحي لرسول الله سيدنا محمد ﷺ فقد جاء في حديث السيدة عائشة رضی الله عنها: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" - أنظر البيهقي (أبو بكر أحمد ابن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى): دلائل النبوة، ج 1، ص 293.

(3) الغزالي (الإمام أبو حامد محمد بن محمد): إحياء علوم الدين، ج 8، ص 47.

(4) ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني): سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، ج 1، ص 659، حديث رقم 2043.

وقد تأثر علماء الغرب بهذه الفكرة الإسلامية للنية والقصد وبنوا عليها بعض فلسفات اللغة. فهي هو المفكر جون سيرل يقول: "في العادة تؤدي الحالة الشعورية، كالقصد أو الرغبة، وظيفتها عن طريق تمثيل نوع من الحدث الذي تسببه. على سبيل المثال، أريد أن أشرب الماء، ولذلك أشرب الماء. هنا يتم تمثيل النتيجة، التي هي شرب الماء، شعورياً بالسبب، الذي هو الرغبة في شرب الماء. وأسمى هذا النوع من التسبب العقلي بـ(التسبب القصدى intentional causation)"⁽¹⁾.

فها أنت ترى أن ما أفضى إلى القول والعمل كان في البدء فكرة في القلب أو العقل. وفي هذا المجال من التفكير روى عن رسول الله ﷺ: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"⁽²⁾. يعني تدبر معانيه واستنباط بواطنه إذ بكلامه عز وجل عرفه أولياؤه. وقد قيل: (تكلّموا تُعرفوا). فمن عرف معاني الكلام ووجوه الخطاب عرف به معاني الصفات وغرائب علوم أسماء الذات)⁽³⁾. وفي نفس المعنى يقول اللغوي الفرنسي فردنان دي سوسور: "إن تفكيرنا من الناحية السايكلوجية - إذا أغفلنا التعبير عنه بالكلمات - ما هو إلا كتلة غير متميزة لا شكل لها. وقد اتفق الفلاسفة وعلماء اللغة دائماً على أنه لولا الإشارات - يقصد إشارات لغوية - لما استطعنا أن نميز تمييزاً واضحاً، ثابتاً بين فكرتين. فلولا اللغة لأصبحت الفكرة شيئاً مبهماً، غير واضح المعالم، إذ لا توجد أفكار يسبق اللغة وجودها، ولا تتميز هذه

(1) سيرل (جون): العقل واللغة والمجتمع، ص 101.

(2) الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، باب منه في فضل القرآن ومن قرأه، ج 7، ص 244، حديث رقم 11657.

(3) أبو طالب الملكي (محمد بن علي بن عطية الحارثي): قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، ج 1، ص 253.

الأفكار قبل ظهور اللغة. فكل عنصر لغوي هو عضو أو (نطق **articulation**) ثبتت فيه فكرة في صوت، ويصبح الصوت علامة للفكر"⁽¹⁾.

ويتضح أسبقية الفكر على العمل في تأسيس الدول والجماعات. فإنه لكي تقيم دولة لها نظامها وحكمها ينبغي منطقياً أن يتم الاقتناع بهذه الدولة ومبادئها فكرياً في أول الأمر قبل أن تنتقل هذه الدولة إلى عالم الواقع وحيز التنفيذ، بمعنى أن التطبيق العملي لا بد وأن يسبقه إيمان بالعقل والنظر قبل تحول هذه الأفكار إلى واقع عملي، وعلى هذا المنهج قامت الدولة الإسلامية في عهد النبوة وصدر الإسلام، حيث سبقت التربية الروحية، وأنت ليس كما تأتي الفوقية السياسية، مما يؤكد ضرورة أسبقية التأسيس الفكري.

سبق أن أشرنا إلى أن علماء النفس يؤكدون أن التفكير ما هو إلا لغة أو حديث غير مسموع يدور في خلد الإنسان المفكر وفي روعه، مما حدا ببعض نقاد الأدب أن يتناولوا دراسة أيّ أديب من منظور التحليل النفسي من واقع لغة هذا الأديب موضوع الدراسة. وأبرز ما يمكن أن نستأنس به في هذا المضمار هو تحليل الأستاذ عباس محمود العقاد لشخصية الشاعر ابن الرومي من داخل شعر الأخير. يقول العقاد: "..... ونحسب أن استقصاءه للمعاني الشعرية والإلحاح في تفرعها وتقليب جوانبها إن هو إلا علامة خفيفة من علامات هذا الوسواس الذي لا يريح صاحبه ولا يزال يشككه ويتقاضاه التثبيت والاستدراك، فيمعن ثم يعن حتى لا يجد سبيلاً إلى الإمعان"⁽²⁾. ويورد مثلاً لذلك الابيات الشعرية التي

⁽¹⁾ سوسر (فردنان دي): علم اللغة العام، ترجمة د. يونيل يوسف عزيز، الفصل الرابع، القيمة اللغوية، ص

131.

⁽²⁾ العقاد (عباس مصطفى محمود): ابن الرومي - حياته من شعره، ص 110.

تحدث عن أحدب كان يضايق الشاعر ابن الرومي ويترصد له أمام داره ليتطير - أى ابن الرومي - منه . يقول ابن الرومي فى وصف ذلك الرجل الأحدب⁽¹⁾:

فصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يُصَفَّعا
وكأما صُفِّعَتْ قفاه مرة وأحس ثانياً لها فتجمَّع

أنظر كيف نسج الشاعر الصورة شكلاً وحركةً وهيئةً وطول تأمل فى ضم أجزاء الصورة بعضها إلى بعض حتى يكتمل التشبيه. وكل ذلك بفضل الإحساس النفسى العميق بما ارتسم من صورة داخل عقل الشاعر وبما امتلكه من سرعة تنقل الخواطر وتعاقب الآراء واستحضار المناسبات البعيدة والمشاهدات الدقيقة التى يعز استكناهاها على عقل وخيال السواد الأعظم من الناس. وهكذا تكون الصورة المرسومة بالكلمات هى نسخة من الصورة المرتمسة فى مخيلة الشاعر أو المفكر. وهنا تذوب الفوارق بين جميع أشكال التعبير ونجد الصورة بالفرشاة والألوان هى نفسها التى رسمها الشاعر بالكلمات وهى عينها التى شكلتها يد المهندس فى أشكال هندسية وربما استهوت الفكرة نفسها عالم الرياضيات فأخضعها لرموزه الحسابية. وحينئذ نعلم يقيناً أن لا فصل بين اللغة والتفكير. يقول البروفسور بالمر : "بما أننا نصوغ مقولات المواضيع لتجارينا بمعاونة اللغة، يترتب على ذلك أن معرفتنا للعالم وتعلمنا اللغة أمران لا فصل بينهما، وعليه يصبح تحديد عالمنا نحاضعاً - جزئياً - للغتنا إن اللغة ليست فقط تعبيراً عن الأفكار ولكنها تشكل وتصنع الأفكار"، أى أنه يقول⁽²⁾:

"Since we categorize the objects of our experience with the aid of language , it may be the case that learning about the world and learning about language are activities that cannot be separated and that

(1) نفس المصدر السابق، ص 116.

(2) Palmer (F. R.) : Semantics ، Context and Reference ، p 44 .

therefore our world is partly determined by our language. Language does not merely voice ideas but that it is the shaper of ideas."

إن الصلة بين اللغة والتفكير أوثق ما تكون عندما تتوحد المشاعر والأحاسيس وتتحد الأفكار حتى أننا لنجد تطابقاً في بعض الكلمات بين اللغات المختلفة. وفي حقيقة الأمر فإننا نشاهد هذا الاتساق بين اللغة والفكر إذا ما أجلنا النظر في - مثلاً - (فعل الأمر imperative) في كل من اللغتين العربية والإنجليزية. فنجد في كليهما جملة الأمر تتألف من كلمة واحدة فقط. فنقول في اللغة العربية: "اقرأ!" مثلما نقول في الإنجليزية (Read!). هذا الخطاب الموجز يوحى - في تقديري - بالحاجة الماسة إلى سرعة الاتصال الذي كان ضرورياً في بداية اتصال الإنسان بأخيه الإنسان؛ إذ كانت معظم أو أهم (الأغراض اللغوية Language Functions) لهذا الاتصال في بواكيره تشكل استغاثة الإنسان بأخيه، أو أمره له بالمساعدة، أو تنبيه له لكي يتجنب شروخ وعودى الطبيعة الخدقة به وهو يعيش حياة بدائية خالية من التحصينات. ولما كان هذا الوضع الطارئ يحتاج إلى سرعة الاتصال فقد كانت جملة الطلب (أو الأمر أو التحذير) مكونة من فعل واحد. هكذا توحد التفكير فتوحدت آلة التعبير.

فاللغة البشرية و باعتبارها تفكيراً بشرياً كثيراً ما تتفق في أساليب التعبير وتتفق في (وظائف الخطاب address functions) مثل: (الأمر order)؛ (الرجاء request)؛ (الاستئذان permission)، وغيرها مما بسببه سُمي الإنسان مخلوقاً ناطقاً وبالتالي مفكراً. فمثلاً لدينا في اللغة ما يسمى (الألغاز riddles) والتي تعتبر من الألعاب الفكرية التي تشحذ الفكر وإعمال العقل. فمثلاً أنشد أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب (الأضداد) لأبي داؤود الأيادي:

ركب كلب رأيته في وثاق جُعِلَ الكلب للأمير جمالا
ربّ ثور رأيته في جحر نمل وقطاة تحمل الأثقالا

والمعاني في هذا اللغز هي: الكلب هو الحلقة التي تكون في السيف؛ الثور هو ذكر النمل؛ القطاة هي مقعد الردف الخلفي على الدابة.

أما الألغاز الإنجليزية فيمكن أن تمثل لها بالعارة الاستفهامية التالية:

CH ، you are between them ، what are they ?

والإجابة هي أن حرفي **CH** نضع بينهما **U** وتنطق **you** مع حرف **R** الذي ينطق **are**. فظاهر الكلمات **you are** ولكن حقيقتهم أنهما حرفا **U** و **R** فيكون لدينا الكلمة الإنجليزية: (**CHURCH**).

والألغاز الإنجليزية قد تكتب أحياناً في شكل صور ورموز إيضاحية يطلق عليها

**Once
a time**

اسم: (**English Graphic**)، فالرسم التالي:

يمكن قراءته في العبارة: **once upon a time**.

والإنجليز مولعون بهذا الفن اللغوي، فنجد عندهم ما يطلقون عليه: (المطرزة **acrostic**) وهو ترتيب لحروف الكلمات داخل المربعات لتقرأ كل كلمة دون أن تخل بتقاطعها مع الكلمة الأخرى، ومثاله كالاتي:

P	A	N
A	G	E
N	O	T

وهذا الفن الإنجليزي مقتبس من فن الشرق، حيث نجد الأوقاف (المربعات

الرياضية)، مثل الآتي:

4	9	2
3	5	7
8	1	6

ولكن تتفوق العربية باتخاذها من الخط العربي وسيلة للزخرفة ولرسم مثل هذه الأشكال:



كما أن لدى الإنجليز ما يسمى: (النمط أو الشكل الدال pattern poetry) وهو كتابة القصيدة في شكل هندسى حيث تزداد الكلمات في كل سطر، ثم تبدأ الكلمات في التناقص، مما يعطى شكل متوازى الأضلاع أو الهرمين الملتصقين بالتعكس، والشكل التالى يبين تلك الكتابة النمطية ذات الشكل الهندسى:

Who
Are you
Who is born
In the next room
So loud to my own
That I can hear the womb
Opening and the dark run
Over the ghost and the dropped son
Behind the wall thin as a wern's bone
In the birth bloody room unknown
To the burn and run of time
And the heart print of man
Bows no baptism
But dark alone
Blessing on
The wild
Child

وتشترك معظم الأمم في فنون اللغة البلاغية فينعكس هذا الفن في تفكيرها اللغوى، وتفننها في أساليب البلاغة - مثلاً - للشاعر القاضى أحمد بن محمد الأرجوانى بيت الشعر الذى يقرأ (مقلوباً وصحيحاً سواء)، أى من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين، والبيت هو :

"مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم"⁽¹⁾.

ويحكى أن القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن القاضي الأشرف على بن الحسين) لقي يوماً (العماد الأصفهاني - الكاتب)، وكان الأول راكباً فرسه، فقال له العماد:

"سر فلاكبا بك الفرس"، فقال له القاضي:

"دام علاء العماد".

والعبارتان أعلاه هما مما يقرأ مقلوباً وصحيحاً سواء⁽²⁾.

ومن قبل ذلك نجد قوله تعالى:

﴿رَبِّكَ فَكْبِرُ﴾⁽³⁾.

ونفس النمط من التفكير وأساليب البلاغة نجده في اللغة الإنجليزية. فالعبارة الإنجليزية المترجمة عن نابليون الفرنسي - والتي تقرأ من الإتجاهين: اليمين والشمال. يقول فيها:

(1) الدميري (الشيخ كمال الدين): حياة الحيوان الكبرى، ج 2، ص 62، نقلاً عن "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان": لابن خلكان.

(2) ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 5، ص 150.

في سنة 1984م كنت معلماً للغة الإنجليزية في اليمن، مدينة تعز. عملت نموذجاً للمجلة الإنجليزية بمتذيه الطلاب، وسميت هذه المجلة (تعزيات) بحكم أنها تحوي مواضيع شتى عن مدينة (تعز) فقط، وكانت التسمية بالطبع بالإنجليزية كما يلي: (TAIZIAT) وهي مما يقرأ مقلوباً وصحيحاً سواء.

(3) المدثر: 3.

ABLE WAS I SAW ELBA

ومن الصور التي تبين اتساق التفكير البشرى ما نجد في جمل (الالتباس البنوي structural ambiguity). فمثلاً عبارة: **young boys and girls** يمكن أن تعني: **young (boys and girls)**، أي " (young boys) and (young girls)"، أي س (ص + ع) = " (س ص) + (س ع)"، كما يمكن لنفس الجملة الإنجليزية أن تفيد معنى **"(young boys) and girls"**، أي " (س ص) + ع". وللتفريق بين أيهما من الجملتين يريد المتحدث يقوم المتحدث بتغيير (نبرة أو نغمة الكلام intonation) والوقوف عند كلمة بعينها. فإن وقف عند كلمة **(young)** دل على مقصده الجملة الأولى، أي (س ص) + (س ع)؛ وأن وقف عند كلمة **(boys)** دل على مقصده الجملة الثانية، أي (س ص) + ع. هذا للمستمع، ولكن ماذا عن القارئ؟ كيف يعرف القارئ التفريق بين الجملتين؟ فالقارئ يعرف ذلك ب (الكتابة الخطية المائلة الحروف italics) للكلمة المراد الوقوف عندها والتركيز عليها.

وفي اللغة العربية نجد ما يشبه الجملة الإنجليزية أعلاه من حيث (الالتباس البنوي structural ambiguity)، فمثلاً قولنا: (حُفِّرْ قواعدِ المباني الجديدة)؛ هل كلمة (الجديدة) صفة للحفر أم للقواعد أم للمباني؟ غير أن الالتباس في الجملة العربية لا يشكل خللاً في المعنى كاخلل الذي نلمسه في الجملة الإنجليزية، وذلك لأنه إن رفعت كلمة (الجديدة) كانت صفة للحفر وكانت الحفر هي الجديدة فتكون القواعد أو المباني جديدة وقائمة على حفر جديدة، وإن كانت كلمة (الجديدة) مجرورة تكون صفة للقواعد أو للمباني. فإلى أيّ إعراب ذهبنا الصفة (جديدة) لا يختلف المعنى الكلي للجملة. غير أنه في الجملة العربية لا يحدث أيّ تغيير في نبرة صوت المتحدث لكي نجد الفرق، ولأن المعنى هنا - بدون تشكيل أواخر الكلمات - لا يحدث فيه تغيير كلي فقد تُركِّح تحديد المعنى لحدس المستمع أو القارئ. فكما عد ابن جني الحذف والإيجاز في اللغة العربية من باب شجاعة

هذه اللغة العربية، فإننا نجد هذا الالتباس البنيوي من باب شجاعة اللغة العربية لأنه ينمي في الناطق بها قوة الحلس والتنبؤ واستنباط المعاني.

إن هذا التوحد في أساليب التفكير اللغوي بين البشر - وإن تباينت بعض المعاني اللغوية - هو الذي دفع علماء اللغة الغربيين إلى أن يرجحوا صحة أحد الاحتمالات التالية التي تفسر هذا التوحد اللغوي⁽¹⁾:

أ- تركيبة العقل البشري واحدة في أساسها.

ب- لغات العالم كلها لها مصدر ومنبع واحد.

ج- الحاجات الثقافية للعالم متماثلة.

وتحت ما يسمى (عالميات اللغة Language Universals) كتب بعض اللغويين عن تشابه اللغات ما يلي⁽²⁾:

" Similarities between languages can have a number of different origins.

In the simplest case, universal properties may be due to universal aspects of human experience. For example, all humans experience water, and all human languages have a word for water. Other similarities may be due to common descent: the Latin language spoken by the Ancient Romans developed into Spanish in Spain and Italian in Italy; similarities between Spanish and Italian are thus in many cases due to both being descended from Latin. In other cases, Language contact or contact between languages; particularly where many speakers are bilingual can lead to much borrowing of structures, as well as words. Similarity may also, of course, be due to coincidence. English "much" and Spanish "mucho" are not descended from the same form or borrowed from one language to the other; "Much" is

⁽¹⁾ ترجمة المؤلف عن: Palmer (F. R.) : Semantics ، p 115

⁽²⁾ the free encyclopedia.From Wikipedia

from Middle English "muchel"، which is from Proto-Germanic "mekilaz" while "mucho" is from Latin "multus" - nor is the similarity due to innate linguistic knowledge .

ويفيد النص الإنجليزي أعلاه - بحسب ما لحصناه من نقاط تحتها خطوط - على أن التشابه في اللغات مرده إلى: التشابه في التجارب البشرية؛ واللغة الأولى التي انحدرت منها لغة اليوم؛ الاتصال بين اللغات؛ والمصادفة. ولا ينبع تشابه اللغات من المعرفة الطبيعية والفطرية للغة.

فإن عدنا إلى التحليل الرياضى - مثلاً - (س ص) + ع) الذى يحلل به تشومسكى البنية السطحية والبنية العميقة للجملة أدركنا فتح اللغويين الباب على مصراعيه للمشتغلين بالمنطق الرياضى ليسهموا فى صياغة النظم اللغوية المنهجية، وبهذا يتوسع نطاق ما يسمى بـ (اللغويات الرياضية **Mathematical Linguistics**). .

وبما أن اللغة وعاء للمعاني وخادمة للإنسان فى مجال الاتصال فإنها تدور مع حياة الإنسان صعوداً أو هبوطاً فى سلم الحضارة. وإن ما يطراً على الإنسان من تغيرات فى تفكيره - بسبب تغير بيئته الجغرافية أو عاداته - يؤثر بدوره على اللغة إن سلباً أم إيجاباً. فإنه بقدر ما تكون الأفكار والاحتياجات بسيطة وبدائية تنعكس هذه البساطة على اللغة من حيث قلة المفردات وسذاجة التراكيب والقواعد، وربما عشوائية النظم. وليس أدل على ذلك من لغة الطفل التى ينقصها ضبط المفردات وقواعد تركيب الجملة وربط الجمل بعلاقتها. فمثلاً إن وجهت لطفل هذا السؤال: (أين ذهب أبوك؟)، أجابك هذا الطفل بقوله: (أبى ذهب. أبى ذهب إلى المكان الذى يباع فيه الخضار. أبى ذهب يشتري لنا حضروات من ذلك المكان).

وسبب هذه الثروة من الطفل هي قلة المفردات عنده وعدم إلمامه بعلاقات الجمل والتفكير. فكان يمكن لهذا الطفل أن يقول : أبى ذهب إلى السوق ليشتري لنا خضروات⁽¹⁾.

وفي ذات السياق يقول المفكر جون سيرل : "يمكن للأطفال في مرحلة ما قبل اللغة أن يمتلكوا أشكالاً بدائية من (القصدية intentionality). يمكن لهم أن يكونوا الاعتقادات والرغبات والادراكات والمقاصد. ولكن ما أن يبدأ الطفل باكتساب اللغة، حتى تزداد قدرات القصدية المتزايدة من فهم اللغة، مما يفضي إلى زيادة أكبر في القصدية. ويوضح أى كتاب مقرر عن التطور النفسى-اللغوى لدى الطفل هذه الظاهرة. وما لدينا، في حقيقة الأمر، ليس عقلاً من جهة، ولغة من جهة أخرى، بل عقل ولغة يثرى كل منهما الآخر، حتى يتم بناء العقل لغوياً لدى الكائنات الإنسانية البالغة"⁽²⁾، ولهذا دائماً ما يُنصَحُ طالبُ اللغة بمجالسة أهل هذه اللغة ليأخذ عنهم الفكر واللغة معاً، وإن لم يجالسهم فليعرض للغة من خلال قراءة كتب المكتبة والمجلات والجرائد المكتوبة بهذه اللغة، وأن يتعرض للغة بالاستماع للأفلام والمسرحيات والندوات والبث التلفزيونى والإذاعى باللغة المراد تعلمها، وهذا ما يسميه علماء اللغة والمشتغلون بتدريسها (التعرض للغة language exposure) .

ولكن ما أن يتعقد المجتمع البشرى وتتشعب حاجاته الفردية والاجتماعية إلا وتدور عجلة اللغة على نفس المحور المعقد والمتشابه الأجزاء. ولذات السبب من التعقيد والتفرع، وعلى منوال المنهج المعقد الذى اجتاحت الحياة، بما فيها ضروب المعرفة اللغوية المختلفة فقد امتدت الدراسات اللغوية لكى تقتحم ميادين المعرفة المتنوعة التى تتناول اللغة نفسها؛ وبدأ الكلام يتكلم عن نفسه، ويدرس نفسه. فنشأ ما يسمى (علم الألسنية الاجتماعى

(1) هذه الجملة مختصرة ومربوطة بعلاقة الغرض والرابط (لام التعليل فى "ليشتري")، كما أن لفظة

(السوق) هى مفردة غنية المعنى اختصرت عبارة (المكان الذى يباع فيه الخضار).

(2) سيرل (جون): العقل واللغة والمجتمع، 222.

(Socio-Linguistics) و (علم الألسنية النفسى Psycho-Linguistics) و (علم الألسنية التطبيقى Applied Linguistics). وملاحقة هذا التطور اللغوى ودراسته عبر التاريخ واستكناه جوانب الإزاحة والتغير فى اللغة فقد اهتم (علم اللغة التاريخى Diachronic Linguistics) بدراسة وتتبع العلاقات بين عناصر اللغة المتعاقبة والتي يحل كل عنصر فيها محل العنصر الآخر بمرور الزمن، كتغير الأصوات واستبدال دلالات الكلمات، مما يؤكد حيوية اللغة وخضوعها لعوامل التغير والتطور. بل تفرعت اللغة إلى مباحث وفروع كثيرة، حيث انفرد كل فرع منها بالبحث فى نطاق قلما يتعداه إلى الفروع الأخرى إلاّ لمأماً، فمثلاً نجد (علم دراسة اللهجات Dialectology) الذى ينظر فى التغيرات والانحرافات اللغوية الطفيفة داخل اللهجات المختلفة للغة الواحدة، وعلم (البنية، أى الصرف Morphology) الذى يتناول بنية الكلمة واشتقاقها اللغوى وتغير أبنيتها، ثم هنالك علم (البلاغة أو الأسلوب Stylistics) والذى يدرس تأدية المعنى بعبارة فصيحة وذات أثر خلاب فى النفس مع ملاءمة المقال لمقتضى الحال، و(علم أصل الكلمة Etymology) الذى يبحث فى الأصل التاريخى لمبنى ومعنى الكلمة. وأخذ الاهتمام بالمفردة اللغوية ومعناها يتزايد، وتأسس على هذا الاهتمام بالمفردة علم (المفردات Lexicology) الذى يشكل علم القواميس أو المعاجم أهم أفرادها. إن امتداد المعرفة وتفرعها قد زاد من تنوع القواميس بحسب التخصصات المتنوعة وبحسب مجالات الدراسة، فنجد - مثلاً - قاموس (المصطلحات الطبية medical terms)، وقاموس (المصطلحات السياسية political terms)، وقاموس (المصطلحات الاقتصادية economical terms)، وقاموس (المصطلحات القانونية legal terms)، وقاموس (مصطلحات علم الاجتماع sociological terms)، وقاموس (مصطلحات علم النفس psychological terms)، وقاموس (مصطلحات علم الجغرافيا والكونيات geographical and cosmic terms)، وقاموس (مصطلحات الأدب literary terms)، وقاموس (مصطلحات التصوف sufi).

(terms)، وقاموس (علم اللغويات linguistic terms)، وما إلى ذلك من قواميس. وكل هذه القواميس بكثرتها تبرهن على تشعب المعرفة الذى بدوره يلقي على عاتق اللغة مسؤولية مواكبة هذا التطور العلمى والاستعداد له بإحتضانها التعابير الجديدة، أو تلك التعابير التى على اللغة أن تصنعها خصيصاً لهذه المادة أو لتلك. هذا بالإضافة إلى علم (قواعد التنظيم - أى النحو - Syntax) وهو علم تركيب وبناء الجملة وتحديد مواقع الكلمات داخل الجملة. ولهذا فالعالم الباحث فى أى مجال من مجالات المعرفة لا بد له من الإلمام باللغة التى يجرى بها بحثه العلمى، وذلك لكى يتمكن من فهم ما يأخذ لبحثه باللغة المعنية مناط البحث، ولكى يصوغ أفكاره صياغةً يقدر عن طريقها على إفهام القارئ أو السامع الأفكار التى وردت فى بحثه أو دراسته.

إن ارتباط اللغة بالتفكير يشمل جميع النواحي البشرية، من أدبية وفلسفية واجتماعية وقانونية واقتصادية وسياسية، وغيرها من النشاطات الفكرية التى تتخذ اللغة بمثابة قوالب للتفكير، وتلعب فيها اللغة دور الوسيط الحامل لهذه الأفكار والمعانى.

ولكن هذا الارتباط أوضح ما يكون فى المعتقد الدينى للمجموعات البشرية، لأن الاعتقادات تشكل التفكير الصارم الذى يلتزم به المجتمع الدينى المعين، ويتعامل بمقتضاه أفراد هذا المجتمع ومعتنقو هذه الديانة أو تلك. وللحفاظ على ديانة الآباء تظل هذه المعتقدات والأفكار بمصطلحاتها ولغتها، تتوارث جيلاً بعد جيل، دون أن يطرأ عليها تعديل يخل بمعانيها الأساسية. واللغة بطبيعتها لا تتغير كلها فجأة، وإلا لفقدت خاصية الوسيلة التواصلية، حيث يكون من عرف حديث اليوم غير قادر على معرفة حديث الأمس ولا حديث الغد؛ وبذلك تفتقد الأجيال تواصلها، ويتعذر نقل المعرفة والحضارات عبر الأجيال والأمم. ولكن اللغة تتغير حتماً. غير أنه تغير تدريجى فلا يتم بقفزات وطفرات فجائية، ولهذا توجد للكلمات جذور أصلية وفروع اشتقاقية. وهذا التغير اللغوى نجده فى جوانب كثيرة من المعرفة. ونحن هنا نأخذ - كمثال للتغير فى اللغة - أسماء أيام الأسبوع باللغة الإنجليزية التى

لها خلفيات تاريخية وثنية مستقاة من ثقافة الإنجليز وتراثهم السكسوني، وقد لحقها اليسير من تعديل الحروف أو الأصوات، وذلك بعد أن أدخل عليها الإنجليز تعديلات طفيفة قد لا تكون بسبب تغيير العبادة أو المفهوم الديني لدى الإنجليز، بل ربما تكون بسبب تغير (النظام الصوتي **phonetic system**) للشعب الإنجليزي. والجدول التالي الذي يرد عقب هذه الفقرة، والذي يُقرأ بالإنجليزية - من الشمال إلى اليمين - يوضح لنا معاني هذه الأسماء وأصولها التاريخية وتغييراتها المستحدثة التي أدخلت عليها عبر الزمن:⁽¹⁾. فالكلمة الإنجليزية في الجدول قد نشأت من اللغة السكسونية، كما هو واضح من تشابه الحروف والمعاني التي ترجمناها إلى اللغة العربية.

أنظر الجدول في الصفحة التالية:

(1) Skeat (Walter W.): The concise Dictionary of English Etymology pp163 – 555

English الكلمة الإنجليزية	Saxon الكلمة السكسونية	مقطع الكلمة الأولى أو ما حرفت منه	نوع العبادة
Sunday الأحد	Sund's dag	sund (ينجب) sun (الشمس)	آلهة الإنجاب أو عبادة الشمس
Monday الاثنين	Monan dag	moon (القمر)	عبادة القمر
Tuesday الثلاثاء	Tiw	Tiw = war (حرب)	إله الحرب
Wednesday الأربعاء	Woden	wood (خشب/غابة)	عبادة الشجر
Thursday الخميس	Punres dag = thunner	thunder (الرعد)	عبادة الرعد والصاعقة
Friday الجمعة	Frige dag	friend (صديق) love (حب)	إله الصداقة والحب
Saturday السبت	Sater dag	saturn (زحل)	عبادة كوكب زحل

ونفس النهج من الاشتقاقات الوثنية نجده في الشهور الإنجليزية. فعلى سبيل المثال

– لا الحصر – نلاحظ اشتقاقات الشهور التالية :

- 1- شهر يناير (January) وهو مشتق من (Janus) وهو إله البدايات.
- 2- شهر فبراير (February)، ويقول أهله إن في هذا الشهر تقام مأدعة الطهر والنقاء (Februa = feast of purification)، وأحياناً يطلق عليه شهر القداسة أو شهر الأعمال المقدسة (month of expiation i.e. Holy deeds).
- 3- شهر مارس (March)، وهو مشتق من كلمة (Mars) وهي تعني (إله الحرب God of war).
- 4- شهر مايو (May) وهو شهر النماء ومشتق من (Maia) وهي آلهة رومانية.

5- شهر يونيو (June) وهو مشتق من (Juno) وهى آلهة الزواج عند الرومان.

6- شهر أغسطس (August) وهذه الكلمة مشتقة من (Auger) وهى روحانية التنبؤ.

وقد ترجم العرب هذه الشهور الأفرنجية محتفظين لها بسحتها الإنجليزية فقالوا: يناير، فبراير، مارس، أكتوبر، الخ. وذلك لأنها ليست لها اشتقاقات عربية - فلم نجد فبراير ولا فبراير من أكتوبر - ولذلك فهى لا تعنى للعرب أى مضامين وثنية عربية سوى أنها مترجمة حرفياً من الإنجليزية.

أما إذا اتجهنا إلى الشهور العربية فلا نجد فيها أية مضامين وثنية؛ فالعرب كانوا أهل فطرة سليمة وجاءهم الإسلام بدين الفطرة السليمة، لأن ما كانوا عليه من وثنية إنما هو شئ طارئ عليهم ولهذا سرعان ما دخلوا في دين الله أفواجاً. نقول إن الشهور العربية لها من المعاني والاشتقاقات العربية ما يمت إلى معاشهم العادى وممارساتهم الحياتية - لا الوثنية ولا تحريفات الأديان السماوية التى دان بعضهم بها (فبعضهم كان مسيحى الديانة وبعضهم كان يدين باليهودية). فشهد الحرم سمي محرماً لأنهم كانوا يحرمون فيه القتال؛ صفر لأنهم كانوا يصابون فيه بمرض يصفر ألوانهم؛ ربيع الأول وربع الثانى لأنهما يأتيان في الخريف والعرب تسمى الخريف ربيعاً، ومنه الحديث الشريف: "إن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلِّم" (1)، والحبط هو انتفاخ البطن من الإمتلاء والتخممة، ويلم يقرب من القتل؛ جمادى الأولى وجمادى الثانية لجمود الماء فيهما شتاءً؛ رجب لأنهم يعظمون فيه القتال فيقال فيه أرجبوا أى كفوا عن القتال؛ شعبان لانشعاب القبائل فيه لطلب الماء والغارات؛ رمضان لإتيانه في الحر

(1) البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، الرقاق 81 كتاب، 7 باب ما يحد من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ص 1358، حديث رقم 6427.

والرمضاء، أى أوان الرمض؛ شوال لقولهم شولوا أى ارتحلوا أو لأن الإبل كانت تشول فيه بأذناها لشهوة الضراب؛ ذو القعدة لقعودهم عن القتال؛ وذو الحجة لأدائهم الحج فيه⁽¹⁾. وهذا الاختلاف فى التفكير والألسن ينتج عنه التباين فى وجهات النظر وتناول الأمور عقلياً وعاطفياً. وسوف يجد القارئ فى الأبواب القادمة أن ظاهرة الاشتقاق تغير المعنى وتوسعه. فمثلاً كلمة "زكاة" والتي تعنى مبلغاً من المال يؤخذ من الغنى ويعطى للفقير كفريضة إسلامية أيضاً تفيد معنى التزكية والنظافة لأنها تطهر المال وتركى صاحبه وتنظف روحه من دنس الأطماع والحرص على اكتناز المال، كما تفيد معنى الزيادة لأن الزكاة تسمى المال وتورثه البركة؛ وإن كانت "صدقة" فهي تورث معطيها صدق التوجه فى الجهاد بالمال؛ وهذه كلها معانى روحية تقرب الكلمة من المفهوم الدينى للزكاة أكثر من المفهوم الذى نجده فى الكلمات الإنجليزية "charity" أو "benefaction" والتي هى كلمات جامدة لا يشتق منها المفاهيم العربية. وشيئاً فشيئاً عبر هذا الكتاب يتبين لنا اتساع الشقة بين التعبيرين والتفكيرين العربى والإنجليزى، وعجز اللغة الإنجليزية عن مضاهاة العربية فى نقل المفاهيم القرآنية.

نستخلص مما تقدم أن اللغة سلوك لفظى (Verbal Behaviour) أى ترجمة كلامية للسلوك العملى، كما أنها رسم لفظى للأفكار والنظريات. ونجد (فتجنشتاين) "من ضمن القائلين بانصهار اللغة بالفكر، أى أن الفكر ليس مستقلاً عن اللغة، وينتج من هذا أن أية فكرة يمكن أن توضع فى كلمات، والفكرة التى لا يمكن أن توضع فى كلمات هى ليست فكرة مطلقاً"⁽²⁾. وقال عالم اللغة الفرنسى (سابير): "اللغة جديدة بالدراسة لأنها غير

(1) وافي (د. على عبد الواحد): فقه اللغة، ص 121.

(2) مجهول (د. فيصل غازى): تحليل اللغة فى رسالة فتجنشتاين المنطقية الفلسفية، ص 54.

معهودة عند غير البشر ولا غنى عنها للفكر البشرى"⁽¹⁾. وبذلك يستبين ارتباط اللغة بتفكير الإنسان وسلوكه وأحاسيسه، الأمر الذى يجعل البحث فى لغة قوم ما يكاد يكون سياحة فى تراث وأفكار وعواطف ومشاعر هؤلاء القوم من واقع لغتهم.

تحدثنا عن أن اللغة وعاء للفكر البشرى، ولكن لا ينبغي أن نغفل جانب العاطفة. ركزنا على العقل لأننا رأينا البشر قد اتفقوا فى أساسيات التصرف العقلانى مثل الاهتمام بالعلم والتعلم والصحة وممارسات التجارة وغيرها من النشاطات الاجتماعية التى يتفق كل الناس فى أهميتها، وبذلك اتفقوا - إلى حد ما - فى منهج التفكير فيها. ونقول العاطفة لأننا رأينا البشر قد اختلفوا فى طريقة التعبير عن عواطفهم ولهذا تباينت فنونهم من غناء ورقص وموسيقى وشعر ونحت وتصوير وتمثيل ورسم وسائر الفنون الأخرى. وقدماً قيل: (الفن أنا والعلم نحن) وذلك لأن الفن ينزع للذاتية، ونرى فيه اختلاف الآراء الذى قيل فيه: (لولا اختلاف الآراء لبارت السلع)؛ بينما العلم له قوانين عقلية ومنطقية يخضع لها الكل. فالعلم عقلانى بينما الفن قلبى، وكثيراً ما يفتقران فى المفاهيم، ولذلك يقول المثل الغربى: "إن للقلب أسبابه التى لا يعرفها العقل". ونسبة لذاتية الفن فإن اللغة تتعدد أكثر مما لو كانت آلة للفكر وتبقى اللغة - وهى تعبر عن الفن - أكثر غرابة بين مختلف الشعوب. فاللغة وعاء للفكر كما أنها وعاء للفن؛ وقلنا إن الفكر مركزه العقل بينما الفن مركزه القلب الذى يرى بنور البصيرة. ومثلما يُخاطب العقل فكذلك تُخاطب البصيرة فمن: ﴿كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾⁽²⁾ استجاب لنداء الإيمان بالله تعالى. ولما كان الخطاب الربانى موجه لعقل الإنسان وقلبه فقد انصب جل الحديث فى هذا الباب عن ارتباط اللغة بالعقل والتفكير، ولم نغفل جانب الفن والقلب. فسوف يجد القارئ الكثير من الحديث عن ارتباط

(1) ليونز (جون): نعوم تشومسكى، ترجمة د. بابكر عمر عبد الماجد، ص 112.

(2) ق: 37.

اللغة بالقلب والإيمان. فالعقل منوط بمسؤولية اهتدائه للإيمان، قال رسول الله ﷺ: "أتمكم عقلاً أشدكم خوفاً"⁽¹⁾. وللقلب - كذلك - نصيب وافر من الهداية للإيمان، قال تعالى: ﴿فإنما لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾⁽²⁾. فإذا اتحد نور العقل مع نور القلب كُمل الإيمان، وذلك باتفاق الرؤيا القلبية مع رؤية العين. قال تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾⁽³⁾. ولهذا جعل الله تعالى في لغة البشر من المعاني ما يقود إلى الإيمان بالله عز وجل، ويهدي القلب المستشرف للإيمان. وبهذا تكون اللغة وعاءً للفكر والفن والإيمان. وهذا ما سوف نتناوله بشيء من البسط والتفصيل في الباب القادم إن شاء الله تعالى.

(1) العراقي (الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر): المعنى عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، مطبوع على هامش إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ج 1، ص 144.

(2) الحج: 46.

(3) النجم: 11 .

قال تعالى:

﴿الرحمن * علم القراءان *﴾

﴿خلق الإنسان * علمه البيان﴾

الرحمن: 1، 2، 3، 4.

الباب الثاني:

بذور الإيمان بالله تعالى

الكامنة في اللغات

الباب الثاني: بذور الإيمان بالله تعالى الكامنة فى اللغات

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿خلق الإنسان * علمه البيان﴾⁽¹⁾، كما قال جل جلاله: ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾⁽²⁾.

لقد تكفل المولى عز وجل بتعليم الإنسان بالقلم، أى علمه الكتابة واللغة، وعلمه الأسماء كلها، وملكه وسيلة التفكير حتى تقام عليه الحجة. ولهذا فإننا نجد أن هنالك بعض الأفكار التى تقود للاعتقاد بالله عز وجل، وهذه الأفكار الإيمانية منسوجة داخل اللغة. فإن التفكير البشرى - من واقع تحليل اللغة - يحمل فى طياته بذور الإيمان بالله تعالى.

وفى هذا الباب سوف نلقى الضوء على بعض الجوانب والوحدات اللغوية - من اللغتين: العربية والإنجليزية - التى تقود لعقيدة التوحيد الإسلامية. وهذه الأفكار اللغوية تتمثل فى الآتى:

أ) المجاز:

تحدث ابن جنى فى كتابه الخصائص عما سمّاه: باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية⁽³⁾. وفصل الحديث فى هذا الباب عن مجاز اللغة العربية. كما نجد الإمام عبد القاهر الجرجاني قد بسط القول فى مجاز اللغة العربية، وصلة هذا المجاز بمعانى القرآن الكريم.

ففى تعريفه للمجاز يقول ابن جنى: الحقيقة ما أُقِرَّ فى الاستعمال على أصل وضعه فى اللغة. والمجاز ما كان بضد ذلك. فالمجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة

(1) الرحمن: 3، 4.

(2) العلق: 3، 4، 5.

(3) ابن جنى (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 3، ص 248.

مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. والعلاقة قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها. والقرينة قد تكون لفظية وقد تكون حالية.

وبنفس القدر من مفهوم المجاز اللغوي يطلق الإنجليز عبارة: (metaphor) أو (figures of speech) لتفيد معنى المجاز، وتعريفهم للمجاز هو:

Any use of language for stylistic effect other than the plain normal, straightforward manner of writing or speaking is called figurative.

وهذا التعريف للمجاز في الإنجليزية هو كما يلي: (إن أى استخدام للغة لإحداث أثر بلاغى بخلاف التأثير العادى الذى يحدثه المعنى العادى المباشر للكتابة أو الكلام يسمى المجاز).

يلاحظ اتفاق كل من التعريفين (الإنجليزى والعربى) لكلمة (مجاز)، فإن عبارة (figures of speech) تعنى بالترجمة الحرفية (المجسمات الرمزية للكلام) والمجاز إنما هو رمز إلى معنى لا تعطيه ظاهر الكلمة أو العبارة. وهذا الاتفاق فى التعريفين سببه أن المجاز فى اللغة يعبر عن صورة مرموزة بحددها داخل كل عقل بشرى بغض النظر عن نوع اللغة. فالمجاز يعبر عن الأسرار، لأن المتحدث به لا يصرح بحقيقة الشيء. كما أنه يسهل تخزين هذه الأسرار حتى لا يطلع عليها أحد سوى أهلها.

إنه إذا كان المجاز فى اللغة العربية يقترب فى معناه من: التشبيه، الكناية، الاستعارة، الحذف، الزيادة، التقديم، التأخير، الحمل على المعنى، التحريف وهلم جرا، فإن هذه المعانى هى بعينها متوفرة فى البلاغة الإنجليزية والتي منها: (سجع assonance)، (تمكّم irony)، (جناس استهلالى alliteration)، (تشبيه simile)، (كناية metonymy)، (مجاز / استعارة metaphor)، (تشخيص / تجسيد personification) الخ.

ونود الإشارة هنا إلى أن المجاز اللغوى هو أحد الأبواب التى يلج منها الإنسان إلى رتبة الإيمان بالله تعالى. فمثلاً نجد العرب يقولون: (ألقى الحبل على الغارب)؛ كناية عن ترك

الشيء غير مربوط بقيد. فالعبارة إياها مأخوذة من السلوك العربي المتمثل في أنه إذا أنزل أحدهم رحاله ترك حبل الجمل على غاربه ليتحرك الجمل بحرية. والغارب هو الكاهل، أى ما بين السنام والعنق.

وفي اللغة الإنجليزية نجد نفس النهج من الكناية والذي يسمى (اصطلاحات idioms) وهى العبارة الاصطلاحية التى لا تستمد معناها من مجرد فهم معانى كلماتها منفصلة، ويمكن أن نمثل لها بعبارة: **He turned the table on them** فالمعنى الحرفى لكلمات هذه العبارة الإنجليزية: أنه (أدار المنضدة - أى رماها - عليهم). غير أن المعنى الاصطلاحى هو: (أفشل خططهم أو أحبطها)، ولا توجد أى من كلمة أفضل أو أحبط، أو خطط فى هذه العبارة الإنجليزية الاصطلاحية؛ وكذلك نجد أن الجملة الآتية: (**He kicked the bucket**)، لا تعنى أن: (هو He) (ركل kicked) (الجرذل the bucket)، بل تعنى: (قضى نحب، أى مات).

والحقيقة الدينية التى نرمى إلى إثباتها فى هذا المجال هى تحول ما كان حسيماً ومجسداً إلى صورة معنوية، كما فى مثال إلقاء الحبل على الغارب والذي قصد به أن يعنى ترك الأمور والشؤون بلا قيد ولا ضابط، حيث تحول (الجمل وغاربه) إلى (شأن عام)؛ وتحول (الحبل) إلى (قواعد) ضبط الشأن. بينما نجد فى ذات الوقت تحول الفكرة من معنى مجرد وتحويلها وتحسيدها فى صورة حسية، كقولهم:

Man's imagination is limited by the horizon of his experience.

وترجمة العبارة أعلاه هى: "خيال الإنسان محدود بأفق تجربته".

حيث جعل لـ (التجربة experience) (أفقاً horizon) تقاس عليه.

وقد أكثر علماء اللغة العربية الحديث عن المجاز لأجل اللفظ والمجاز لأجل المعنى. وتناولوا بالتحليل العميق والتعليق المشيق روائع الأدب. واستعارة السيل لحركة الجمال فى

سيرها استعارة أطربت أسماع اللغويين، وجعلوها علماً يستشهد به في جماليات الأسلوب العربي. فنخذ - مثلاً - قول يزيد بن الطثرية⁽¹⁾:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو مسح
وشدت على جذب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادى الذى هو رائج
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

ومعنى التعبير أن النوق سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة واللين والسلاسة كأنها سيول انسابت في تلك الأباطح. ففى التعبير استعارة لطيفة، حيث شبه الجمال بالسيول وحذف المشبه به (السيول) ورمز له بشئ من لوازمه وهو حركة السيولان وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

نقول إن البعد الدينى للتداخل بين الحسى والمعنوى والتحول من أحدهما للآخر هو أكبر دليل على أن الباطن والظاهر قد يجتمعان في واحد، وأنه ما ثم إلا الواحد الأحد الذى هو الظاهر والباطن، والأول والآخر. ومن هنا نشأت بعض التأويلات الباطنية والإشارية للمفاهيم الدينية. فكما قال الدكتور محمد أحمد عبد القادر: "في القرنين الأول والثاني قد أُفرزت بواكير النزعة التأويلية بين المسلمين. يضاف إلى ذلك أن رحابة اللغة العربية وثرأ مضمونها ومكانة الجاز فيها، كل ذلك قد فتح الباب على مصراعيه لكى تنشأ اتجاهات على المستوى الفردى أولاً، ثم يستشرى التأويل حتى يرتبط بفرق معينة وطوائف عديدة"⁽²⁾. ولكننا نقول إن من ألقى ظاهر اللفظ واعتمد باطنه فقط فقد حرّف النص وضلّ، ومن حقق العبارة وانتقل منها إلى الإشارة فقد ازداد فهماً للنص.

(1) هذه الأبيات متنازعة النسب بين يزيد بن الطثرية، نصيب، المضرب، كثير عزة، وكعب ابن زهير،

ولكن الأول هو الأشهر. (أنظر: www.google.com)

(2) عبد القادر (د. محمد أحمد): ملامح الفكر الإسلامى بين الاعتدال والغلو، ص 402.

يقول الشيخ محمدالمبارك: "القاعدة الكلية التي يجب أن تكون في الحسبان أن النصوص من الكتاب الكريم والسنة المطهرة لا تنصرف عن معناها الظاهر المتبادر منها بحسب أصول اللغة العربية، ولا تؤلّ إلا إذا عارضها دليل عقلي قطعي يناقض معناها الظاهر يكون قرينةً ودليلاً على أن معناها الظاهر غير مراد للشارح لأن الأصل في التخاطب إرادة المعنى الظاهر دون سواه إذ إرادة غير الظاهر لغير داع ولا قرينة تخل بالإفادة والاستفادة. وإنما يلزم تأويل النص الشرعي عند معارضة الدليل العقلي القاطع، وأنحصر الداعي في ذلك لأن رفض الدليل العقلي القاطع رفض للأصل الذي ثبت به صدق الرسول ﷺ وهو العقل، إذ لولا العقل لما أمكننا الاستدلال على صدقه ﷺ بدلالة المعجزات فرفض العقل يوجب رفض الشرع من أساسه، ولا شيء سوى معارضة الدليل العقلي يوجب صرف النص عن معناه الظاهر وتأويله"⁽¹⁾.

كما أن هنالك حقيقة أخرى ذات أهمية قصوى في المجال الديني. ألا وهي الجواز العقلي. فبإجاز العقلي يدرك الإنسان معنى أعماله بجانب أعمال المولى عز وجل، لأن الجواز العقلي قوامه إسناد الفعل لغير فاعله. فمثلاً قوله تعالى على لسان قوم سيدنا موسى ﷺ: ﴿يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تَنْبِت الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا﴾⁽²⁾. فإسناد الإنبات للأرض إنما هو مجاز عقلي علاقته السببية لأن الأرض سبب للإنبات وليست فاعلاً للإنبات. وقد كان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ يقول: "ما رأيت شيئاً إلا وقد رأيت الله قبله"⁽³⁾، ومعنى قوله هذا محمول على العلية والسببية، لأنه رأى أن فاعل الأشياء الحقيقي هو الله تعالى، أما الوسطاء الآخرون فإنهم مجرد أسباب يجرى بواسطتها الفعل. كما قال الله

(1) عبد الله (الشيخ محمد المبارك): في مفهوم الإسلام والإيمان والإحسان، ص 60.

(2) البقرة: 61.

(3) الغراب (محمود محمود): شرح كلمات الصوفية، ج 1، ص 135.

عز وجل على لسان الملك: ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾⁽¹⁾. فلا يشك عاقل في أن واهب الذرية الحقيقي هو الله عز وجل. ولهذا فقد فرق علماء ومفكرو الإسلام بين السبب والعلّة، فقالوا: "إن السبب ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به، أما العلة فهي ما يثبت به الحكم"؛ ويقول الإمام أبو حامد الغزالي في هذا الخصوص: "السبب في الوضع عبارة عما يحصل الحكم عنده، لا به"⁽²⁾، وهكذا تصبح هذه العلاقة السببية بين سائر المحسوسات أشبه بعلاقة (ظرفية occasional) تهيئ المناسبات لقيام علاقات بينها دون إدراك حد العلة المباشرة المؤثرة على مسار حركتها. وهذا المفهوم عن السببية هو الذي أتى بفكرة الاكتساب عند الأشاعرة.

ثم أنه لما تبدل الحس الديني واللغوي عن فهم الجواز، وادعى الإنسان أنه فاعل الأشياء أفحمه القرءان الكريم بقوله تعالى: ﴿أفأرأيتم ما تحرثون * أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾⁽³⁾. فكلمة (تحرثون) أثبتت لهم الحرث لأنه يعتمد على العمل اليدوي وظاهر الحركة من جانبهم، أما بالنسبة للزراعة التي يقصد بها الإنبات وإنماء البذور حتى تصير نباتاً فظاهرها منهم على ما يظنون ولكن الآية أبطلت ظنهم هذا وردت أمر الزراعة إلى الله سبحانه وتعالى.

فإن أكثر دواعي الجواز هو التلميح دون التصريح، والإيماء والتلميح ربما يكون أظهر وأوضح من التصريح. فكما قال الجرجاني: "ترك الذكر قد يكون أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة. وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"⁽⁴⁾.

(1) مريم: 19.

(2) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد): المستصفى، ج 1، ص 60.

(3) الواقعة: 63، 64.

(4) الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، ص 109.

نقول إنه رب ظهور سببه الخفاء، ورب بيان سببه الرمز والإشارة. فسبحان الذى كان ظهوره فى بطونه بكشف أسراره لمن حباه واجتباها، وبطونه فى ظهوره بإبداء شرعه الذى لا يقف على أسراره سواه. وجعل دليل ذلك ظهور معنى الكلام فى التلميح دون التصريح. وهذا هو سر المجاز المفضى إلى الإيمان بالله تعالى، والذى جعله الله حجةً فى كل اللغات، وجعله منحى من مناحى التفكير البشرى يسترشد به الإنسان فى كدحه إلى ربه عز وجل.

وفى إطار هذا المجاز وتبادل المعانى بين الحسى والمعنوى فإن اللغة العربية لها قابلية هذه التحولات والتبادلات. فغالباً ما تبدأ الفكرة فى هذه اللغة بدلالة الحس، مثل قولهم: "قطع الحبل"، ثم تنتقل للدلالة المعنوية، فيقولون (قطع فى الأمر)، أى بث فيه؛ و(الجيش) من جيشان الحركة، و(الجند) من الجند وهى الأرض الغليظة التى لا يسهل طرقها، ثم استعاروها لمناعة المكان الذى يحميه المقاتلون، ثم استعاروها لصلابة المقاتل نفسه فقالوا: (جندى)"⁽¹⁾.

ب) فكرة الفاعل:

إن اللغة الإنجليزية تركز على فكرة الفعل والفاعل. ولا توجد فيها جملة - تامة المعنى - تخلو من الفعل والفاعل، فالإنجليزية تطاردهم فكرتان:

أولاً: إنه لا يحدث شئ فى الدنيا بلا فعل؛ ولهذا انعدمت عندهم فكرة المبتدأ والخبر كما فى اللغة العربية حيث يقول العرب: (الإنجليزية يسيرة).

ثانياً: إنه - فى اللغة الإنجليزية - لكل فعل لا بد من وجود فاعل صريح يكتب ويقرأ أو ينطق به. فالجملة العربية أعلاه تترجم إلى الإنجليزية كالاتى: (English is easy) حيث يعرب الإنجليز كلمة (English) فاعلاً، وليست مبتدأً، ويعربون كلمة (is) فاعلاً للفاعل،

⁽¹⁾ هلال (عبد الغفار حامد): علم اللغة بين القدم والحديث، ص 235 (بتصرف).

بينما نجد في الجملة العربية كلمة (الإنجليزية) أعلاه تعرب في اللغة العربية مبتدأً، وكلمة (يسيرة) تعرب خبراً للمبتدأ، فلا ذكر لفعل ولا لفاعل.

وحتى في الجملة المبنية للمجهول فإن الإنجليزية تصر على وجود فاعل فيها. ولكي نوضح ذلك نأخذ جملتين من كل لغة، الأولى (مبنية للمعلوم active voice)، كقولهم: (Ali wrote the lesson)؛ والجملة الثانية (مبنية للمجهول passive voice) من نفس الجملة الأولى، كقولهم (The lesson was written). فإذا نظرنا في (إعراب parsing) الجملتين نجد الآتي:

1- (على كتب الدرس Ali wrote the lesson).

أعرابها	الكلمة	رقم الجملة
(فاعل subject)	(على Ali)	1
(فعل مبني للمعلوم active verb)	(كتب wrote)	
(مفعول به object)	(الدرس the lesson)	

2- (كُتِبَ الدرسُ The lesson was written).

أعرابها	الكلمة	رقم الجملة
(فاعل subject)	(الدرس the lesson)	2
(فعل مبني للمجهول passive verb)	(كتب was written)	

فالمفعول في اللغة الإنجليزية يحل محل الفاعل ويصبح فاعلاً. أما في اللغة العربية فالمفعول يحل محل الفاعل لكنه لا يصبح فاعلاً، وإنما يكون نائباً للفاعل. ونائب الفاعل لا يفعل الفعل بالأصالة وإنما يفعله بالإنابة والوكالة. وهنا تفسح اللغة العربية المجال لأن يكون الإنسان نائباً وخليفة لله في أرضه. هذا بخلاف ما عليه الأمر في اللغة الإنجليزية التي يكون فيها الفاعل فاعلاً بالحقيقة والأصالة. غير أنه ليس كل من يحل محل الفاعل يسمى فاعلاً وإلاّ لكان الأمر مغالطة فكرية لأنه لا يمكن للدرس أن يَكْتُوبَ نفسه. فنائب الفاعل لا يملك الحق الأصيل في التصرف في الأشياء، وإنما ينفق مما هو مستخلف فيه. ولذلك تأتي اللغة العربية للمخلوق أن يحل محل الخالق إلاّ بمبدأ الاستخلاف.

والطريف في مسألة الفعل والفاعل أن الإنجليز يدركون أن من يعمل العمل أو يفعل الفعل يسمى فاعلاً، أما من يُدْفَع من جهة أخرى لكي يفعل هذا الفعل لا يسمى فاعلاً ولا يعطى فعلاً يستحق الفاعل. مثال قولهم: (We made him go) وترجمتها إلى العربية: (جعلناه يذهب). فالفعل (made) يسمى (finite verb) أى فعلاً محدوداً، وفاعله الضمير الإنجليزي (we)، أما الفعل (go) فهو يطلق عليه تسمية: (فعل غير محدود non-finite verb) لأن فاعله من حيث معناه هو (him) ولكن نفس كلمة (him) تعرب مفعول للفعل (made) الذي فاعله كلمة (we).

إذاً لما كان الفعل (go) لم يأت أصالة عن (him) وإلاّ لتحولت إلى (he) وإنما جاء الفعل من (we) عن طريق (him) الذي دفع لهذا الفعل دفعاً بالفعل (made) ولم يفعله من تلقاء نفسه (from his own accord)؛ لما كان الأمر كذلك فإن الفعل (go) لا يرقى لمستوى الأفعال المحدودة التي تحتاج لفاعل صريح يكتب في الجملة. إنها فطرة الله التي فطر عليها الإنسان فجعلته يدرك وجود فاعل حقيقي وآخر مجازي. وهكذا انساق الإنجليز من حيث لا يشعرون وراء فكرة التوحيد الإسلامية القائلة بأن "من كان حياً بغيره

فهو غير حى، ومن كان فاعلاً بغيره فهو غير فاعل"، وقد اعترفوا بذلك في جملتهم السابقة :
(جعلناه يذهب (We made him go).

ج) الفاعل المستتر:

تمتاز اللغة العربية عن رصيفتها الإنجليزية بأن الأولى تعترف بوجود فاعل مستتر –
هو ضمير يعود معناه على الاسم المذكور قبله. ففى جملة: (على كتب درساً) نجد الإعراب
الآتى:

الكلمة	إعرابها
على	مبتدأ
كتب	فعل ماضى
الضمير المستتر (تقديره "هو") فى (كتب)	فاعل
درساً	مفعول به
الجملة الفعلية (كتب درساً)	خبر المبتدأ

وكذلك اعترف العرب بالفاعل المستتر فى جملة الطلب أو فى جملة الأمر، كقولهم:
قم ! حيث (قم) فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت).

أما جملة (الأمر imperative) في اللغة الإنجليزية فإن فعلها يقع في قسم ال (infinitive)⁽¹⁾ أو (non-finite verbs)⁽²⁾ وهي الأفعال التي لا تحتاج إلى فاعل. وهنا يظهر تناقض الفكر الإنجليزي، إذ كيف يسمى فعلاً وهو لا فاعل له، والمعلوم عقلاً أن لكل فعل فاعل.

ولكن نسبة لأن الإنجليز أصحاب فكر ظاهري مادي يقوم على المادة الملموسة، فإنهم - وإن اعترفوا بـ "الفعل" - لا يعترفون إلاً بالفاعل الظاهر المكتوب أو المنطوق به صراحةً. وهذا ما جعل القراءان الكريم يصف أمثالهم بقوله تعالى: ﴿ووجدلوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾⁽³⁾. وذلك لأنهم أثبتوا عقلاً، أي (الفاعل الصريح) ما نفوه عناداً ومكابرة، أي (الفاعل المستتر الضمني).

غير أننا نجد أن بعض أهل العربية يزعم أن ليس كل من كان فاعلاً في المعنى هو الفاعل الذي قام بأداء الفعل. بل الفاعل عندهم هو كل اسم ذكرته بعد الفعل وأسندت أو نسبت ذلك الفعل إليه. وهذا قول نرده لسبب بسيط هو أن التقديم والتأخير للفاعل يبطل زعمهم هذا؛ ففي قولنا: (علم زيداً محمداً) لا يمكن أن تكون كلمة (زيداً) التي ذكرت بعد الفعل هي الفاعل، ولو أردنا تصحيح قولهم لقلنا إن الفاعل ما أسند إليه الفعل إيجاباً والمفعول ما أسند إليه الفعل سلباً. وهذا التعريف للفاعل يعطينا الفرصة للتقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول مع الاحتفاظ بحركات الإعراب التي تبين لنا سبب الإسناد الموجب وهو أن

(1) يترجم هذا الفعل (infinitive) بكلمة (مصدر) ولكن المصدر في اللغة العربية اسم وليس فعل. إذأ فهي ترجمة تحتاج إلى مراجعة.

(2) ال (non-finite verbs) تشمل الأفعال الآتية: (to-infinitive) مثال: (to go)؛ (bare-infinitive) مثال: (go)؛ (present participle) مثال: (going)؛ ثم أخيراً (past participle) مثال: (gone). فكل هذه الأفعال لا تأخذ فاعلاً في الجملة.

(3) النمل: 14.

يكون الاسم قد قام بالفعل والحدث؛ والإسناد السالب هو الذى يكون الاسم فيه وقع عليه الفعل. أما نائب الفاعل فهو ينوب عن الفاعل فى الرفع وحركة الإعراب ولا ينوب عنه فى فعل الفعل، فهى نيابة فى ظاهر الشكل لا فى حقيقة السلوك والتصرفات كالقيام بالعمل.

(د) العامل والمعمول⁽¹⁾: يذكر أهل العربية أن العامل يتقدم معموله، كتقدم الفعل على الفاعل، والمبتدأ على الخبر، وفى هذا إشارة إلى أسبقية وجود الخالق على مخلوقه والمحدث على الحادث كما نراه فى الترتيب المعهود فى تقدم الفاعل على المفعول.

والعامل قد يكون ظاهراً مثل الأفعال، "كان" وأحواتها؛ "إن" وأحواتها، وغيرها من العوامل الظاهرة؛ والعامل قد يكون محذوفاً (غير ظاهر، أى باطن) مثل عوامل الابتداء والتحذير، الإغراء، الاختصاص، النداء، وغيرها من العوامل المحذوفة. ففكرة العامل - سواء كان ظاهراً أم محذوفاً - فيها إشارة ضمنية إلى القدم الأول وإلى الحادث المخلوق ذى الوجود اللاحق، كما أن فكرة العامل توحى بفكرة السببية أو العلية التى هى من مبادئ الفكر الأولية فى إثبات الخالق عز وجل، قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم﴾⁽²⁾.

مرة أخرى نرى أن الفاعل يسمى عمدة والمفعول يسمى فضلة، والعمدة هو الأساس فى الجملة، كالفاعل المصاحب للفعل بقاعدة: "لكل فعل فاعل"، أما الفضلة قد لا يكون وجوده ضرورياً كالمفعول الذى لا يوجد للفعل اللازم (غير المتعدى)، كقولهم: (نام الطفل). ودائماً ما يقدم العمدة على الفضلة، كتقدم الخالق (واجب الوجود) على المخلوق (جائز أو ممكن الوجود).

(1) ابن هشام (جمال الدين عبد الله الأنصارى): شرح شذور الذهب، ص 120.

(2) الحديد: 3.

هـ) معاني بعض المفردات:

هنالك تشابه في معاني الكلمات العربية والإنجليزية والتي تدل على الإيمان بالله تعالى وعلى التدين. ولكننا هنا نأخذ مثالين فقط مجرد الإشارة إلى غرضنا، ولا يمكننا استيعاب كل الكلمات ذات المضامين الدينية، فمثلاً:

أولاً: يطلق الإنجليز كلمة **(right)** لتعني عندهم (حق) كما تعني (يمين)، وتعني أيضاً (صحيح) أي عكس ما هو خطأ. ويسمى الإسلام باللغة العربية أهل (اليمين) بأنهم أصحاب (الحق) وأنهم على (صواب) و (صحة) رأى.

إذاً - وبالنص اللغوي - أدرك الإنجليز بفطرتهم البشرية أن اليمين والحق والصواب شيء واحد، وأطلقوا عليها كلمة واحدة هي: **(right)**. أدرك الإنجليز ذلك بفطرتهم التي فطر الله عليها الناس جميعهم، ليقيم عليهم الحجة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

ثانياً: نجد كلمة (كفر) في اللغة العربية تعني أنكر وجود الله تعالى والإيمان به. ولكن وجود الله عز وجل حقيقة لا تزول بإنكار الكافر لها. إذاً يكون الكافر قد غطى - مجرد تغطية - على حقيقة موجودة لا نزاع فيها بين العقلاء، ومضمون التغطية في كلمة (كفر) هي إحدى معاني هذه الكلمة في تفاسير الآيات: ﴿أَعْجِبِ الْكُفَّارَ نَبَاتَهُ﴾⁽²⁾، ذ (الكفار) هنا فسرت بمعنى (الزراع) لأنهم يكفرون أي يغطون البذور في التربة عند عملية الزراعة. وشبيهه بهذه الكلمة نجد الكلمة الإنجليزية **(cover)** (غطاء).

(1) الروم: 30، "فطرة الله" تعني ألزموا واتبعوا دين الله.

(2) الحديد: 20.

إننا لم نتطرق في هذا المجال من إيمانيات اللغة إلى (التورية)⁽¹⁾، ويطلق عليها بالإنجليزية: (pun)، وهي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، أحدهما قريب ظاهر غير مراد والآخر بعيد خفى وهو المراد مثال قول الشاعر نصير الحمامي:

أبيات شعرك كالقصور ولا قصور لها يعوق
ومن العجائب لفظها حر ومعناها "رقيق"

فالمعنى القريب لكلمة: "رقيق" هو العبد المملوك بدلالة كلمة: "حر"، والمعنى البعيد "اللطيف السهل". وفي الحديث أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً وَرَى بغيره⁽²⁾، وكما حدث للشيخ الذي سأله: "مَنْ أَنْتَ؟"، وكان مع النبي ﷺ سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ فأجابه ﷺ بقوله: "نحن من ماء"، وتكمن التورية في اختلاف معنى (ماء) التي فهمها هذا الشيخ بمعنى آخر، لأنه قال: (من ماء، أمن ماء العراق؟)⁽³⁾.

كما نجد في اللغة الإنجليزية من (التورية pun) - مثلاً - قول الشاعر الإنجليزي (دون Donne)⁽⁴⁾:

And having done that
Thou hast done
I fear no more

(1) أغفلنا الحديث عن التورية لأنها لم تستخدم في القرآن الكريم، ويبدو لنا أن استخدامها كثيراً في التهكم والتعريض بالناس، والمراوغة الكلامية ليس هو من أساليب القرآن الكريم، مع أن لها استخدامات أخرى مثل التحايل والتعمية على العدو احترازاً منه.

(2) مذكور (إبراهيم مصطفى وآخرون): المعجم الوسيط، ج 2، ص 1028.

(3) الخليلي (الإمام علي بن يرهان الدين): السيرة الحلبية، ج 2، ص 151.

(4) Cuddon (J. A.) : The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory ، p 711 .

حيث أن كلمة (done) تقوم مقام الشاعر (Donne) ومقام الفعل (done).
إن ما أوردناه من الجوانب اللغوية الداعمة للإيمان لا يستوعب كل دواعي الإيمان
في اللغات، فذكر هذا يطول. ونحسب أن في ما ذكرناه قدراً كافياً للاستدلال على أن
اللغات بما من التفكير والمعاني الدينية ما يشحذ همّة الإيمان بالله تعالى في قلب الإنسان.
إننا عندما نتحدث عن جوانب الإيمان في اللغات إنما نحاول أن نثبت للغة
الإنجليزية الحد الأدنى من مؤهل المنافسة في التحدي القرآني. غير أن الأبواب القادمة سوف
تثبت لنا أن هذه المفاهيم الإيمانية في اللغة العربية أوضح منها في الإنجليزية وأكثر تنوعاً
وعمقاً. ففي الباب القادم - **الدلالات الفكرية في اللغة العربية** - نلقى مزيداً من الضوء
على جوانب الفكر والإيمان المتوفرة في اللغة العربية أكثر منها في الإنجليزية.

قال تعالى:

﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي

وهذا لسان عربي مبين﴾

النحل: 103 .

الباب الثالث:

الدلالات الفكرية

في اللغة العربية

الباب الثالث : الدلالات الفكرية فى اللغة العربية

إن اللغة العربية من أكثر لغات الأمم سعة فى الأفق وتنوعاً فى التعبير وغزارةً فى المترادفات وكثافةً فى أساليب الخطاب، وقد ساعد على هذا الثراء اللغوى أن الأمة العربية مكونة من شعوب وقبائل انفردت كل قبيلة منها بلسان ينحرف قليلاً عن بقية الألسن التى تتحدث بها بقية القبائل الأخرى. فقد ذكر علماء اللغة عدة فروق فى لهجات القبائل العربية. ومن مظاهر هذه الفروق نجد الاختلافات فى الأصوات⁽¹⁾ عند قبائل العرب. وفى هذا الإطار يمكننا ملاحظة الآتى⁽²⁾ :

1) إبدال الهمزة (هَاء) فى لغة طىء : فهم يقولون (لهنك) لكلمة (لأنك).

2) إستنطاء هزبل : أى استبداهم العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، مثال ذلك قراءتهم : "إنا أنطيناك الكوثر".

0 3) (أم) الحميرية - لبعض أهل اليمن - التى تفيد التعريف وتقوم مقام أداة التعريف (أل)، وقد نطق بها الرسول ﷺ فى قوله : "ليس من أمير أمصيام فى أمسفر"⁽³⁾ يريد بذلك قول : "ليس من البر الصيام فى السفر"⁽⁴⁾.

(1) لم تتطرق لاختلافهم فى بعض الكلمات ولا المسائل اللغوية الأخرى من أوجه الإعراب التى اختلفوا فيها حتى أسس من أتى من بعدهم ما يسمى بمدرسة الكوفة النحوية أو مدرسة البصرة النحوية، فذكر هذا يطول وليس هنا محله، فليطلب فى مظانه.

(2) ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد) : الصحاح، باب اللغات المضمومة، ص 29.

(3) ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى) : مسند الإمام أحمد، حديث كعب ابن عاصم الأشعري، ص 1745، حديث رقم 24079 (23679).

(4) النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب) : سنن النسائى، كتاب الصيام، باب ما يكره من الصيام فى السفر، ص 547، حديث رقم 2251.

- 4) شنشنة اليمن: وهي إبدال الكاف شيئاً مطلقاً وليس في الوقف فقط، مثال قولهم : (ليش اللهم ليش) بدلاً عن (لييك اللهم لبيك).
- 5) كسكسة ربيعة: فهم يصلون بـ (الكاف) (سيناً) فيقولون (عليكس) لقول (عليك).
- 6) كشكشة أسد: والتي تتمثل في قولهم لضمير المؤنث (إنكش، أعطيتكش). هذا في الوقف، فإذا وصلوا أسقطوا (الشين).
- 7) عنعنة تميم: أي إبدالهم (الهمزة) (عيناً) . فيقولون : (عن محمداً شجاع) ويقصدون: (إن محمداً شجاع).
- 8) قطعة طيء: فهم يقطعون اللفظ قبل تمامه كقولهم: (يا أبا الحك) وهم يقصدون: (يا أبا الحكم). هذا ما يسميه النحويون (الترخيم) وهو حذف آخر المنادى للتخفيف إن كان المنادى معرفة. وقد ورد ذلك في قراءة سيدنا على كرم الله وجهه وقراءة سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (1) في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ (2) لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (3)﴾.

(1) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 16، ص 101.

(2) جاءت قراءتهما بالترخيم - يا مال، أي بجذف الكاف. قيل لابن عباس إن عبد الله بن مسعود قرأ: (ونادوا يا مال)، فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم، وعن بعضهم حسن الترخيم، إنهم يقطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه - أي يغلبهم نطق الكلمة كاملة. ذكره الرمخشي في تفسيره: الكشاف، ج 3، ص 426. أي أراد ابن عباس أن يقول ما أشغلهم بالعذاب الذي هم فيه عن تتبع جماليات الأسلوب الأدبي وترخيم الخطاب اللغوي كما جرت العادة بلسان المترفين.

(3) الرخرف: 77.

مما تقدم ذكره نقف على أمثلة طفيفة لتنوع التعبير العربي وراثته. ولعل هذا التوسع في التعبير والعطاء الثر للغة العربية هو الذى حدا ببعض العلماء ومفسرى القرآن الكريم أن يفسروا حديث الرسول ﷺ: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"⁽¹⁾ بقولهم نزل القرآن على سبع لهجات لقبائل العرب، وهذه القبائل هي: قريش، كنانة، أسد، هزيل، ضبة، سعد ثم ثقيف⁽²⁾. وما اختلفت هذه اللهجات إلا بسبب اختلاف عادات وثقافة هذه القبائل.

إذا فاللغة العربية تدل على ثقافة العرب العامة، كما أنها تدل على ثقافة كل قبيلة أو بيئة على وجه الخصوص. إن دلالة اللغة العربية على البيئة أمر يشهد به أدب هذه الأمة وتراثها الفكرى. سئل الشاعر ابن الرومى عما إذا كان يستطيع أن يأتى بمثل ما أتى به ابن المعتز فى وصف الهلال وذلك فى قول ابن المعتز:

أنظر إليه كزورق من فضة قد أنقلته حمولة من عنبر⁽³⁾

فأجابهم ابن الرومى قائلاً:

"ويحكم ! إنما يصف ماعون بيته". ففى بيت ابن المعتز توجد قصاع الفضة وشقى أنواع العطور مثل الزعفران والعنبر، فجاء تشبيهه للهلال بما هو موجود فى بيته وبيئته من الأوانى المنزلية.

وفى ما يلى نتناول بعض خصائص اللغة العربية باعتبارها الوعاء الذى انسكب فيه فكر ومعتقدات وأخلاقيات العرب.

(1) البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 44 كتاب الخصومات، 4 باب كلام الخصوم بعضهم على بعض، ص 478، حديث رقم 2419.

(2) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 1، ص 77.

(3) عنبر: طيب الزعفران.

1 دلالة الألفاظ على الأفكار: (1)

إن دلالة الألفاظ في اللغة على المعاني والمضامين الفكرية بحسب عقلية الشعب الناطق بلغة ما لى مبحث مترامى الأطراف، بعيد الساحل، عميق الأغوار، وقد كان ذلك هم المشتغلين باللغات وشغلهم الشاغل منذ أقدم العصور. بل إن ذلك يعد من أهم المباحث اللغوية في فرع علم (السيمانطيقا Semantics)، أى علم الدلالات، إذ به يعرف كنه الشئ ومعناه؛ ففي الألفاظ تكمن معاني الأشياء، وباختلافها تختلف المعاني والأفكار بين الشعوب. وفي هذا الشأن يقول الدكتور محمود فهمى زيدان:

"إن التحليل المنطقي لبعض مفردات اللغة وعباراتها مقدمة أساسية ووسيلة ضرورية لفهم المصطلحات الفلسفية التي تصاغ في قالب هذه المفردات والعبارات: فالعناية باللغة أساس لفهم المنطق. وكان الفارابي أول من رأى هذا الرأي"⁽²⁾.

فإذا كان المنطق عند أرسطو هو (أرجانون organon) - أى وسيلة أو آلة - العلوم الأخرى⁽³⁾، فإن اللغة عندنا هي - أيضاً - أرجانون سائر العلوم بما فيها المنطق نفسه؛ لأنه بدون اللغة لا يتم تواصل منطقي. ولهذا كانت اللغة هي أول ما تلقاه أبونا آدم عليه السلام من التعليم، وأول الأدوات التي استخدمت للتواصل بين أئينا آدم وربنا عز وجل. قال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾⁽⁴⁾.

(1) تكلمنا في الباب الأول عن ارتباط اللغة - كجهاز متكامل - بالتفكير ودلالاتها على الأفكار. ولكن في هذا الجزء من الباب الثالث نتناول بشئ من التفصيل دلالة أجزاء اللغة (مثل المفردات) على أسس التفكير.

(2) زيدان (د. محمود فهمى): فلسفة اللغة، ص 153.

(3) وهبة (دكتور مراد): المعجم الفلسفي، ص 43.

(4) البقرة: 31.

وللنظر في دلالة الألفاظ على الأفكار نبدأ باستعراض بعض النظريات⁽¹⁾ التي تتحدث عن المفردات وارتباطها بالمعاني، فنذكر منها ما يلي:

أ) نظرية إفلاطون:

هي نظرية المثل الإفلاطونية، وتنص هذه النظرية على أن المعاني هي النماذج الخالدة أو المثل التي قد صيغت مسبقاً في الوجود، ثم تترجم فيما بعد إلى أرض الواقع والوجود المادي، أي أنه ثمة صور روحانية فوق هذا العالم، وعليه تسبق ماهية الأشياء وجودها⁽²⁾. وذلك لأن أفلاطون كان يرى أن النفس الإنسانية موجودة بصورة مستقلة عن البدن قبل وجوده، ولما كان وجودها هذا متحرراً من المادة تحرراً كاملاً أتيح لها الاتصال بالمثل، أي بالحقائق المجردة عن المادة. والخلال في قوله هذا هو أنه يؤدي إلى قدم النفس، أي قدم ما يراه المسلمون من الحوادث، لأنه يعني أزلية النفس وقدمها بوجودها مع الماهيات القديمة، وذلك لزعم أفلاطون أن نفوسنا قبل أن تولد كانت تحيا بذاتها في معية الماهيات. كما أن فكرة أفلاطون هذه لا تعدو - في نظرنا - سوى كونها تحكماً بشرياً على السلطان

(1) نكتفي بذكر نماذج من بينها العربي والإنجليزي.

(2) يعتبر (الكوجيتو cogitation، أي التفكير التأملی) الديكارتي: (أنا أفكر فإذا أنا موجود) أحد دعائم التأيد الفلسفي الحديث لهذه النظرية. وبالعكس من ذلك نظرية الفلسفة (الوجودية Existentialism) التي تعتبر الوجود سابقاً للماهية. غير أن ديكارت يرى أن تصورنا وفهمنا للعالم الخارجي يعتمد على عدد من (الأفكار ideas) وإن هذه الأفكار هي تلقائية وليست مستقاة من التجربة؛ بينما نجد أن العرب المسلمون يفسرون هذه التلقائية بالإلهام والوحي الإلهي، فالمسألة عندهم تميل إلى التوقيفية أكثر من اعتبارية الصدفة والتلقائية. وفكرة ديكارت هذه قد نقضها ابن سينا قبل عدة قرون من ديكارت على أنها لا يمكن أن تكون من الاستدلال العلمي على وجود الإنسان المفكر ذاته، فليس للإنسان أن يبرهن على وجوده عن طريق فكره. (انظر فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص 101). وانظر: بالي (مرفت عزت): أفلوطين والزعة الصوفية في فلسفته، ص 135.

الإلهى المطلق، قال تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾⁽¹⁾، ففي الآية رد على المنجمين الذين يزعمون أن الأفلاك تفعل في الأرض وتوجه تصرفات سكانها، كما أن فيها رداً على الطبائعيين حيث زعموا أن الطبائع هي الفاعلة في النفوس⁽²⁾. ويمكن أن تكون الآية رداً على كل من يزعم في الخلق زعماً لا أصل له في الدين والعقيدة الإسلامية كقول أفلاطون بعالم المثل المنفضى إلى قدم النفس.

ب) مدرسة فتجنشتين (Wittgenshtein):

وهي القائلة بأن معنى الكلمة هي مجموعة استخدامات الناس لهذه الكلمة في اللغة العادية. أى هي ما تعارف وتواضع عليه الناس من معاني الكلمات والتراكيب. أى "هنالك علاقة تقابل بين مكونات اللغة ومكونات العالم"⁽³⁾. وهذه تقارب النظرية التي تنص على أن المعاني هي الأشياء ذاتها التي نجدتها في العالم، أى أن معنى الاسم هو مسماه. وقد انتقد العالم اللغوى البروفيسور بالمر هذه النظرية قائلاً: "إننا نعطي أسماءً لأشياء موجودة في العالم كما نعطي أسماءً لأشياء لا وجود لها، وهذا دليل على أن الأسماء قد تكون لأشياء خارج تجربتنا في الواقع - مثل قصص الأشباح والجنّيات وغيرها من الروايات الخيالية الأحداث"⁽⁴⁾، أى أن هنالك لغة لأفكار لا وجود لها في اقع البشر، وبهذا يمكن أن يتم اختلاق لحقائق لا وجود لها في دنيا الناس.

(1) الكهف: 51.

(2) القشيري (الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري): تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، ج 2، ص 224.

(3) مجهول (د. فيصل غازي): تحليل اللغة في رسالة فتجنشتاين المنطقية الفلسفية، ص 148.

(4) ترجمة الكاتب عن: (بالمر) Naming، Semantics، F.R. (Palmer) : p 19.

وفي الحقيقة إن منح الأشياء أسماءً بما تبدو هي عليه في ظاهرها فقط هو الذى حدا بالشاعر العربى أن يتهمكم على هذا النوع من التعريفات التى أقل ما يقال عنها: "بعد جهد جهيد فسر الماء بالماء"، فقال هذا الشاعر:

الأرض أرض والسماء سماء والبحر بحر والهواء هواء
كل الرجال على العموم مُدَّكَّر أما النساء فكلهن نساء

ج) النظرية السلوكية (Behaviourism):

تفيد هذه النظرية أن المعانى هى المنبهات التى تثيرها استجابات لفظية. ولكى يوضح لنا هذه الفكرة يورد العالم (بلومفيلد Bloomfield) المثال التالى:

"نفترض أن جاك وجيل يتنزهان. تشعر جيل بالجوع وترى تفاحة على شجرة، فتأتى بصوت يصدر عن حنجرتها ولسانها وشفتيها. يقفز جاك فوق السور ويتسلق الشجرة ويأخذ تفاحة ويأتى بها إلى جيل، ويضعها فى يدها. تأكل جيل التفاحة"⁽¹⁾.

أنظر كيف بسَّطَ هذا العالم التواصل اللغوى البشرى وأحاله إلى نوازع وغرائز بحسب تجارب ونظريات الحافز والمثير التى يجربها علماء النفس فى الغرب على الحيوانات.

(1) هذا يختلف عما ذكرنا من حديث الإمام الغزالي عن الفكر والقول فى الباب السابق. فذاك يعنى أن القول تسبقه فكرة تعمل فى الرأس (فلسان العاقل وراء عقله)، ولكن قول بلومفيلد يعنى أن التصرف اللغوى مبنى على نوازع غريزية هى وليدة اللحظة تجعل صاحبها يصدر أصواتاً تعبر عن حاجته اللحظية.

فقد نسج بلومفيلد مثاله هذا على منوال النظرية السلوكية⁽¹⁾ المتأثرة بعلم النفس، والتي تنص على أن ثمة أحداث ترافق عملية التكلم تربيها كالاتى:

أ- أحداث تسبق عملية التكلم وهى الشعور بالجوع والذى يسميه علماء النفس (الحافز أو المثير stimulus).

ب- عملية التكلم من جيل لطلب التفاحة وهذه العملية تسمى بمصطلح علم النفس (استجابة response).

ج- أحداث عملية تلى عملية تكلم جيل يقوم بها جاك وهى إحضار التفاحة وتسمى (رد الفعل reaction).

ولكن : "إن علماء النفس يعتبرون اللغة ظاهرة نفسية لا بد من اعتماد مبادئ السيكلوجيا لإدراك بنيتها وتباينها"⁽²⁾.

وقد انتقد عالم اللغة نعوم تشومسكى (Noam Chomsky) نظرية بلومفيلد ورأى أن مصطلحات المثير والاستجابة و (العادة habit)، و (التكيف conditioning)، و (التعزيز reinforcement) - وإن كان من الممكن فهمها - تظل فضفاضة جداً فى تطبيقاتها فى مجال اللغة حتى أنها يمكن أن تشمل أى شىء، (أى تتسع لمتناقض الفروض والتفسيرات والنتائج)، وهى لذلك حلو من أى محتوى تجريبى. ففى غياب الاستجابة

(1) لسنا هنا بصدد نقد النظرية، ولكن نود الإشارة والتعليق إلى أن هذه النظرية ترد الإنسان لأصل حيوانى بحت، وتعامل معه على هذا الأساس. ولكن كيف تفسر هذه النظرية المداولات الفكرية التى تتم داخل عقل رجل مفكر مثل بلومفيلد والتى تتناول المجردات والإلهيات؟ وهل يصمد قانون الحافز والاستجابة لاستكناه سر المعراج النبوى ورؤيا الأنبياء والصالحين؟ وهل كل الأفعال وردود الأفعال بما فيها تلك الأصوات الغريزية الصادرة عن الحيوانات - هل كلها لغات متطورة؟

(2) زكريا (دكتور ميشال) : الألسنية - علم اللغة الحديث - المبادئ والأعلام، ص 77.

الواضحة يلجأ السلوكيون إلى حديثهم عن نوع من نوازع النفس هو (الميل للاستجابة **propensity to respond**) وهو غير منظور ولا يمكن ملاحظته. وهم قد فسروا تداعى الألفاظ بأنه استجابات، والموضوعات بأنها مؤثرات (أو مثبرات). ويفسرون تعلم مجموعات محددة من الجمل بنفس الطريقة. لكنهم إما أنهم لا يقولون شيئاً قط عن تكوين الجمل الجديدة، أو يرجعون في هذا الصدد إلى بعض أوجه القياس⁽¹⁾.

ولقد برهنت تجارب علم النفس على أن من المستحيل أن نفسر حقائق الإدراك على أساس سلوكي بحت، وبوصفها مجرد استجابات للمنبهات المادية التي يتلقى الدماغ رسائلها في صورة عدد من الدوافع العصبية المتفرقة، بل يجب، لكي نفسر حقائق الإدراك تفسيراً كاملاً، أن نؤمن بالعقل ودوره الإيجابي الفعال وراء الانفعالات والاستجابات العصبية التي تثيرها المنبهات⁽²⁾.

د- النظرية البراجماتية أو الذرائعية (Pragmatism)⁽³⁾ :

تقول هذه النظرية إن تصورنا لشيء ما يتألف من تصورنا لآثاره العملية. فالتيار الكهربائي - مثلاً - لا يعني مرور موجة غير مرئية في مادة ما. وإنما يعني مجموعة الوقائع مثل إمكان شحن مولد كهربائي، أو أن يدق جرس أو تدور آلة. إذاً فمعنى الكهرباء هو ما تفعله الكهرباء، أي آثارها العملية. فمعيار صدق الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التي تترتب عليها من حيث كون هذا النتيجة مفيدة أو مضرّة، وعليه يصبح أن كل التصورات التي

(1) ليونز (جون): نعوم تشومسكي، ترجمة بابكر عمر عبد الماجد، ص 98.

(2) الصدر (محمد باقر): فلسفتنا، ص 339.

(3) مذهب فلسفي أسسه وليم جيمس (William James) "1842 - 1910 م" وتشارلي ساندرز بيرس (Charles Sanders Peirce) "1839 - 1914 م" - أنظر: وهبة (مجدى) وآخرون: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 77.

لا تنتج عنها آثار مادية ملموسة لا معنى لها. "ولذلك نجد أن الفيلسوف (هنرى بيرجسون) يعرف الحقيقة بأنها اختراع شئ جديد، وليست كشفاً لشئ سبق وجوده"⁽¹⁾. (أى أن علامة الحقيقة أو معيارها العمل المنتج لا الحكم العقلى، وفي مفهومهم هذا ازدياد الفكر والنظر، وإنكار الحقائق والقيم، وإنكار للدين، لأن الإيمان بالفكرة والعقيدة ينبغى أن يأتى أولاً عن اقناع وتثبت بقيمتها الذاتية ثم السعى بمقتضاها مهما قابلنا في طريقنا من صعوبات فضلاً عن افتقاد المنافع وهذا هو منهج الأنبياء)⁽²⁾. ولا يخفى ما فى قول (بيرجسون) هذا من نفى للميتافيزيقيا والإلهيات والمعرفة الاستدلالية والمعلومات الأولية أو (القبلية **apriori**) مثل الزمان والمكان وهى المقولات الفطرية فى وعى الإنسان، و(التي هى فى صميم العقل البشرى حيث يتركز عليها الكيان العلمى فى بحثه عن القضايا الفلسفية، وفى بحثه فى ضوء تلك المعارف القبلية على طريقة الاستقراء والهبوط من العام إلى الخاص)⁽³⁾.

وكل هذه المدارس الغربية تنقسم فى نهاية الأمر إلى فلسفتين رئيسيتين هما فلسفة (العقلانيين **rationalists**) وفلسفة (التجريبيين **empiricists**) فالعقلانيون يرون أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية، بينما يرى التجريبيون أن المعرفة تأتى بالتجربة. لم يكن مفكرو العرب وفلاسفتهم وفقهاؤهم وعلمائهم بمعزل عن هذه القضية الفكرية. فقد شغلتهم واستحوذت على اهتمامهم حتى سجلت لنا كتب اللغة وعلم الأصول والفقه اختلافات وأبحاثاً ثرية وخصبة.

ف نجد أهل اللغة العربية قد اختلفوا فى مسألة كهذه : أى هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، أى الصور المتصورة (المتخيلة) فى ذهن الواضع، أم أنها موضوعة بإزاء

(1) الصدر (محمد باقر): فلسفتنا، ص 164.

(2) حلمى (د. مصطفى): مناهج البحث فى العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب، ص 293 وما بعدها.

(3) بتصرف من: الصدر (محمد باقر): فلسفتنا، ص 87.

الماهيات الخارجية؟⁽¹⁾، فاختار الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه الرأي الأول؛ واستدلوا عليه بأن اللفظ الواحد يتغير بحسب الصورة الذهنية، فإن من رأى شجراً بعيداً وظنه حجراً أطلق عليه لفظ الحجر، فإذا دنا منه وظنه شجراً أطلق عليه لفظ الشجر، فإذا دنا منه وظنه فرساً أطلق عليه اسم فرس، فإذا تحقق منه أنه إنسان أطلق عليه لفظ الإنسان. فبان بهذا أن إطلاق اللفظ دائر مع المعاني الذهنية دون الخارجية، فدل على أن الوضع للمعنى الذهني دون الخارجي.

ويبدو لنا أن هذا هو أحد أسباب الاختلاف في الآراء والأفكار بين البشر، فمن كان لصيقاً بالشئ رآه على غير ما يراه به من كان بعيداً عن هذا الشئ، ولهذا قد يختلف معنى الشئ الواحد بحسب الاختلاف بين رؤية هذا أو ذاك من الناس.

واختار الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ورفاقه الرأي الثاني⁽²⁾، وذكروا أن ثمة مناسبة بين اللفظ ومدلوله تحمل الواضع على أن يضع. ولكنهم - وهذا عيبهم - رأوا أن هذه

(1) مثل هذه النظرة الأحادية للأشياء هي التي أغلقت أبواب الفكر والاجتهاد، لأن فيها تضيق الأفق وتقيده. فاستخدامها في السياسة قد أدى إلى إقصاء الآخر - كما تبين لنا من تاريخ الحكومات الإسلامية التي أعقبت الخلافة الراشدة، وما نتج عنه من استعمار الشعوب وتسلبت العرب على المسلمين. كما أنها تؤدي إلى مغالطات ومماحكات فكرية أشبه ما تكون بتلك التي دارت بين المكفوفين في تعريفهم للفييل ونعته؛ لمس كل واحد منهم جزءاً من الفييل وبناء على ما لمس قام بتعريف الفييل. وإنما في هذا الصدد وإن كنا نرجح الرأي الأول - رأى فخر الدين الرازي - إلا أننا لا نتمادى معه إلى درجة نتجاهل عندها محاسن الرأي الثاني. فالموقف (الانتقائي eclectie) الذي يسير بأوسط المناهج يأخذ من كل مجموعة أحسن آرائها هو الأرجح عندنا وعند من يستمعون القول فيتبعون أحسنه. فالفييل عندنا هو كل الأجزاء التي لمسها كلهم، وليس جزءاً واحداً فقط.

(2) هذه الآراء عن الألفاظ ومعانيها ما هي إلا امتداد لما دار بين علماء اللغة بخصوص نشأة اللغة - أنوفيفية إلهية هي أم مواضعة بشرية اجتماعية؟ فالبحث عن معاني المفردات إنما هو جزء من البحث عن اللغة ككل. لمزيد من التفصيل أنظر الباب الرابع.

المناسبة ذاتية موجبة، بخلاف أهل السنة الذين رأوا أن الله تعالى هو الواضع الأساسي، وهو يفعل الأصلح تفضيلاً منه، لا وجوباً عليه ولو شاء لم يفعل⁽¹⁾.

ورأى الشيرازي هذا يؤخذ به في الحديث عن التغيير والتطور في اللغة، لأن للإنسان وللبيئة يد في إيجاد أو حذف بعض الكلمات. ويؤيد قولنا هذا صياغة الألفاظ وفق أصوات الطبيعة مثل الهمهمة، الشقشقة، الدندنة والطنين، وغيرها من كلمات تدل أصواتها على معانيها⁽²⁾. وهنا أيضاً تختلف الألفاظ والمعاني بحسب اختلاف البيئة ومتطلبات واضع اللغة. وللوقوف على المضامين الفكرية للألفاظ نأخذ بعض الأمثلة:

أولاً: كلمة (الله):

إن اسم الجلالة، أى كلمة: (الله) في اللغة العربية - عند بعض علماء اللغة - مشتقة من عدة معاني منها : أله ألهأ أى تحير لأن العقول تأله أى تتحير في عظمتها؛ ومنها أله إلى كذا بمعنى لجأ إليه لأنه الصمد الذى تقصده وتلجأ إليه كل الخلائق؛ أو من أله ألوهة بمعنى تعبد عبادة؛ أو من لاه الخلق بمعنى خلقهم؛ أو من لاه يلوه لوهأ أو لاه يليه ليها أى تستر تستراً وعلا وارتفع ارتفاعاً. ولكننا نقول إن هذه الاشتقاقات لكلمة "الله" هى مجرد إشارات لمعانٍ للكلمة وليست اشتقاقات لغوية لجذور الكلمة، فإننا مع الرأى بأن كلمة "الله" اسم جامد لا اشتقاق له. وما نود لفت الإنتباه إليه هو أن كلمة "الله" تنعدم في اللغة الإنجليزية، ويستخدم بدلاً عنها كلمة (إله God). ففي الآية : ﴿قل هو الله أحد﴾⁽³⁾ نقرأ

(1) السيوطى (الإمام أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المهر في علوم اللغة وأنواعها، النوع الأول، معرفة الصحيح ويقال له الثابت والمحفوظ، ج 1، ص 47.

(2) نتحدث لاحقاً عن هذا المفهوم بتوسع في هذا الباب، أنظر: (سابعاً: الحروف والأصوات).

(3) الإخلاص: 1.

He is God)

(The One and Only

فكلمة (الله) لا يمكن جمعها ولا تأنيثها، بخلاف كلمة: (God) التي تجمع على لفظ (Gods)، وتؤنث على لفظ (Godess)، وهذا يعكس جذور التفكير الوثني لدى الإنجليز. فهم لم يكتفوا بعدم توحيد الإله، بل إنهم سموه بتسمية الأنثى.

ثانياً : كلمة (عقل):

العقل في اللغة العربية من قولهم (عقال بعير)، أى ما يعقل ويربط به البعير من حبل أو خلافه. وذلك لأن العقل في المنطق العربى هو الذى يعقل الإنسان ويربطه من الانطلاق نحو المساوىء، أى هو رادع للمرء - مثل كوابح السيارة **car brakes** - ضد ارتكاب الشرور والآثام. كما أنه رباط أخلاقي لتقييد المرء وإلزامه ليقف بجانب الخير والفضيلة، فلا يبرحهما. وهذا المعنى لكلمة عقل إنما هو في المقام الأول مدلول أخلاقي أنتجته البيئة العربية القاحلة الصحراوية ذات الوعورة. تلك البيئة التي يكون قاطنوها في أشد الحاجة لضوابط السلوك ومكارم الأخلاق مثل الكرم والفروسية والعفة والشهامة والإنصاف ونصرة المظلوم وإجارة الضعيف وإيواء ابن السبيل. وهذه الإيحاءات الأخلاقية التي يحاط بها العقل عند العرب إنما هي سمة لتفكيرهم كلهم أجمعين، يستوى في ذلك الأمتى منهم والعالم. فها هو المفهوم يظهر جلياً عند مفكرى وفلاسفة العرب والمسلمين. فمثلاً نجد الفارابى يلتقى على عاتق الفيلسوف غرضين من فلسفته؛ أحدهما يكون نظرياً والآخر عملياً: أما الغرض النظرى فإصابة الحق، وأما الغرض العملى فالعمل بهذا الحق وتطبيقه.

فبالنسبة للعقلية العربية⁽¹⁾ هنالك مساوئ وشرور خارج الطبع البشرى لأن الإنسان مفسطور ومجبول على فعل الخير، فقد خلق الله الإنسان على أكمل صورة أخلاقية، وأتم هيئة خلقية، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾⁽²⁾. وهذه الآثام والشرور تكون بسبب إلقاء الشيطان ووسوسة أعوانه في صدور بني آدم. وبالمثل فإن الخير يكون من إلهام الملك وملكته على قلب الإنسان. فظالما أن الخير والشر أمران موجودان في صلب القدر لذا وجب الاحتراز من الشر باعتقاله وكبح جماحه بالعقل الرادع وتقييد الإنسان وإلزامه بنهج الخير. ففكرة العقل عند العرب هي فكرة أخلاقية مثالية في الأساس، تقوم على عدم انطلاق الإنسان خارج نماذج الخير المثالية الخالدة التي صاغها الله عز وجل كفطرة فطر الخلق عليها. قال الله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾⁽³⁾. فالعقل كما يقول العلماء "شرع من الداخل إلا أنه غير معصوم، والشرع عقل من الخارج وله العصمة التامة"⁽⁴⁾.

(1) راجع: نظرية افلاطون من هذا الباب. الفكر الإفلاطوني هو الفكر الغربي الذي يقترب من الفكر العربي في هذا الصدد وذلك بمثالياته التي تكتسى عند العرب بشيء من الروحانية الإلهية، وذلك بمخلق الإنسان الأساسى في أحسن تقويم بفطرة الإيمان بالله تعالى، ثم رده إلى أسفل سافلين بكفره بخالقه عز وجل، ثم الطلب منه أن يرتقى بإيمانه إلى المثاليات الفطرية التي خلق عليها في أحسن تقويم.

(2) التين: 4.

(3) الروم: 30.

(4) بتصرف من: الخفيان (الشيخ عبد المحمود الشيخ الجبلى): موسوعة نظرات في التصوف الإسلامى، ج

3، البيئة والسماع، ص 15.

أما في اللغة الإنجليزية فإن مفهوم العقل يختلف كثيراً عما هو عليه للكلمة العربية :
(عقل)، ففي اللغة الإنجليزية نجد الكلمة المركبة: (common-sense)⁽¹⁾ والتي لو أخذ كل
جزء منها على حدة لوجدنا الجزء الأول يعني: (الإحساس sense)؛ والجزء الثاني منها
يعني: (العام أو المشترك common)⁽²⁾. إذاً فالكلمة التي يطلقها الإنجليز على (العقل) تفيد
ما اشترك فيه عامة الناس وتعارفوا عليه بأنه حسن أو سيء. وتلك هي الأفكار التي بذرت
بذور الفلسفة الوضعية في الغرب حيث تعالج الموضوعات داخل حدود التجربة والخبرة
الإنسانية فقط. وهذا يعكس معتقدتهم بأن الأخلاق من خيرها وشرها إنما هي صنع بشري
يخضع لما تعارف عليه الناس وتداول بين الآباء⁽³⁾؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ

(1) لم نتطرق إلى كلمة (مخ أو دماغ brain) أى العضو الجسدى في الرأس - مركز التفكير
والإحساس. كما لم نتحدث عن كلمة (mind) والتي تفيد التفكير كما تفيد المنع والاعتراض مثل قولهم
بالإنجليزية : (I do not mind coming) بمعنى لا أجد مانعاً من الحضور، أى لا أمتنع عن
الحضور، غير أن المنع في هذه الجملة الإنجليزية يقتصر على صاحب العقل المتكلم. فالفعل غير متعدى
لشخص آخر كمفعول به. أما الفعل (يعقل) - في العربية - فيوحى بالمعنى الأخلاقى للأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر حيث يتعامل المتحدث مع نفسه بجياد ويعقلها كمن ينهى سواه. وكل الكلمات
العربية للعقل مثل (هُي، حَجْر، حَجَى) تفيد المنع والردع، فهي تقارب النهي، والحجر توحى بالحجز
والحصر، الحجى يقترب مخرجها من الحجر.

(2) لا نقصد بعبارة الحس المشترك المفهوم الفلسفى والذى يعنى القوة التي تتأدى إليها المحسوسات كلها
فيجمعها الحس الباطن ويقارنها بغيرها من الصور. وهذا الحس المشترك هو عضو مستقل في الدماغ. بل
نقصد اشتراك الناس في فهم موحد عن شئ بعينه. انظر: المهدي (د. السيد محمد عقيل بن علي): كتاب
دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص 107.

(3) هذا الانسياق الأعمى الذى يمثله قولهم : (keep up with the Johns) ومعناه: (بماشى ويجارى
غيره) - هذا الانسياق الأعمى عابته الآية الكريمة وانتقدتهم عليه. فتنطبق عليهم نزوة الشاعر الجاهلى
الذى قال: وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون⁽¹⁾. هكذا وبحكم النزعة المادية والاتجاه اللاروحي فإن الإنجليز يميلون إلى أحكام المواضعة البشرية والنتائج المعملية التجريبية، لا يعبأون بغير نتيجة حواسهم وآثارها مهما بلغ خداع الحواس عندهم من الخطأ. ولكننا نرى أن الدين قوامه الإيمان بالغيب الذي لا يخضع للحواس الظاهرة. قال تعالى: ﴿الم﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون⁽²⁾. ونسبة لهذه الروح الدينية لدى العرب فإننا نجد أن الكلمة العربية محاطة بالجو الديني والنزعة الروحية المتغلغلة في حنايا اللغة العربية مما يجعل هذه اللغة من أغنى اللغات بالكلمات ذات الدلالات المعنوية مثل المفاهيم الفكرية والروحية والأخلاقية والنفسية. أما الكلمات التي استدانتها اللغة العربية من اللغات الأخرى فهي كلمات ذات دلالات مادية بحتة لا تمت إلى دنيا الروح والأخلاق بشيء البتة، أي استدانوا فقط الكلمات التي تعبر عن أشياء مادية ملموسة. فمثلاً من اللغة الرومية أخذ العرب: الخندريس وهو نوع من الشراب؛ المصطكا وهو علك أبيض نافع للمعدة؛ القسطاس وهو الميزان؛

(1) البقرة: 170.

(2) البقرة: 1، 2، 3.

ومن الفارسية استعربوا الخندق وأصله كنده، أى محفور؛ واستبرق، أى غليظ الحرير وأصله استروه⁽¹⁾.

هذا على زعم من قال إن اللغة العربية فيها كلمات غير عربية أوردتها القرءان الكريم. واستدلوا على زعمهم هذا بأننا لا نجد في الميزان الصرفي مادة (سبرق) لكلمة (استبرق) ولا مادة (سجل) لكلمة (سجيل). ولكن رأيهم هذا يفنده أن هذه الكلمات لها أصل وتركيب عربى محض. فبرق يبرق استبرق هى من البريق - أى اللمعان - الذى هو أميز صفات الحرير المسمى (استبرق)، فجرى الوصف على الاسم. كما نجد في القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة﴾⁽²⁾، فالقنطار يساوى "ألف دينار وأثنا

⁽¹⁾ قال الإمام الفخر الرازى: ما وقع في القرءان الكريم نحو المشكاة والقسطاس والاستبرق والسجيل لا نُسلّم أنّها غير عربية. بل غايته أن وضع العرب وافق فيها لغة أخرى كالصابون والتنور، فإن اللغات فيها متفقة وكذلك قال ابن فارس في فقه اللغة.

كما ذكر الدكتور على عبدالواحد وافي: (فقه اللغة) أنه قد يقع التوارد بين اللغات دون أن تستعير أحدهما من الأخرى؛ أى أنه مجرد توارد نحواطر بين أهل اللغات المتباينة، وقد أورد لذلك أمثلة منها: (أفتح عينيك! Open your eyes!؛ حانته قواه His power betrayed him)؛ (تبادلا الشنائم They exchanged insults).

وغاية ما نقوله في هذا المضمار أن القرءان الكريم وجد العرب قد امتلكوا هذه الكلمات واستخدموها كثيراً حتى أصبحت هذه الكلمات عربية بالتجنس (إن لم يكن بالميلاد) وذلك نسبة لطول مكنتها في بلاد العرب. وعليه فإننا لا ندين بأن في القرءان الكريم كلمات غير عربية. وقد وصفه المولى عز وجل بأنه: ﴿قرءاناً عربياً غير ذى عوج﴾ - الزمر : 28؛ فإن كان فيه عوج اللسان خرج عن وصف العربية - وحاشاه. قال بكر بن عبد الله المزني في معنى: (غير ذى عوج): غير ذى لحن. (أنظر تفسير القرطبي، ج 15، ص 221).

⁽²⁾ آل عمران: 14.

عشر ألف درهم"⁽¹⁾، والدينار والدرهم إنما هي مقادير عربية. أما كلمة قسطاس فنجدتها في مادة قسط وتعني (جار)؛ وأقسط وتعني (عدل)، أما عن قولهم بأن كلمة (صرط) مأخوذة من الكلمة الرومية أخذاً عن اللاتينية (**stratum** والتي تعني "طبقة" أكثر من معنى طريق)، فننبه إلى أن كلمة (صراط - سراط) - على لغتين - هي عربية الأصل من قولهم سراط الشيء أى ابتلعه وذلك لأن الطريق يتلع المارة. ويا حبذا لو تأملنا الكلمة العامية السودانية (ظرط) أى ابتلع دوماً مضغ⁽²⁾ - فلها أصل في العربية الفصحى. أما كلمة (خندق) إن لم تكن عربية كما هي فقد تكون محرفة من الفعل (كَنَدَ كنداً أى اقتطع)، فالخندق هو قطعة مقتطعة داخل الأرض.

ثالثاً: كلمات العلاقة الأسرية:

مرة أخرى نلمح هذا الفرق في التفكير في كلمات العلاقة الأسرية؛ فمثلاً نجد الإنجليز يطلقون كلمة (**uncle**) لتفيد معنى (عم أو خال) معاً⁽³⁾، ولكلمة (عمة أو خالة) يقولون (**aunt**). أى إن الكلمة الإنجليزية ترتب القرابة حسب الذكورة والأنوثة. فتأخذ الرجل على جانب وتعمل منه (عم أو خال)، بينما تأخذ المرأة لوحدها وتجعلها (عمة أو خالة)؛ وكأما التقسيم لا علاقة له بالأسرة. بل يركز على النوع إن كان ذكراً أم أنثى. وفي هذا تعميم للعلاقة الأسرية، ودليل على ضعف الروابط العائلية، وتقليص لها في كلمتين مبهمتين لا يتبين المرء العلاقة منهما، هل (عم) أو (خال)، مما يجعل العلاقة الأسرية باهتة.

(1) التجيبي (أبو يحيى محمد بن صمادح): مختصر تفسير الطبري، ص 51.

(2) قاسم (أ.د. عون الشريف): قاموس اللهجة العامية في السودان، حرف الظاء، ص 735.

(3) وسبب هذا الخلط هو ضعف تحديد التذكير والتأنيث في قواعد الاسم أو الفعل الإنجليزي. وللخروج من الالتباس فإنهم يقولون (**paternal uncle**) للعم و (**maternal uncle**) للخال.

أما عند العرب فإن لكل علاقة احترامها الخاص وحجمها المقدر، يستوى في ذلك أن يكون ذو العلاقة رجلاً أم امرأة. ولذلك فقد أفردت اللغة العربية لكل علاقة كلمة تخصها وأصبح عند العرب - باعتبار التذكير والتأنيث - أربع كلمات هي: عم، عمة (لجهة الأب)؛ خال، خالة (لجهة الأم)، وهذا يجعل العلاقة الأسرية ممتدة ومتشابكة ومتشعبة، كما أنهما كلمتان باعتبار قرابة الأم أو الأب، مما يجعل العلاقة أيضاً مترابطة، وهكذا نجد التوازن والترابط في الأسرة العربية، حتى صارت الأسرة الواحدة والتي تنحدر من جد واحد تشكل قبيلة بحالها (مثال قبيلة العركيين في أبي حراز - شرقى ود مدني، في السودان، والتي انحدرت من خالهم محمود العركي الذي دخل السودان في القرن السادس عشر الميلادي)، وليس أدل على ذلك من تصنيف العرب هرمية العلاقة بدءاً بالقبيلة ثم نزولاً للبطن والفتحة. وفي هذه الأسماء إشارة إلى الأجزاء التي يتألف منها الجسد الواحد، والبعض الذي يتألف منه الكل - فالجزء للكل، والكل من الجزء. وعلى هذا الاهتمام بالأسرة نشأ عند العرب ما يسمى علم الأنساب الذي لا نجد عند الأمم الأخرى، وقد ساعدتهم على التمسك بهذا العلم و تطويره حض الإسلام عليه؛ قال رسول الله ﷺ: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم"⁽¹⁾. يلاحظ الهدف الإسلامي الخيّر لتعلم النسب وهو صلة الرحم، وذلك مقارنة بما قامت عليه دراسات (علم الأجناس anthropology) في الغرب حيث قامت على هذا العلم مذاهب شتى، منها ما نحا نحو (التفرقة العرقية racial discrimination) بين الأمم وذلك على أساس (الميزات العرقية racial traits)، و (الميزات الثقافية cultural traits)، مما اتخذ في النهاية مبرراً وذريعة لاستعمار الشعوب المستضعفة بحجة تطوير هذه الشعوب ثقافياً.

(1) الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذى، كتاب البر والصلة، 49 باب ما جاء في تعليم النسب، ج 4، ص 351، حديث رقم 1984.

وفي ذات الوقت فقد قام باب (النسب attribution) في اللغة العربية على إيجاءات هذا الانتماء الأسرى. فالعرب يضيفون (ياء) مشددةً لآخر الاسم لتدل على نسبته إلى مجرد منه، فنقول (زراعى agricultural) نسبة إلى زراعة؛ (سودانى Sudanese) نسبة إلى سودان؛ (سوداوى blackish) من أسود؛ (علمى scientific)؛ (شيوعى communist) نسبة إلى الشيوعية؛ (هندي Indian) نسبة إلى الهند. ففى اللغة العربية تثبت ال (ياء) - ياء النسب - لكل اسم مما يوحى بالالتزام والتقيد بالعلاقة والثبات عليها. بينما فى الإنجليزية تتغير (اللواحق suffixes)، وهى هنا: ist، ian، ic، ish، ese، al، night وأحياناً تترك الكلمة بدون لاحق مثال: (ليلى night) فى عبارة: (حفلى ليلى night party).

وثمة أمر آخر هو أن العلاقة الأسرية العربية لا يحصل فيها تدوير للعلاقات بحيث تضيع الأصول كما يحدث فى اللغة الإنجليزية. فالإنجليز يطلقون على كلمات المصاهرة (father-in-law) لأب الزوج أو أب الزوجة؛ و (mother-in-law) لأم الزوج أو أم الزوجة؛ و (son-in-law) لزوج البنت؛ و (daughter-in-law) لزوجة الابن؛ و (brother-in-law) لأخ الزوج أو أخ الزوجة؛ و (sister-in-law) لأخت الزوج أو أخت الزوجة. فلا توجد كلمة جديدة للمصاهرة، بل هى نفس كلمات الأب والأم والأخ والأخت أُضيف إليها عبارة (in-law) وذلك لأن من يتزوج ينقطع بالقانون عن أسرته لوالديه وينصهر فى أسرة جديدة فيها أصهاره. وأكبر شاهد على هذا الذوبان هو ضياع اسم المرأة التى تتزوج، وانفصامها عن اسم أسرتها لأمها وأبيها، فتأخذ اسم الأسرة التى

ينتمي إليها زوجها⁽¹⁾. ولا يخفى على ذى رأى أن في هذا بتر للجذور وهضم لأهم الحقوق المدنية.

أما العرب فإنهم أكثر تمسكاً بالأصول، وانتماءً للجذور، وحفظاً لحقوق الكل، وإنما يطلقون كلمة (أب) على الصهر من قبيل المجاز وخطاب الإحترام. بينما هو عند الإنجليز أب، وأب بالقانون (father-in-law)، إن جازت التورية.

وفي ذات السياق من العلاقة الأسرية نجد أن في حروف الجر العربية ما يدعم العلاقة الأسرية. يهتم العرب بالأسرة كما ذكرنا آنفاً. ويبدأ هذا الاهتمام بالنوأة المكونة للأسرة من ذكر وأنثى وهما الوالدان. أى تبدأ العلاقة باثنين بهما يتم ربط الكثير من إنتاج الذرية داخل الأسرة الواحدة. ينعكس هذا الفكر الأسرى الترابطى في حروف الجر التى هى أدوات ربط بين اسمين، أى هى أدوات توضح العلاقة بين اسمين، فقولنا الكتاب فى الصندوق يعنى أن العلاقة بين الكتاب والصندوق هى علاقة حلول الأول (الكتاب) فى الثانى (الصندوق)، واشتمال الصندوق على الكتاب. فإن معظم حروف الجر التى توحى

(1) فمثلاً: إن كان اسم البنت (Mary)، و اسم أبيها (David)، فإذا تزوجت من رجل اسمه (Jim) فإنها تصبح (Mrs. Jim) أى تصبح (السيدة جم). يزول حتى اسمها ناهيك عن اسم أبيها أو اسم أسرتها؛ وهذا بالطبع يضيع هويتها الجذرية (roots)، ويفصلها عن منبتها. فإن فكرة احترام الوالدين والتمسك بخدمتهما والمجاهدة فيهما إنما هو سلوك عربى محض وإسلامى بحت. أما العلاقة الأسرية الإنجليزية فهى من البرود بحيث لا يقيم الكبير فيها ولا الصغير وزناً لرعاية البنوة أو الأبوة. والأمر بهذا المستوى من التفكك الأسرى فلا يتحرج الشاب الإنجليزي من مقاضاة والده إن حرمه الوالد من الخروج مع أصدقاء السوء. ففى عالم المسلمين قلما تجد ما نجده عند الإنجليز من دور للمسنين والعجائز، وذلك لأن الأسرة المسلمة لا تتخلى عن كبارها، بل تكن للكبار كل الود، ففى الحديث: "ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر" - الهيثمى (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج 8، ص 3، حديث رقم 12611.

بالاحتواء والانتماء والتداخل (كمضامين أسرية) نجدها مكونة من حرفين اثنين⁽¹⁾ مثال :
(من، عن، مع)؛ فنقول - مثلاً: "فلان ينحدر من أو عن هذه الأسرة ونشأ معها". إن في ذلك إشارة وإيحاء إلى أن ربط الكلام عن الأسرة يمكن أن يتم بحرفين اثنين من حروف الجر - من، عن، مع - كما يتم ربط الأسرة بعلاقة بين شخصين اثنين هما الأب والأم.

رابعاً: تعدد استخدام الكلمة الواحدة:

نتحدث هنا عن هذا التعدد من جانبيين فقط، هما:

أ) **تعدد معاني الكلمة لأكثر من معنى:** إن للكلمة العربية أحياناً عدة معاني. فنخذ مثلاً كلمة (وجدت) نجدها تعني الآتي:

- أ- وجدت ضالتي. من الوجدان، أى لقيتها بعد أن ضاعت.
 - ب- وجدت الولد زكياً. للعلم وحصوله، أى علمت بدكائه.
 - ج- وجدت على غريمي. من الموجدة والغضب، أى غضبت عليه.
 - د- وجدت بالحبيب. من الوجد بمعنى الحب، أى هويته وتفانيت في حبه.
- إن كثرة المعنى للمفردة الواحدة يدل على كثرة استعمال الشيء الواحد. فالثوب - مثلاً - يستعمل للغطاء من الحر والبرد وستارة للمنزل ومخلاة لحفظ المتاع. فالكلمة عند العرب مادة خام تصلح لاستخدامات عديدة. إنه في بيئة بشرية صحراوية قاحلة تتسم بالندرة في الأشياء لا بد من وجود البدائل والاستخدامات المتعددة للشيء الواحد، وذلك

(1) نجد في اللغة الإنجليزية حروف الجر ذات الحرفين مثال: (to ، at ، on ، in)، ولكنها لاتفيد الربط والاشتمال والاستخلاص في العلاقة الأسرية. أما حروف الجر التي تفيد هذه المعاني الأسرية فتتكون من أكثر من حرفين، مثال ذلك: (من from)، (عن about) و (مع with). وهذه الكثرة في حروف الكلمة الإنجليزية - أكثر من حرفين - توحى بالتباعد وتشتيت العلاقة إن استخدمت في النواحي الأسرية.

للخروج من أزمة الندرة وشح الموارد. ولذلك يكون استخدام الكلمة الواحدة لعدة معاني يخرج اللغة من جمود الموقف الواحد والمعنى الواحد. لأن اللغة بقدر ما تصنع الواقع تتأثر به، ولذلك بنفس القدر من التفكير يتوقع من الفرد الواحد أن يكون (كالمفردة اللغوية الواحدة)، أى يؤدي عدة وظائف مختلفة في مجتمع يتوق للترابط والتكافل ومساندة أفرادهم بعضهم البعض.

ب) تضاد معنى الكلمة الواحدة: تكثر ظاهرة التضاد في مفردات اللغة العربية، فنجد الكلمة العربية تعنى شيئاً وفي نفس الوقت تعنى شيئاً آخر مضاداً للمعنى الأول. وقد استغل القراءان الكرم هذه الظاهرة، وجاء بكلمات فيها هذا التضاد في المعنى، فمن ذلك نذكر - مثلاً - كلمة (أسر) تعنى (أخفى)، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾⁽¹⁾. كما أنها - أيضاً - تعنى (أظهر)، قال الله عز وجل: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾⁽²⁾. والتولية أحياناً قد تعنى الإدبار والإعراض، ومنها التولى يوم الزحف؛ قال الله تعالى مسلماً نبيه ﷺ عن عناد الكفار وأعراضهم عن نبيه ورسوله ﷺ: ﴿وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾⁽³⁾. كذلك نجد كلمة: (المولى) قد تعنى (السيد)؛ قال تعالى: ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾⁽⁴⁾. فكلمة (مولانا) في الآية السابقة تعنى سيدنا ومالكنا ومتولى أمرنا. ولكن يختلف معنى التولية في قوله عز وجل: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾⁽⁵⁾. فالتولية هنا تعنى الإيمان بالنبي ﷺ والخدمة والطاعة،

(1) يوسف: 77.

(2) سبأ: 33.

(3) آل عمران: 20.

(4) البقرة: 286.

(5) المائدة: 56.

كما يطلقها العرب على الموالى وهم الرقيق الذين أعتقوا، ولكن استمر ارتباطهم وخدمتهم وولاءهم لمعتقيهم. والعرب يقولون: سيد القوم خادمهم، وخادم القوم سيدهم، أى أن التولية والولاية هى علاقة طردية تبادلية. فإن توليت الله بالتقوى وامتنال أمره واجتناب نواهيه، تولاك هو بالحفظ والعناية وإجابة الدعاء⁽¹⁾. وهذا عندى هو أحد مضامين الحديث النبوى الشريف: "إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، وإذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فأسأل الله....." (2).

والشئ الطريف فى هذه المسألة اللغوية أن العرب تذكر الشئ بضده وذلك على سبيل التفاؤل والتحرج عن ذكر ما يشين المخاطب؛ كقولهم للملدوغ (سليم)، وقولهم (الجلل) لصغير الشأن وكبيره، و قولهم (الجون) للأبيض والأسود، وقولهم (الظن) لليقين والشك⁽³⁾.

فمن هذا التضاد نشأ التوسع فى الفقه الإسلامى. ففى مسائل الطلاق والعدة فى قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾⁽⁴⁾ نجد أن كلمة (القرء) تطلق على

(1) قولنا: إن الله يتولى المؤمن كما أن المؤمن يتولى الله، لا ينبغى أن يذهب إلى دائرة الأفكار الحولية التى تزعم وحدة العابد والمعبود وحلول الخالق فى المخلوق - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. بل نقول كما قال أهل السنة: إن لله تولية تليق به، ولا يشك مبصر أنه يرى بعينه، كما يعتقد أن الله يرى، ولكن مع اختلاف فى كيفية وحجم رؤية العبد مع رؤية الله تعالى، قال تعالى: ﴿فأذكروني أشكروا لى ولا تكفرون﴾ - البقرة 152. فإن لله تعالى ذكراً لنا يليق بجلاله.

(2) الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذى، ج 4، أبواب صفة القيامة، ص 76، حديث رقم 2635.

(3) السيوطى (الإمام أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها، النوع السادس والعشرون، معرفة الأضداد، ج 1، ص 390.

(4) البقرة: 228.

الحيض كما تطلق على الطهر؛ ولا شك أن هذين المعنيين يعطيان مدتين مختلفتين لعدة المطلقة.

كما أن التضاد في اللغة يوسع مجال الخطاب والعلاقات الاجتماعية، ويفسح المجال للعدو أن يصبح صديقاً. فالكلمة تطلق على ضد معناها، فكذلك العلاقة قد تتحول إلى ضدها، مما يعطى الأمل في اكتساب الحسن والمليح، وتبدل السئ والقبیح كما يكسب الاحتراز من السلب والتبدل باتجاه القبيح. وهذه الفكرة تنمو وتزدهر في بيئة ترد الأمر لأسباب خفية ترجع لخالق الكون ومدبر شعونه، ومن ثم يكون المرء على جناحى الخوف والرجاء معاً في علاقته بربه عز وجل.

قيل للعارف بالله تعالى الشيخ أبى يزيد البسطامى رحمته الله: بم عرفت الله؟ قال : بجمعه بين الأضداد. وقول الشيخ يشير إلى حقائق دينية تبدو متناقضة الظاهر لكنها صحيحة في حقيقتها، وهذا ما يسميه الإنجليز بالعبارة الموهمة للتناقض (paradox) . فمثلاً الأسباب حجب إلهية - فالله تعالى هو الفاعل الحقيقى، لكنه يسخر خلقه ليفعلوا، فلا يرى الجاهل فعل الله في أفعال خلقه - وهذه الأسباب لا يصح وضعها (أى رفعها) إلا بها. فعين رفعها سدّها، وحقيقة محوها إثباتها. ففى اللغة ينفى النفى بالنفى فيحصل الإثبات، وفى الرياضيات سلب السالب موجب، أى (- 5 × 3 = 15 +). فإن عدنا إلى محو الأسباب وإثباتها فى آن واحد فقد قال تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾⁽¹⁾. أثبت له الرمى ونفاه عنه. أثبت له الرمى فى حكمه ونفاه عنه فى عينه. فمن الحكمة إبقاء الأسباب مع محو العبد من الركون إليها، على حكم نفى أثرها فى المسببات. فالذين يركنون إلى الأسباب وحدها يُخشى عليهم من سلب التوحيد، والذين يرفضون الأسباب يعطلون الشريعة والمعاملات بين الخلق. فاستدانتك من زيد هى فى باطن الأمر وحقيقته سؤال الله الذى سخر لك قلب زيد

(1) الأنفال: 17.

بالعطاء، كما أنها قيام بحق الشرع الذى يطالبك برد الديون إلى زيد عيناً وإلى الله حقيقةً - ليكون عملك لله وحده، وهى تعاون على البر والتقوى. ولا سبيل إلى نفي الأثنين - الحقيقة والشريعة، وهذا هو مغذى الحديث: "إذا سألت فسأل الله" (1).

فالتضاد فى اللغة العربية يجعل لمن يفكر بها عينين تجريان برؤية ورؤية الحقيقة والجزازة؛ رؤية ورؤية: ﴿إياك نعبد﴾ (2)؛ ورؤية ورؤية: ﴿وإياك نستعين﴾ (3)؛ وما كان منك لم يكن منك. أى ما كان منك على الجزاز لم يكن منك على وجه الحقيقة، بل هو من الله تعالى، فلله الأمر من قبل ومن بعد، فهو الأول والآخر، وهو المتصرف فى حضرتى الأزلى والأبد وما بينهما من حضرتى الشريعة والحقيقة.

خامساً: الاشتقاق (Derivation):

يقول الإمام السيوطى: "الاشتقاق من أغرب كلام العرب وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله ﷺ لأنه أوتى جوامع الكلم، وهى جمع المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة. فمن ذلك قوله ﷺ: "يقول الله عز وجل: (أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها من اسمى) (4) (5)".

(1) الحديث سبق تحريجه فى نفس الباب، ص 79.

(2) الفاتحة: 5.

(3) الفاتحة: 5.

(4) ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى): مسند الإمام أحمد، حديث عبد الرحمن ابن عوف الزهرى، ص 153، حديث رقم 1680.

(5) السيوطى (الإمام أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها، النوع الثالث والعشرون، معرفة الاشتقاق، ج 1، ص 345؛ وانظر الحملاوى (أحمد): شذى العرف فى فن الصرف، ص 68.

وينقسم الاشتقاق إلى قسمين:

أ) الاشتقاق الأصغر:

وهو أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة وتركيب لها، ليبدل بالثابت على الأصل، مثال ذلك: (ضارب) من (ضرب).
إنه على منوال الترابط الاجتماعي داخل المجتمع العربي والذي يقوم على الأساس الأسرى والقبلي، فقد نُسج تصنيف الكلمات بحسب نسبتها وانتمائها لقبائل المفردات. ولذلك فإننا نجد في اللغة العربية ما يسمى بالميزان الصرفي، وهو الميزان الذي يقاس به اشتقاق الكلمة من مصدرها. فمن أوزان الكلمات نذكر مثلاً الكلمة ثلاثية الحروف والتي هي الأصل. يصاغ الفعل الثلاثي على وزن (فَعَلَ)، ويقولون عنه (فَاء) الكلمة، (عين) الكلمة و (لام) الكلمة. وللمقابلة الحروف الأصلية التي تزيد عن ثلاثة حروف يكرر (لام) الفعل فتكون الكلمة على وزن (فَعَّلَل). أما الحروف الزائدة فتوضع في الميزان كما هي مع المحافظة على حركات الحروف. والجدولان التاليان يبينان هذه القاعدة:

جدول رقم (1): الكلمة تكون ثلاثية الحروف

الكلمة	كَتَبَ	يَكْتُبُ	كَاتِبٌ	مَكَاتِبٌ	كُتِّبَ	اسْتُكْتُبَ	كِتَابٌ
الميزان	فَعَلَ	يَفْعُلُ	فَاعِلٌ	مَفَاعِلٌ	فَعَائِلٌ	اسْتَفْعَلٌ	فِعَالٌ

جدول رقم (2): الكلمة تكون أكثر من ثلاثة حروف

الكلمة	دَحْرَجَ	إِبْيَضَّ	مَنَاطَرَ	نَوَاطِرٌ	نَطَّائِرٌ	مَزِيدٌ
الميزان	فَعَّلَلٌ	إِفْعَلَّ	مَفَاعِلٌ	فَوَاعِلٌ	فَعَائِلٌ	فَعِيلٌ

وخاصية الاشتقاق هذه منحت اللغة العربية الوسيلة الفعالة لتوليد المعاني بألفاظ جديدة. ترتب هذه الألفاظ من نفس حروف الكلمة الأولى. وهذا الاشتقاق في ذات الوقت من مظاهر منطقية اللغة العربية وموافقته للطبيعة في ربط الجزئيات بالكليات وربط وضم الأجزاء المبعثرة للمعنى الكبير الجامع لها، مما يتيح للعرب مقدرة الربط والتصنيف واللذنين هما أساس الدراسات الفنية والعلمية.

إننا نجد العرب يعرضون الكلمة الوافدة عليهم من لغة أجنبية للموازين الصرفية العربية، (أى لمقاييس قبائل الكلمات)، فما وجدوه قابلاً للإنضمام لهذه القبائل آووه إليهم. ومن لم يبلغ لا كعباً ولا كلاباً⁽¹⁾ من هذه الكلمات فإما أن تكون الكلمة غريبة عن عائلات الكلمات العربية وسيدة عند أهلها الأجانب، وهنا يجيرها العرب ويعترونها ويأوونها على ما هي عليه من قوانين وقواعد الصياغة الأجنبية، مثال ذلك الكلمة الإنجليزية: (psychology) فقالوا فيها (سايكولوجيا)⁽²⁾؛ وكلمة (semantics) أطلقوا عليها لفظة (سيمانطيقا)، بل منهم من يتركها على حالها فيقول (سيمانتك)؛ وكلمة (geography) قالوا عنها (جغرافيا).

أما إن كانت الكلمة الوافدة على العرب غير أساسية عند أهلها، وكانت قابلة للتأثير عليها، فتكون حينئذٍ كلمة أمة يستخدمها العرب ويعلمون عليها شرائطهم وقواعدهم. فمثال ذلك كلمة: (قومس) الرومية والتي لها روح عربية لا تبعد عنها عن قبائل الكلمات العربية. لذلك أخذها العرب وأدخلوها على قبيلة (أمير) لأنها تدخل في مادة (أمر، يأمر) فهو أمير من أولى الأمر). وينطبق ذات التحول على الكلمة الإنجليزية: (technology) التي عدلت لتكون (تقنية) أى من مادة أتقن العمل إتقاناً وتقنيةً.

(1) قبائل كعب وكناب العربية، كناية عن خروج الكلمة عن أهم الأصول العربية).

(2) هنا بخلاف ترجمتهم لها بـ (علم النفس).

هذه هي إذاً خاصية الاشتقاق اللغوي التي يتحدث عنها النحويون. ويذكرون أن اللغة العربية هي اللغة الرئيسة التي امتازت بهذه الميزة بخلاف اللغات الأوربية والتي من أوسعها انتشاراً اللغة الإنجليزية، فلا نجد في الإنجليزية خاصية الاشتقاق بالمستوى الذي نجده في اللغة العربية.

(ب) الاشتقاق الكبير:

تمتاز اللغة العربية بما يسمى بالاشتقاق الكبير كما أورده ابن جني في كتابه "الخصائص"⁽¹⁾. ونعني بالاشتقاق الكبير ترتيب حروف الكلمة في مواقع متعددة يتخذها كل حرف داخل نفس الكلمة فعلى سبيل المثال لدينا أصوات (ج ب ر) والتي تدل على القوة والشدّة كيفما اختلف ترتيب حروفها؛ فنجد، مثلاً:

جبر = جبرت العظم أى قوته، الجبروت القوة، والجبر الأخذ بالشدّة والقهر.

بجر = الأجر هو القوى السرة.

البرج = لقوته ومناعته، البرج هو نقاء بياض العين مما يكسبها قوة.

رجب = رجب الرجل إذا قوته وعظمت أمره. شهر رجب لتعظيمهم إياه وكفهم

القتال فيه.

⁽¹⁾ ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 9 - 26. ويقول علماء اللغة العربية أن أبا الفتح عثمان بن جني هو أول من لفت أنظار أهل اللغة العربية إلى هذا النوع من الاشتقاق. ونحن نجد النحت والإصاق في اللغة الإنجليزية، مثل استخدام اللواحق، كقولهم: (employment) أو السوابق كقولهم: (rewrite). ولا يعد هذا النحت والإصاق من قبيل الاشتقاق (انظر الباب السادس).

الرجبة = ما تسند إليه النخل لتدعيمها والترجيب هو ضم أعذاق النخلة وشدها بالخصوص إلى سفاتها؛ ومن ذلك قولهم في الحديث النبوي الشريف الوارد في الصحيح: "أنا جديها المحكك وعذيقها المرجب"⁽¹⁾.

رجح = الرباجي هو الرجل يفخر بأكثر من فعله ليعظم نفسه ويقوى أمره.

إذاً في الاشتقاق الكبير تحفظ المادة - أى يحفظ مغذاها - دون الهيعة، أى يحفظ المعنى العام للكلمة، ولكن يتغير شكلها وترتيب حروفها. إن هذا النوع من الاشتقاق يدل على التفنن في القول، والثراء في المعنى، والتنوع في التعبير، وتطويع حروف الكلمة الواحدة لكي يشغل الحرف الواحد منها مختلف المواقع في الكلمة الواحدة، ولكي تتسع الكلمة لعدة تقلبات في المعاني. وتوجد هذه المرونة والطواعية لحروف الكلمة في اللغة العربية من الكثرة بحيث تعد سمة أساسية للغة العربية لا تشاركها فيها لغة أخرى إلا في القليل النادر. لأننا وإن وجدنا ما يشبه ذلك الاشتقاق العربي في اللغة الإنجليزية إنما نجد في كلمات متشابهة في بعض الحروف فقط وليست متطابقة في كل الحروف كما في اللغة العربية، فقد أورد البروفسور بالمر⁽²⁾ ما يعرف في الإنجليزية بـ (الإحساس الصوتي Phonaesthetic) والذي نجد فيه بعض الكلمات ذات المدلول الواحد في جملة المعنى العام، فمثلاً نجد الكلمات: **slide**، **slip**، **slither**، **slush** وكلها كلمات تفيد معنى (الحركة الانزلاقية **slippery movement**)، فهذه الكلمات تتشابه في نطق المقطع الأول من كل كلمة، ولكنها ليست

⁽¹⁾ العذيق تصغير عذق أى النخلة. ومعنى التعبير صغيرها المسنود كما ترجب النخلة أى تسند. وهو تصغير تعظيم لأن النخلة يخاف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع ولهذا ترجب وتسند. والحديث في صحيح البخارى، 86 كتاب الحدود، 31 باب رجم الجبلى في الزنا إذا أحصنت، ص 1434، حديث رقم 6830.

⁽²⁾ F.R. (Palmer) : p 23 .، Naming, Semantics

كما في اللغة العربية، أى فهي لا تحتوى على نفس الحروف - بمعنى تطابق حروف الكلمات، وإنما يجمعها الإحساس بصوت واحد أو أصوات متقاربة المخارج، أو هي أشبه بالسجع في بداية الكلمات، وذلك نسبة لتقارب الحروف الأولى من كل كلمة. فالاشتقاق والقياس أصل في لغة العرب. فقد أجمع أهل اللغة أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض. غير أنه لا يمكن أن يكون هذا الاشتقاق على إطلاقه بحيث يشتق كل إنسان ما يريد ومن المادة التي يريد. فليس لنا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ولا أن نقول غير ما قالوه، لأن في ذلك فساد للغة وبطلان حقائقها⁽¹⁾.

سادساً: حركات الإعراب:

يقسم العلامة اللغوى (شليجل Schlegel) اللغات البشرية إلى ثلاثة أنواع، أو إلى ثلاث مجموعات. ونحن بالطبع يهمننا من هذه الأنواع المجموعة التي تنتمي إليها اللغة العربية، وهي اللغة (المتصرفية flexional)، أو اللغة (التحليلية analytic)، وهي إحدى هذه اللغات الثلاث⁽²⁾. وتتميز هذه الفصيحة العربية من اللغات بأن معانيها تتغير بتغير أبنيتها من ناحية (التركيب أى السنطاكس syntax). فإن أجزاء الجملة يتصل بعضها ببعض بروابط مستقلة. فمثلاً الواو القصيرة (الضمة) والنون الساكنة (التنوين) في عبارة: جاء محمدٌ

(1) السيوطى (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، النوع الثالث والعشرون، معرفة الاشتقاق، ج 1، ص 346.

(2) واى (د. على عبد الواحد): علم اللغة، ص 115. أما النوع الثانى فهو اللغة (اللتصقية synthetic/agglutinate) أو (الوصلية agglomerant) وتمتاز بوجود (سابقة prefix) أو (لاحقة suffix) كما في اللغة الإنجليزية، راجع الباب السادس من هذا الكتاب. والنوع الثالث تمثله اللغة الصينية وهي اللغة غير المتصرفية أو العازلة ذات (المقطع الواحد للكلمة mono-syllabic)، فكل كلمة فيها تلازم صورة واحدة، كما لا توجد روابط بين أجزاء الجمل.

(محمدن) تعتبران من الروابط المستقلة وتشيران في هذا التركيب إلى أن مدلول (محمد) هو الذى أحدث هذا التغيير باعتباره فاعلاً.

وشبيهه بحركات الإعراب التصريف الذى يغير في معنى الكلمة بتغيير حركات الإعراب عليها. فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾⁽¹⁾. تغير عمل الفعل (تنكحوا) بتغيير الفتحة أو الضمة على التاء حيث الفعل الأول متعدى على مفعول واحد هو (المشركات) أى لا تتزوجوا، أما الفعل الثانى فمتعدى على مفعولين (المشركين)، وحذف المفعول الثانى وهو (المسلمات) أى لا تتزوجوا المشركين المسلمات. وترجمة الآية إلى الإنجليزية كما يلي:

**Do not marry
Unbelieving women
Until they believe
.....
Nor marry (your girls)
To unbelievers until
They believe**

فنسبة لخلو الفعل (marry) من حركات الإعراب لم يتبين أى المعنيين أريد، لهذا أتى فى الثانى بـ (your girls) ، أى المفعول الثانى.

كما أن جمود صيغة اسم الفاعل (المشركات أو المشركين) فى الإنجليزية على صيغة واحدة (unbelievers) أوجد بدلاً عن ذلك صيغة الصفة (Unbelieving) والموصوف (women). غير أنه لما صرح بالمفعول الثانى أتى باسم الفاعل (unbelievers) للأمن من اختلاط معناه. وهذا أيضاً يدل على مقدرة اللغة العربية على الحذف وإيصال المعنى ولو بحذف المفعول الثانى.

(1) البقرة: 221.

وقد برهن العلامة شليجل على أن أكمل اللغات هي اللغة المتصرفة والتي تعتبر نهاية تطور اللغة الإنسانية⁽¹⁾. كما شهد بهذا الإمتياز المستشرق الفرنسي كارادفو حيث أنصف وأشاد باللغة العربية - وهي من اللغات المتصرفة - فقال: "إن اللغة العربية تنطوي على قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق، ما دام أن إحداث تغيير طفيف في بنية اللفظة العربية يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين العادة النفسية (الكِبَر) وبين الحالة البدنية التي تطابقها (الكِبَر)"⁽²⁾.

فالألف والواو والياء هي حروف اللين وهي أصوات طويلة. وهنالك ما يقابلها من أصوات المد القصيرة: الفتحة والضمة والكسرة. وهذه المدات هي أصوات هوائية أو صائتة، وهي حركات الإعراب التي تلحق بالأصوات الصامتة (أى كل الحروف عدا الألف والواو والياء) ليتوصل بها للنطق بهذه الحروف. لأنه وفي اللغة العربية بالذات لا يمكن أن نبدأ الكلام بنطق الحرف الساكن، فالسكون هو ضد الحركة، والفرق واضح بين: سَنَة، سُنَّة و سُنَّة.

كما تلحق حركات الإعراب هذه نهايات الكلمات لتدل على الفاعل، المفعول، المجرور.... وما إلى ذلك. كذلك تكتب الحركات في البداية أو الوسط لتدل على الاسم، اسم الفاعل، اسم المفعول، فعل الأمر، المبني للمجهول..... وهلم جرا. فالفرق واضح بين الوُضوء (بضم الواو)، وتعني فعل الاغتسال والتوضؤ، وبين الوُضوء (بالفتح) والتي تعني الماء الذي يغتسل ويتوضأ به.

(1) هذا يعني أن القرآن الكريم نزل عندما نضجت آلة الخطاب عند العرب وكملت صناعتها حتى حملت

إلى سوق الأدب في عكاظ حيث كانت تروج بين القبائل العربية.

(2) هلال (د. عبد الغفار حامد): علم اللغة بين القدم والحديث، ص 118.

ولعل الآيتين التاليتين توضحان فرق المعنى بسبب حركة الإعراب - الكسرة أو الفتحة - على (الزاي) من كل كلمة، قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾⁽¹⁾.

إن حركات الإعراب هذه تمكن اللغة من الحركة بحرية وسهولة فيما يختص بترتيب كلمات الجملة، فيتغير - مثلاً - مكان الفاعل والمفعول في الجملة بحسب أهمية كل منهما، كقولهم: كلم موسى ربّه أو كلم موسى ربّه. أما في اللغة الإنجليزية والتي تحتوى على 26 حرفاً، يجمعها قولهم:

The quick dogs jumped over the brown lazy fox.

فإننا نجد أن هنالك أصواتاً طويلة أو قصيرة مثال: (é ê i o y oi ei eau au ui u) وهى أصوات تكتب في شكل حروف توزع داخل الكلمة لتفيد النطق، فمثلاً كلمة (فَصَل) تكتب بالإنجليزية هكذا: (fasala) وذلك بزيادة حرف (a) (الصائت vowel) بعد كل حرف من الحروف (l, s, f) والتي هي حروف (صامتة consonants)⁽²⁾.

(1) الصفات: 72، 73.

(2) يكون الصوت (صائناً vowel) إذا كان النفس الذى يؤدي إلى إصداره يجرى طليقاً لا يعترضه عائق حتى خروجه بحرية من الفم، مثال ذلك الصوت a أو o. ويكون الصوت (صائناً consonant) إذا صادف النفس الذى يؤدي إلى إصداره عائقاً في نقطة ما يعترض حتى خروجه من الفم كالصوت M أو P، وفي اللغة يستخدم مصطلح (الحرف letter) لى يشير إلى شكل الكتابة، ويشير (الصوت sound) إلى كيفية (النطق pronunciation).

فالحركة والفعل في اللغة العربية تتم بفعل فاعل من خارج نظام الحروف، أى
بعلامات وحركات الإعراب، ولا تنشأ من داخل الحروف كما مر بنا في الكلمة الإنجليزية :
(fasala).

وما دام الفعل والحدث يتم بفعل فاعل فإن اللغة العربية تولى اهتماماً كبيراً للمصدر
الخارجي للفعل، وهذا المفهوم العربي في اللغة يشكل أساس مبدأ العلية القائل بأن لكل
حادثة سبباً، أى أن اللغة العربية توحى بالإيمان بوجود فاعل خارج دائرة الوجود المادى
للكلمة. إذاً ففكرة الإله الذى هو خارج نطاق دائرة وجودنا المادى الملموس - بل له وجود
لا نفهمه بالزمان والمكان كما نفهم وجودنا - فهذه الفكرة اللغوية تخلق الاستعداد الفكرى
والروحي لتقبل الدين والإله.

كما أن ربط الجمل بطريقة حركات الإعراب جعل اللغة العربية تتسم بما يسمى
بالتركيب (الجوارى paratax) للجمل، وهو تركيب يقوم على تتابع الجملة في سلك خطى
كتتابع حبات العقد على نسق واحد دون أن تُبنى الجمل على الأخرى أو تفوقها في القيمة
تبعاً لتوزيعها بين جمل أصلية وأخرى تبعية كما في اللغة الإنجليزية.

ففى اللغة الإنجليزية تتركب الجملة تركيباً (بنائياً hypotax)، حيث نرى بعضها
مبنياً على بعض، أى أن جزءاً من الجملة الواحدة يعتمد على جزء آخر من نفس الجملة،
وذلك مثل اعتماد (شبه الجملة المعتمدة dependent clause) أو (شبه الجملة التابعة
subordinate clause) على شبه جملة أخرى تكون (شبه جملة مستقلة independent
clause)، أو (شبه جملة رئيسية main clause). ولا نجد هذا التركيب الجوارى في اللغة
العربية إلا في نطاق ضيق جداً مثل جملة الشرط وجوابه.

فالجملة العربية تنزع للاستقلالية والتمرد على التبعية، وتقيم علاقة الجمل ببعضها
البعض على قدم المساواة وحسن الجوار. بخلاف الجملة الإنجليزية التى تسيطر عليها وتطاردها
فكرة الاستعمار والتابع والمتبوع. إن الجملة العربية تجعل الاسترسال الخطائى في غاية

السلاسة، ولا تعوقه عوائق التبعية والربط الميكانيكى. يتضح هذا التركيب المسترسل واللاجوارى فى الجملة العربية التى تحوى مبتدأ وخبراً؛ مضافاً ومضافاً إليه؛ والفاعل المستتر أى (الضمير المقدر) مثال: (عالم الألسنية يعرف لغات كثيرة)؛ حيث (عالم) مبتدأ ومضاف، و(الألسنية) مضاف إليه. أما كلمة: (يعرف) ففيها ضمير مستتر تقديره (هو) (1).

سابعاً: الحروف والأصوات:

تحوى اللغة العربية 28 حرفاً، وقد جمعها الخليل بن أحمد الفراهيدى فى بيت الشعر التالى (2):

صف خلق خلود كمثل الشمس إذ بزغت
يحظى الضجيج بها بجلاء معطار

وهذا العدد من الحروف لا يوجد ما يفوقه فى اللغات الأخرى، كما أنه عدد يضمن لها الاتساع فى الصوت وتنوع النغم. ويتكون نظامها الصوتى من الآتى (3):

أ- 28 صوتاً صامتاً (consonant sounds) هى جميع الحروف باستثناء ألف المد التى هى (صوت صائت vowel sound).

ب- 3 أصوات صائتة غير قصيرة، أى مدات هى الألف والياء والواو المسبوقة بحركة مناسبة لكل منها.

ج- 3 أصوات صائتة قصيرة هى حركات الإعراب الثلاث (الفتحة، الكسرة والضممة).

(1) ولزيد من البسط والتفصيل فى هذا الموضوع راجع الباب السابق (الفاعل والفاعل المستتر).

(2) السيد (عبد الرؤوف بابكر): المدارس العروضية فى الشعر العربى، ص 113.

(3) دك الباب (جعفر): نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، ص 56.

وهذا النظام الصوتي يحوى ثلاث عشرة صفة صوتية⁽¹⁾ هى الجهر والهمس، الشدة والوسط والرخاوة، الإطباق والإنفتاح، الاستعلاء والاستفال، الزلاقة⁽²⁾ والإصمات، ثم الصفير واللين.

أما مخارج هذه الحروف العربية فهى كما قال ابن الجزرى⁽³⁾:

مخارج الحروف سبعة عشر على الذى يختاره من اختبر

وتتوزع ما بين مخارج جوفية، شفوية أو لسانية. والوسيلة السريعة لمعرفة مخارج أى صوت من هذه الأصوات هى أن تأتى بهمزة قبل الحرف، ثم تنطق بالحرف ساكناً أو مشدداً، فحيث ينقطع الصوت يكون مخارج الحرف.

"وقد استقر أمر المهجاء العربى على عدد محدود من حروف المعجم واضح كل الوضوح بحيث يعرف كل حرف طريق خروجه وتكوينه فى أعضاء النطق التى استطاع العربى أن يستخدمها أحسن استخدام، وبذلك أصبحت العربية لغة الفصاحة. فاللغة الفصيحة هى اللغة التى يتم فيها جهاز النطق الإنسانى فلا تهمل أداة من أدواته وهى التى امتنع فيها اللبس بين حروف اللفظ ومخارج الصوت فلم يلبس فيها حرفان فى مخارج واحد ولم يلبس فيها

(1) واى (د. على عبد الواحد): فقه اللغة، ص 166، وانظر: الأنطاكي (محمد): المحيط فى أصوات العربية ونحوها، ج 1، ص 31.

(2) الزلاقة هى خفة الصوت وحروفها (مر بنفل). لا توجد كلمة عربية الأصل رابعة أو خماسية خالية من حرف من حروف الزيادة (المهزة، النون، التضعيف) إلا وهى تشتمل على حرف أو أكثر من حروف الزلاقة. ولكن متى وجدت كلمة عربية من هذه الطائفة مجردة من حرف من حروف الزلاقة فاحكم بأنها دخيلة على كلام العرب، مثال (عقجش)، وهى كلمة لا معنى لها مثل بما الجوالبقى لنوع من النسج تأباه العربية فى كلماتها. ومن هنا نرى أن الكلمة العربية إن لم يضبطها الميزان الصرفى ضبطها القياس الصوتى.

(3) موسى (عبد الرازق بن على بن إبراهيم): الفوائد التجويدية فى المقدمة الجزرية، ص 19.

مخرجان في حرف واحد، بل جاء كل حرف من حروفها فصيحاً من مخرجه الذي يؤديه غير ملتبس بسائر الحروف ولو كانت مقارنة له في الأداء"⁽¹⁾.

يلاحظ أن اللغة العربية غنية بالأصوات المنغمة والنبرات الموسيقية، الأمر الذي خلق تقابلاً بين صوت الحرف ومعناه. إن عبقرى اللغة العربية ابن جنى قد عقد فصلاً في كتابه الخصائص، أبان في كتابه هذا ما سماه: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، أي تجاور أو تقابل صفة الصوت (الحرف) مع صفة الحدث (المعنى). فالحرف إن لم يدل دلالة واضحة على المعنى فهو يدل دلالة اتجاه، ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول هذا المعنى ويوجه إليه ويوحى به.

ولتأكيد معنى (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) وتناغم الصوت مع حروف الكلمة أنظر قول الشاعر البحتري في وصفه الذئب عندما يكون جائعاً. تتحرك أمعاء هذا الذئب طلباً للأكل والتهام فريسته، وتحدث هذه الأمعاء صوتاً أوجد الشاعر له كلمات تحاكيه. وبيت الشعر كما يلي:

يقضضض (2) عصلاً (3) في أسرتها (4) الردى (5)
كقضضضة المقرور (6) أرعه البرد

(1) هلال (د. عبد الغفار حامد): أصوات اللغة العربية، ص 80.

(2) يقضضض: يسطك ويجعل له صوتاً كصوت تكسر الشيء الجاف القوي.

(3) عصلاً: العصل هو المعى.

(4) أسرتها: حبالها وقبضتها أي مزاريتها، فالأسر هو القيد (حبال الجلد).

(5) الردى: الموت.

(6) المقرور: المصاب بالقر أو البرد القارس. "ومعنى التعبير يحرك الذئب أمعاءه (مزاريته) باشتهاء الطعام

فتسطك أمعاؤه كما تسطك عظام الشخص المصاب بالبرد القارس".

فتكرار حرفي القاف والراء في بيت الشعر يوحى بضاوأة الذئب وارتجافه وتحرك أعضائه للافتراس.

يورد الكاتب العربي زكي الأرسوزي تعليقاً قيماً في هذا الشأن، فهو يقول: "إن الكلمات العربية ذات أصول في الطبيعة، وإن مبدأ الصحة فيها قد تعين من قبل الفطرة، لا من قبل العرف والعادة (الوضع البشري)، وإن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست هي بالعلاقة الاصطلاحية فقط، بمعنى أن اللفظة تشير إلى معناها فقط. بيد أن اللسان العربي ذو بنيان عضوي تنم فيه الكلمة عن المعنى، وتوحى به إجماء، حتى أن اتجاه المعنى هو الاتجاه المتغلب على اللفظة، مما يجعل صاحبه أكثر استعداداً من غيره لفهم الأخلاق والديانة"⁽¹⁾.

هكذا نجد أن أصل الكلمة العربية يتحدد على أساس المقطع الصوتي الذي يشمل بالضرورة صوتاً صائتاً. ولهذا فقد لزم في الكتابة تدوين إشارات تفيد جميع الأصوات الصامتة التي تدخل في المقاطع الصوتية. إذاً فالكتابة العربية لا هي أبجدية تماماً ولا هي مقطعية، إنما هي نمط خاص من الكتابة يدون جميع الأصوات الصامتة عن طريق تخصيص إشارة (حرف) لكل صوت صامت من ناحية. ومن ناحية أخرى يدون الأصوات الصائتة غير القصيرة (المدّات) عن طريق تخصيص إشارات حرف (الألف المدّة، الياء المدّة، والواو المدّة)، وذلك لأنه لا وجود للحركة (الصوت الصائت) بشكل منفصل عن حرف (صوت) صامت تلحقه ليوصل إلى التكلم به، إذ لا يمكن البدء بساكن⁽²⁾ كما أسلفنا.

(1) ذلك الباب (جعفس): نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، ص 74.

(2) استخدم العرب الفعل الثلاثي كأكثر الأفعال وذلك لأن فيه حرف يبدأ به وحرف ينتهي به وحرف ثالث يتوسطهما حشواً. فاء الفعل في البداية متحركة، ولامه بالوقف ساكنة. ولما كانت الحركة تنافي السكون وتباينها جاءت عين الفعل لثلاثاً يفضأوا الحس بالأضداد، فقالوا: فَعَلْ. إذاً يتألف الكلام في اللغة العربية من صوت صامت يعقبه صوت صائت (صامت + صائت)، وهذا يسمى المقطع المفتوح (open syllable).

ثامناً: الإيجاز والحذف:

تتمثل خاصية الإيجاز في اللغة العربية في الحذف. وقد جاء في القاعدة النحوية في ألفية ابن مالك:

وحذف ما يعلم جائز كما تقول : (زيد) بعد: (من عندكما؟) (1)

وقد عد ابن جنى الحذف من باب شجاعة اللغة العربية فقال: إن المحذوف يكون في حكم المنطوق به إذا دلت عليه الدلائل. قال جميل بن معمر:

رسم دار وقتت في طَلِّه كدت أفضى الحياة من جَلِّه

فالكسرة على آخر كلمة (رسم) سببها أن هنالك محذوفاً يجرها وهي كلمة (رُبِّ) إذ كان التعبير (رُبِّ رسم دار).

وثمة شاهد آخر كم تناولته أقلام النحاة، وهو إعراب كلمة (خرب) في العبارة المشهورة: هذا جحرُ ضبٍ خربٍ. تجرى (خرب) وصفاً على (ضبٍ) وإن كانت في الحقيقة وصفاً للجحر وهو محمول على حذف المضاف، لأن التعبير كان: (جحر ضب خرب جحره) فحذف الجحر المضاف إليه الهاء (جحره) وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت بارتفاع الضمير المرفوع فاستتر الضمير المرفوع في نفس (خرب) فجرى وصفاً على ضب - قاله ابن جنى في الخصائص (2).

والقرءان الكريم يحفل بالكثير من شواهد هذا الحذف والإيجاز. قال الله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (3). أى أسأل أهل القرية،

(1) ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 243.

(2) ابن جنى (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 193.

(3) يوسف: 82.

بم حذف المضاف؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾⁽¹⁾ يريد من (تراب) أثر (حافر فرس) الرسول، أنظر المحذوف داخل الأقواس.

وهناك قاعدة أخرى تدل على هذا الإيجاز، وهي أن اللغة العربية لا تحتاج إلى فعل الكينونة أو ما يساويه (أى ما يسميه المناطقة الرابطة المنطقية) في صياغة القضية الحملية. ففي اللغة العربية نقول: على شجاع، ويسمى النحويون مثل هذه الجملة: (مبتدأ وخبره)⁽²⁾؛ ويسمى الفلاسفة: (موضوعاً ومحمولاً)؛ ويطلق عليها المتكلمون تسميتهم: (موضوعاً وصفة)؛ ويسمى الفقهاء: (محكماً ومحكوماً عليه، ومجموع الحكم والمحكوم عليه يسمى القضية). أما في الإنجليزية فلا بد من فعل الكينونة، فنقول: على يكون شجاعاً، وترجمتها: (Ali is brave)، حيث (is) هي فعل الكينونة، أى بمعنى الفعل: (يكون).

والأمر الآخر الذى يشكل نوعاً من إيجاز اللغة العربية هو نوعية الضمائر المستخدمة في الخطاب العربى، مثل الضمائر المتصلة والضمائر المنفصلة. فأحياناً نجد عدم احتياج الفعل للضمائر الشخصية. فالعرب يقولون: أكتب، كتب، أى دونما حاجة للإتيان بالضمير الشخصى الذى يسبق الفعل كما فى قولهم أحياناً: هو يكتب، وحتى فى هذه الجملة الأخيرة فإن فاعل (يكتب) ضمير مستتر تقديره (هو)، أما (هو) التى سبقت الفعل (يكتب) فى هذه الجملة فأعرابها (مبتدأ).

وتارة أخرى يوجز الخطاب العربى بالضمير المتصل، فنقول - مثلاً: (أعلمه) ، التى

يقابلها بالإنجليزية جملة: (I teach him)، ونقول (رماهم) ، فيقابلها بالإنجليزية (He shot)

(1) طه: 96.

(2) الجملة الخبرية تصلنا وحدها بالحق والواقع، فنحن نُبَلِّغُ بشئ فنعرفه معرفة تلقينية، والدين قوامه التلقين. أنظر: جهامى (د. جبرار): الاشكالات اللغوية فى الفلسفة العربية، ص 176.

(them). فها أنت كم ترى الإيجاز العربى تقابله ثرثرة إنجليزية، وذلك لانعدام الضمير المتصل فى اللغة الإنجليزية.

ومما يساعد على نوع من الحذف والإيجاز فى اللغة العربية نجد حروف الجر التى تحتوى فى طياتها معانٍ غزيرة. فنخذ - مثلاً - قوله عز وجل: ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾⁽¹⁾. ففى (الجامع لأحكام القرآن) يفسر الإمام القرطبى هذه الآية فيقول: "إن من اهتدى فتواب اهتدائه له، ومن ضل فعقاب كفره عليه"⁽²⁾. فحرف الجر (له) للثواب والخير يكون للمؤمن، (له بالملكية أو الاستحقاق)، أما حرف الجر (عليه) تفيد استعلاء العذاب على الكافر حتى لا يستطيع الكافر أن يفك نفسه من تحت هذا العذاب الذى جثم على الكافر. قال ابن جنى: "ألا تراهم يقولون : هذا لك، وهذا عليك، فتستعمل (اللام) فيما تؤثره، و(على) فيما تكرهه، قالت الخنساء⁽³⁾ :

سأحمل نفسى على آلة فإما عليها وإما لها"

ترى أن الآية لم تقل: (من اهتدى فتواب اهتدائه له ومن ضل فعقاب ضلاله عليه) بل تم الحذف فى الآية اعتماداً على معانى حروف الجر. إن الإيجاز سمة بارزة فى حديث العرب ولغتهم. "قيل لأبى عمرو أكانت العرب تطيل؟ قال: نعم، لتبلغ (أو لتأكد فى رواية أخرى). قيل: أكانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ

(1) الإسراء: 15.

(2) القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، ج 10، ص 202.

(3) ثعلب (أبو العباس): شرح ديوان الخنساء، ص 33.

عنها"⁽¹⁾. فالذاكرة هي دفتر الأمة التي لا تقرأ ولا تكتب، والإيجاز يساعد على حفظ المادة في الذاكرة.

قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: "كثرة المعنى مع قلة اللفظ هي أن المتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير"⁽²⁾.
فها أنت ترى أن أكثر الحذف والإيجاز يقوم على إضمار المعنى. فلو تأملنا قول حجلة بن نضلة⁽³⁾:

جاء شقيق عارضاً رحمه إن بني عمك فيهم رماح

فالمعنى أن شقيقاً جاء مدلاً بنفسه وشجاعته وقد حمل رحمه بطريقة تدل على هذا الإعجاب والإدلال حتى كأن أحداً لن يقوم له - فأسكتته الشاعر بأن ذكره بأن بني عمه فرسان مثله .
ومن المحذوف ما يعلم قصداً وإن لم يبيح التصريح اللفظي به، وعلى هذا المفهوم انبنى إفتاء الفقهاء في بعض القضايا مثل مسألة المحلل الذي يتزوج المرأة المطلقة ثلاثاً بنية أن يطلقها لزوجها الأول. ففى هذه المسألة يأخذ الفقهاء بالتواطؤ والقصد - وإن غاب التصريح: "فإن القصد في العقود عندهم معتبرة، والأعمال بالنيات، والشرط المتواطئ عليه الذى دخل عليه المتعاقدان كالمفوض عندهم، والألفاظ لا تراد لعينها، بل للدلالة على

(1) ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 83.

وعن هذا الإيجاز يقول علماء اللغة إن الكلام لا يكون من حرف واسم إلا في النداء نحو: يا صالح. ولكنك إن حققت هذا وجدته كلاماً تاماً بتقدير الفعل المضمر الذى هو (أعنى) أو (أريد) أو (أدعو).
ولفظه: (يا) دليل عن هذا الفعل وعلى قيام معناه في النفس.

(2) الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن بن محمد): دلائل الاعجاز، ص 313.

(3) ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 84.

المعاني، فإذا ظهرت المعاني والمقاصد فلا عبرة بالألفاظ لأنها وسائل، وقد تحققت غايتها، فترتب عليها أحكامها"⁽¹⁾. فالقصد عُلِمَ رغماً عن عدم التصريح به. والواقع أن ميزة الحذف والإيجاز تبعد بالمتحدث عن الثثرة المطولة التي لا طائل تحتها، كما أنها تتيح للمرء قراءة أفكار الناس الداخلية، وتنمي فراسة المرء.

تاسعاً: خروج الكلمات عن ترتيبها المعتاد في الجملة:

كثيراً ما تبلغ جرأة الخطاب العربي حداً تخرج فيه الكلمات عن وضعها المألوف في التركيب اللغوي، وعن ترتيبها المعتاد في الجملة. فهناك عدة أنماط لهذا الخروج، نذكر منها ما يلي:

أ- الحذف: وقد تقدم ذكره.

ب- التقديم والتأخير: ويمكن أن نمثل له بالآتي:

1- قال تعالى: ﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾⁽²⁾. تقرأ كلمة (العلماء) بالرفع على أنها فاعل الفعل: (يخشى) مؤخر. وثمة شاهد آخر لهذا التقديم والتأخير، وهو قوله عز وجل: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾⁽³⁾، ففيه تقدم المفعول (إبراهيم) على الفاعل: (ربه). ولكننا لا

(1) الشعراوي (الشيخ الإمام محمد متولى): أحكام الزواج والطلاق والخلع، ص 168، نقلاً عن زاد المعاد، (5/109).

(2) فاطر: 28. وقد يقرأ برفع اسم الجلالة (الله) ونصب كلمة (العلماء) على معنى إنما يعظم الله من عباده العلماء. أنظر: العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين): التبيان في إعراب القرآن، ج 2، ص 1075.

(3) البقرة: 124.

نجد مثل هذا التقديم والتأخير في اللغة الإنجليزية، مما جعل التعبير الإنجليزي يتحول للمبني للمجهول لتقدم (Abraham) العربية فاعل لشبه جملة الفعل المبني للمجهول: (was tried) وذلك في ترجمة الآية:

**And remember that Abrham
Was tried by his Lord**

إن بناء الفعل الإنجليزي للمجهول: (was tried) ينم عن عدم ذكر الفاعل، ولكن أن يشار إلى الفاعل في نفس الجملة (his Lord) مسبقاً ب حرف الجر (by) يفقد البناء للمجهول مضمونه بذلك.

كما نجد أن كلمة (إذ) ظرف محذوف قدره المفسر بقوله (أذكر)⁽¹⁾، وهذا ما فعله التعبير الإنجليزي حيث نجد كلمة (remember). وفي واقع الأمر فإن كل النصوص الإنجليزية ليست ترجمة دقيقة للقرآن الكريم، إنما هي ترجمة لمعاني القرآن الكريم، والمعنى التفسيري يختلف باختلاف المفسر كنجوى أو فقيه أو متكلم أو صوفي، ويأخذ كل مترجم أو مفسر معنى واحداً أو بعضاً من المعاني الكثيرة التي تحويها الكلمة العربية فتجئ الترجمة أو التفسير ظلاً لجسد لا يطال.

2- إنه في كثير من الأحيان يتغير المعنى بسبب التقديم والتأخير. فمثلاً قولك: (أخوك زيد) لا تعني: (زيد أخوك). روى في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه: "صلى بنا رسول الله ﷺ العصر فسلم (وفي رواية ركعتين) فقام ذو اليمين فقال: أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ: كل ذلك لم يكن. فقال قد كان ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: أصدق ذو اليمين؟ فقالوا: نعم. فأتم رسول الله

(1) الصاوي (العلامة الشيخ أحمد بن محمد): حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ج 1، ص 85.

ﷺ ما بقى من صلاته، ثم سجد سجديتين، وهو جالس (بعد التسليم) ⁽¹⁾، فمعنى قوله ﷺ: "كل ذلك لم يكن" أراد أنه لم يكن واحد منهما، لا القصر ولا النسيان، وقول ذى اليمين: "قد كان ذلك" ⁽²⁾، أى لا محالة على نفى الأمرين جميعاً، ولو قال ﷺ: "لم يكن كل ذلك" لكان المعنى: (أنه قد كان بعضه). فانظر إلى اختلاف المعنى فى التقديم والتأخير! وفى رواية أبى داود: "كل ذلك لم أفعل" فقال الناس: "قد فعلت ذلك يا رسول الله" ⁽³⁾.

ج- الحمل على المعنى: جاء فى الآية الكريمة: ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ ⁽⁴⁾. فقد وصف الرحمة بكلمة (قريب) لأن معنى الرحمة فى الآية هو (المطر)، وقيل أراد المكان، أى مكان رحمة الله قريب. فجاء الوصف مذكراً على سبيل حمل الوصف على معناه.

د- تحريف الفعل والخروج به عن قاعدته: وفى ذلك ما جاء من المضاعف مشبهاً بالمعتل، مثل: يمسسك أى يمسك؛ ظللت أى ظلت. ومن أمثلة هذا الخروج عن القاعدة اللغوية نجد - مثلاً - وصف النكرة: (كل همزة، لمزة) بالمعرفة: أى (الذى)، وذلك

(1) ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني): مسند الإمام أحمد، مسند أبى هريرة، ص 688، حديث رقم 9972 (9925).

(2) كلاهما صادق من واقع حاله. نظر ذو اليمين إلى ظاهر ما حدث منه ﷺ؛ بينما تحدث النبي ﷺ عن حقيقة نفسه حيث أن الصلاة لم تقصر فى تلك الحالة، كما أنه ﷺ لا ينسى بمعنى السهو فى عبادته، ففى موطأ مالك: (إنى لأنسى أو أنسى لأسئ). انظر: الزرقانى (الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي ابن يوسف بن أحمد): شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك، ج 1، ص 197.

(3) أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي): سنن أبى داود، 2 كتاب الصلاة، 195 باب السهو فى السجديتين، ص 162، حديث رقم 1015.

(4) الأعراف: 56.

في قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾⁽¹⁾. وعكس ذلك نجد وصف المعرفة (الله) بالنكرة (غافر، قابل، شديد) وذلك في قول الله عز وجل: ﴿حَم * تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾⁽²⁾.

عاشرًا: تعدد القواعد النحوية للتعبير الواحد:

إن التعبير الواحد في اللغة العربية قد يتقلب في عدة أوجه من قواعد (النحو syntax) و (الصرف morphology). فعلى سبيل المثال نجد أن النحاة قد اختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾. فالجمهور على رفع (الحمد) بالابتداء و (الله) الخبر ؛ الحمد تفيد الاستغراق للمبالغة في الثناء واللام في (الله) متعلقة بمحذوف، تقديره واجب أو ثابت.

ويقرأ (الحمد) بالنصب على أنه مصدر فعل محذوف تقديره أحمد الحمد. ويقرأ بكسر الدال (الحمد) اتباعاً لكسرة اللام في (لله). وهذه الأخيرة هي قراءة سيدنا علي زين العابدين عليه السلام وسيدنا الحسن البصري عليه السلام. وهذه القراءة الأخيرة عللت بحسب قاعدة (هذا جحر ضب خرب)⁽⁴⁾. ومنهم من عللها بقوله النحاة المشهورة : (قد يؤخذ الجار بجرم الجار)⁽⁵⁾.

(1) الهمزة: 1 ، 2 .

(2) غافر: 1 ، 2 ، 3 .

(3) الفاتحة: 2 .

(4) راجع: (الإيجاز والحذف) في هذا الباب.

(5) ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين): شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 286.

"و (رب) مجرور على الصفة أو البدل. وقرئ بالنصب على إضمار (أعنى) وقيل على النداء. وقرئ بالرفع على إضمار (هو)"⁽¹⁾. وكل هذا الاختلاف في القراءة جاء على وجه المدح والثناء لأن صفة اسم الجلالة (الله) لم يجرى للشك فيه حتى يحتاج لتخليصه بصفة تحدده، بل جاءت الصفة للثناء عليه، ولم يجرى لتخليص اسم الجلالة من اسم آخر، فلا سمي له عز وجل حتى يخلص اسمه من غيره⁽²⁾.

إذاً فالجملة الواحدة قد تحمل معاني بحسب التفسير النحوي للتركيب، وتصبح الجملة عبارة عن جرعة مركزة من المعاني المتداخلة التي تقبل التحليل لعدة جمل مما يفيد اتساع المعنى وتقلباته. وهذه الخاصية تؤهل الوعاء اللغوي لحمل معاني القرءان الغزيرة، كما أنها توسع باب الاجتهاد والمخارج الفقهية حتى يكلف العبد على سعته، ويعبد الله كل امرئ على سعته وإدراكه وقابلياته الذهنية والروحية؛ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ لَهَا مَوْلَاهَا فِى السَّمَاءِ فَالَّذِينَ بَخِلُوا بِأَمْوَالِهِمْ كَخِلْفَتِهِمْ يُبْذَرُونَ﴾⁽³⁾.

هذا بالإضافة إلى أن مسألة الإضمار - وبالحذف الذى يصاحبها - تعطى العربى المقدرة على قراءة الأفكار الداخلية للإنسان، وتساعد على استنباط ما يسمونه ما وراء الكلمات، كما ذكر سابقاً. ومن هنا نشأ علم التأويل الإشارى لروح الكلمة فى القرءان الكرم بجانب التفسير الدلالى لمبنى الكلمة الحرفى. أما فى اللغة الإنجليزية فإن كل معنى يحتاج إلى تركيب جديد ومغاير ، فلا يحتمل التركيب الواحد تقلبات المعانى كما فى اللغة العربية.

(1) العكرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين): التبيان فى إعراب القرءان، ج 1، ص 5.

(2) ابن جنى (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 400.

(3) البقرة: 148.

إن اللغوى (بروفيسور نعوم تشومسكى Noam Chomsky) صاحب : (النظرية التحويلية التوليدية Transformation Generative Theory) فى اللغة يتحدث عما يسميه اللغويون (البنية السطحية surface structure) و (البنية العميقة deep structure) للجملة الواحدة⁽¹⁾. فنخذ - مثلاً - العبارة التالية:

خلق الله غير المنظور العالم المنظور، وهى باللغة الإنجليزية كما يلى:
(Allah ، who is unseen ، created the world which is seen)

جملة ذات بنية سطحية. ويمكن تحويلها إلى ثلاث جمل، كل جملة منها تعود للبنية العميقة، أى يمكن تحليلها إلى:

أ- (خلق الله العالم Allah created the world).

ب- (الله غير منظور Allah is unseen).

ج- (العالم المنظور the world which is seen).

إذا فالجملة الأولى الكاملة أعلاه ذات بنية سطحية ومتحولة من الجملة أ، ب، ج بواسطة أكثر من تحويل واحد ويؤكد تشومسكى أن البنية العميقة - وإن لم تكن ظاهرة فى الكلام - هى إلى حد كبير أساسية لتفهمه وإعطاءه التفسير الدلائلى. وهذه البنية ضمنية وتتمثل فى ذهن المتكلم أو المستمع.

ولكننا فى اللغة العربية نقصد بتعدد معنى التعبير الواحد هو اختلاف التفسيرات لهذا التعبير دون أن نجري عليه التحويلات التى يقوم بها تشومسكى. وذلك لأن حركات الإعراب فى اللغة العربية تختلف فى نفس الجملة وتبعاً لذلك يختلف تفسير العبارة. أى يمكن إحداث معنى جديد على نفس الجملة المعطاة وذلك بتغيير حركات الإعراب التى بدورها تستفيد من ظاهرة التقديم والتأخير فى وحدات الجملة مثل الفعل والفاعل والمفعول وغيرها.

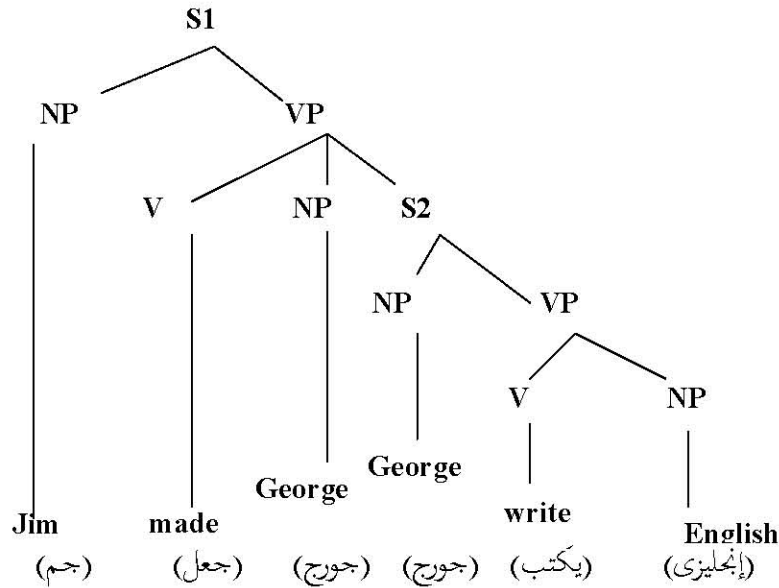
(1) ليونز (جون): نعوم تشومسكى، ترجمة بابكر عمر عبد الماجد، ص 52.

ويمكننا أن نورد مثلاً آخر باللغة الإنجليزية ونحلله إلى التركيب السطحي والتركيب العميق ونبينه على طريقة الرسم بالشكل الهندسي. فمثلاً قولنا: **جم جعل جورج يكتب إنجليزي**، ويقابلها بالإنجليزية **Jim made George write English**، فهذه جملة لها (بنية سطحية (surface structure) كما أن لها أيضاً (بنية عميقة (deep structure)، كما يبينها الشكل أدناه:

وتفسير رموز الشكل كما يلي:

S1 هي البنية السطحية؛ S2 هي البنية العميقة التي يتركز عليها التعبير؛ والرموز

تعني: (Noun Phrase = NP = جملة إسمية)؛ (Verbal Phrase = VP = جملة فعلية)؛ (Verb = V = فعل).

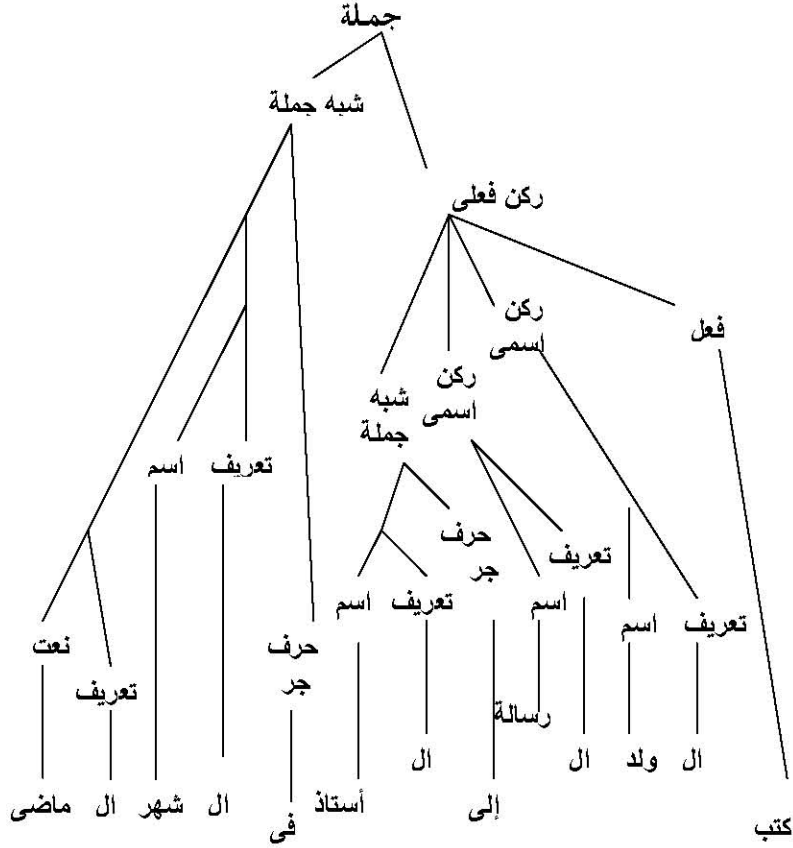


في الجملة أعلاه سهلت الترجمة العربية وتطابق مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة في كلتا اللغتين العربية والإنجليزية.

وبنفس منهج نعوم تشومسكي في تحليل الجملة الإنجليزية لعدة بنيات لغوية: (عميقة وسطحية)، يمكننا صياغة نموذج توليدي للجملة العربية. فلنأخذ - على سبيل المثال - هذه الجملة:

كتب الولد الرسالة إلى الأستاذ في الشهر الماضي.

ولننظر إلى تحليلها في الشكل، في الصفحة التالية:



أنه نسبة لطبيعة الاسترسال في التركيب العري للجملة يلاحظ عدم تبيين البنية السطحية من البنية العميقة للجملة العربية، وإن كان المفهوم للتركيبين متضمن في معنى الجملة.

لسنا بصدد حصر كل الدلالات الفكرية في اللغة العربية، فإنه لا يمكن لكتاب بهذا الحجم المتواضع أن يفعل ذلك. ولكننا قصدنا مجرد إعطاء نماذج من الفكر العري المتمثل في لغة العرب، ولنترك لبقية الأبواب إيراد المزيد من هذه الدلالات الفكرية. وسوف يجد القارئ أن معظم هذه الدلالات الفكرية في اللغة العربية لا يتوفر المطابق لها في اللغة الإنجليزية، وذلك لاختلاف التراكيب وطريقة بناء الجملة بين اللغتين، الأمر الذي يترتب عليه عدم موافاة اللغة الإنجليزية للمعنى القرءاني كاملاً كما نجده في العربية.

وهذه الدلالات الفكرية قد نمت في اللغة العربية واتسعت، وتهدبت كثيراً. وكل ذلك النمو والاتساع والتهذيب قد نتج بفضل ظهور الإسلام وأثره على اللغة العربية. وهذا هو موضوع الباب القادم.

قال تعالى:

﴿وقولوا للناس حسناً﴾

البقرة: 83.

الباب الرابع:

أثر الإسلام على

اللغة العربية

الباب الرابع: أثر الإسلام على اللغة العربية

لقد كان الإسلام ثورة فكرية اجتاحت جميع نواحي التفكير البشرى عامة والعربى بصفة خاصة، حتى أن هذا التأثير الإسلامى قد امتد ليشمل لغة العرب. بدأ تأثير الإسلام المباشر على اللغة العربية بتوجيه رسول الله سيدنا محمد ﷺ توجيهاً صريحاً للاستخدام الأمثل للغة حيث قال ﷺ: "لا يقولن أحدكم: عبدى وأمتى، ولا يقولن المملوك ربى وربتى، ليقبل المالك: فتاى وفتاتى، وليقبل المملوك: سيدى وسيدتى، فإنهم المملوكون والرب الله عز وجل"⁽¹⁾. وتبع الصحابة رضى الله عنهم هذا التوجيه النبوى فى العناية باللغة. فقد مر سيدنا عمر ﷺ على قوم يسيئون الرمى، ففرعهم، فقالوا: "إنا قوم متعلمين"، فأعرض عنهم وقال: (والله لخطوكم فى لسانكم أشد على من خطئكم فى رميكم. سمعت رسول الله ﷺ قال لرجل لحن: "أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل"⁽²⁾). وتسمية اللحن ضلالاً هو من عمق بلاغة النبى ﷺ، لأنه تسمية الشئ بما يؤدى إليه. وقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة⁽³⁾.

(1) ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى): مسند الإمام أحمد، مسند أبى هريرة، ص 661، حديث رقم 9465 (9451).

(2) ابن جنى (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 3، ص 249، وكذلك السيوطى (الإمام أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، النوع الرابع والأربعون معرفة الطبقات والحفاظ والتقات والضعفاء، ج 2، ص 396.

(3) خاطر (سليمان يوسف): اللغة العربية للباحثين بها، ص 17. والفيروزآبادى (مجد الدين محمد ابن يعقوب): القاموس المحيط، مقدمة الناشر، ص 5.

وكان الأصمعى يقول: "تعلموا النحو، فإن بنى إسرائيل كفروا بكلمة. قال الله عز وجل: يا عيسى أنت نبي وأنا ولدتك - بتشديد اللام - ومعناها أوجدتك وخلقتك، فحففوها فصار كفرة"⁽¹⁾.

إن اهتمام المسلمين باللغة العربية حدا بالإمام سيدنا على عليه السلام وكرم الله وجهه بأن يوجه عالم اللغة أبا الأسود الدؤلى بأن يضع قواعد اللغة العربية ونحواً ينحو عليه أهل العربية. أجل لقد نزل القرآن على العرب بلغته الرصينة وأساليبه المستحدثة التي تراعى تنوع الخطاب لكل طائفة من المحسنين، المؤمنين، المسلمين، المنافقين والمشركين، وعموم الناس. وأتى القرآن بأنماط من الجدل والحوار في نظم أدهش العرب وأخرسهم وشل ألسنتهم وأعجزهم عن الإتيان بمثله. ثم أعقب هذا الخرس والسكون من جانب العرب عاصفة الإبداع التي بثها فيهم القرآن الكريم. يقول ابن خلدون في مقدمته: "كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذوقها من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم، فإننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجريير والفرزدق ونصيب وغيلان وذى الرمة والأحوص ويشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدراً من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد..... والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما، لكوئها ولجت قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم

(1) خاطر (سليمان يوسف): اللغة العربية للباحثين بها، ص 17. نقلاً عن: مقدمة الصقلى، ص 39، ومعجم الأدباء، ص 71، 72. (ولكننا نتساءل: هل نزلت التوراة باللغة العربية؟ أم هي ترجمة عربية للتوراة، فحاء الخطأ في الترجمة؟)

وارتقت مكانتهم في البلاغة عن ملكات مَنْ قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها⁽¹⁾.

ولم يقتصر هذا الإبداع اللغوي عند العرب - بعد اعتناقهم الإسلام - على الأساليب ونظم الكلام⁽²⁾. بل تعدى ذلك لاهتمامات لغوية مستحدثة حفزهم عليها أمل الوقوف على ما في القرآن الكريم من إعجاز وبلاغة. فكتب ابن قتيبة: (مشكل القرآن)، والجاحظ: (البيان والتبيين)، والفراء: (معاني القرآن)، وكتب أبو عبيدة: (مجاز القرآن)، وغيرها من الكتابات المماثلة. وأرسى قواعد اللغة العربية كل من سيبويه، الخليل، أبو الأسود الدؤلي، الأصمعي، عبد الله بن اسحق، الحضرمي، ابن السكيت، أبو حاتم السجستاني وغيرهم. وكل ذلك فعلوه كما قلنا بغية الوصول إلى أسرار القرآن الكريم. فمثلاً قد أفرد ابن قتيبة للمقلوب باباً في بحوث المشكل؛ فهو يرى أن الشيء يوصف بضده لأحوال عديدة، منها: النسبة، فقد تخضع معاني الألفاظ المنقلبة والمتضادة للنسبة، ويوضح هذا بقوله: "وقالوا للكبير جليل وللصغير جليل، لأن الصغير قد يكون كبيراً عند ما هو أصغر منه، والكبير قد يكون صغيراً عند ما هو أكبر منه. فكل واحد منهما صغير وكبير، ولهذا جعلت (بعض) بمعنى (كل). قال الله عز وجل: ﴿وَلَأَبِين لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾⁽³⁾؛ و

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ، ص 497.

(2) لم نتحدث عن كل العلوم التي بثها القرآن الكريم جملة في آياته وشهد هم المسلمين للبحث فيها كالعلوم الكونية والطبيعية وخلافها. وكل هذه العلوم قد بذر القرآن الكريم بنور مصطلحاتها وألفاظها كالحديث عن النور والضياء ولواقح الرياح وعلم الأجنة وتخلق الجنين داخل رحم أمه وغيرها، من مواضيع علمية وطبية وفلكية، ولا تغفل علم المنطق وأسس التفكير العلمي التي استحدثها القرآن الكريم في آياته التي جادل بها الكفار.

(3) الزخرف: 63.

(كل) بمعنى (بعض)، كقول الله تعالى: ﴿ وَأوتيت من كل شيء ﴾⁽¹⁾ و ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾⁽²⁾.

ومهما يكن من أمر العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم واللغة العربية فإن البصمات الإسلامية على اللغة العربية عديدة وجلية بحيث لا يخطئها دارس القرآن الكريم أو اللغة العربية، ونحن نذكر منها ما يلي:

أولاً: الإهتمامات اللغوية:

لقد أنتج الإسلام مجالات عديدة في البحث اللغوي، وخلق اهتمامات لغوية طريفة على العرب إذ شرع العرب يبحثون في جزئيات لغوية تشمل الآتي:

أ) أصل اللغة⁽³⁾:

إنه لما تساءل المسلمون عن أسماء الله الحسنى وعن صفاته العلية - أتوقيفية هي (أى وحى) أم تعريفية (أى مواضعة بشرية)، امتد بهم هذا التساؤل ليشمل مجال اللغة وأصلها.

(1) النمل: 23.

(2) النحل: 112.

(3) من الملاحظ أن مباحث الإنجليز عن (أصل اللغة origin of language) لا تنطبق إلى الدين، لأن اللغة عندهم صناعة بشرية نشأت إما من أصوات محاكات الطبيعة: (Bow-Wow Theory)، أو من الأصوات الغريزية كالتى يصدرها الإنسان إذا فرح أو غضب: (Pooh-Pooh Theory) أو من أصوات العاملين في جماعة مثل البحارة أو الحمالين: (Yo-He-Ho Theory)، وهنالك نظريات أخرى كلها علمانية (لا علاقة لها بالدين).

فقال المعتزلة إن اللغة اصطلاح وصناعة إنسانية، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾⁽¹⁾، بنسبة اللسان للقوم، فهم ينسبون إحداث الأفعال إلى العباد، بنوا ذلك على ما دانوا به من مبدأ العدل حيث قالوا فيه أن الله لا يخلق أفعال العباد هرباً منهم من أن يقولوا: إن الله خلق الفساد، فهو لا يخلق أفعال العباد الفاسدة، بل المرء يقدر على خلق أفعاله - تعالى الله عما يظنون به من تقصير في الخلق - ولهذا سماهم المسلمون قدرية⁽²⁾.

وقال الأشاعرة هي توقيفية لأن الله وضع معاني الألفاظ، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾⁽³⁾. وفي هذا المعنى جاء في تفسير الجلالين: "أى أسماء المسميات حتى القصعة والقصبة والفسوة والفسية والمعرفة بأن ألقى قى قلبه علمها"⁽⁴⁾. والأسماء عند الأشاعرة يراد بها الأسماء والأفعال والحروف. فالاسم ما أطلق على الشئ ليسميه سواء كان اسماً، فعلاً، حرفاً أم صفة. وحتى على افتراض أن الاسم في الآية يقصد به المعنى النحوى لكلمة اسم والذى يتميز عن الحرف والصفة وغيرها فإن ذلك لا يخرج عن إطار الدليل الأشعري لأنه يكون من باب ذكر الجزء (الاسم) وإرادة الكل (الكلمة).

كما أن الشاهد التاريخي باستقراء الأحداث يؤيد قول الأشاعرة، لأننا نجد أن الطفل يتعلم من اللغة الأسماء أولاً: (بابا، ماما) لأن الأسماء هي معانٍ لأشياء ملموسة لديه، بينما الفعل والصفة بهما تجريد يحتاج لإعمال الذهن والتصريف. والطفل هنا مثله مثل الكبير الذى قد يفهم - بنحو ما - لغة الخطاب ولا سيما إن تبعثها الإشارة، ولكنه لا يعرف

(1) إبراهيم: 4.

(2) بدوى (عبد الرحمن): مذاهب الإسلاميين، ص 49.

(3) البقرة: 31.

(4) الصاوى (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 1، ص 40.

كيف يرد على هذا الخطاب في شكل جملة صحيحة البناء اللغوي، مثلما يدرك الطفل الأحداث والأفعال فيمثل للأمر بالفعل والتكلم ولكنه لا ينطق إلاً بالاسم.

وقال الإمام الغزالي: "قال قائلون: اللغات كلها اصطلاحية؛ إذ التوقيف يثبت بقول الرسول، ولا يفهم قوله دون ثبوت اللغة. وقال آخرون: هي توقيفية؛ إذ الاصطلاح يعرض بعد دعاء البعض البعض بالاصطلاح؛ ولا بد من عبارة يفهم منها قصد الاصطلاح. وقال آخرون ما يفهم منه: قصد التواضع توقيفي دون ما عداه، ونحن نجوز كونها اصطلاحية بأن يحرك الله رأس واحد فيفهم آخر أنه قصد الاصطلاح. ويجوز كونها توقيفية بأن يثبت الرب تعالى مراسم وخطوطاً يفهم الناظر فيها العبارات، ثم يتعلم البعض عن البعض. وكيف لا يجوز في العقل كل واحد منهما ونحن نرى الصبي يتكلم بكلمة أبيه، ويفهم ذلك من قرائن أحولهما في حالة صغره، فإذا الكمل جائز. وأما وقوع أحد الجائزين فلا يستدرك بالعقل؛ ولا دليل في السمع؛ وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽¹⁾ ظاهر في كونه توقيفياً، وليس بقاطع، ويحتمل كونها مصطلحاً عليها من خلق الله تعالى قبل آدم⁽²⁾.

ب) الفاعل الحقيقي:

هنالك مسألة فقهية وقضية عقلية تطرق إليها المسلمون – ولا سيما فلاسفتهم ، وهي قضية ما إذا كان الإنسان مسيراً أم مخيراً في أفعاله. وبالعدوى الفكرية انتقلت هذه الأطروحة إلى علم النحو العربي، فأصبح النحاة العرب يتساءلون عن الفاعل الحقيقي في الجملة. ونشأ ما يسمى بنظرية العامل النحوي الذي عزوه إلى ثلاثة عوامل:

(1) البقرة: 31.

(2) السيوطي (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهري في علوم اللغة وأنواعها، النوع الأول، معرفة الصحيح، ويقال له الثابت والمحفوظ، ج 1، ص 23.

1- العامل اللفظي: مثال قولنا (مررت بعلى). فالباء حرف جر، وهي عامل لفظي. أما إذا كان العمل يخلو من مصاحبة لفظ يتعلق به فالعامل يكون معنوياً كرفع المبتدأ بعامل الإبتداء، ونصب المفعول ورفع الفاعل.

2- عامل المتكلم: إن الفاعل الحقيقي عند بعض النحاة ليس هو العامل اللفظي بل هو المتكلم نفسه. لأن المتكلم هو محدث المعاني الحقيقية، غير أنه نسب هذه المعاني إلى اللفظ الذي قامت بواسطته هذه المعاني، فسمى اللفظ عاملاً لكونه سبباً وليس لأنه فاعل بالحقيقة. وهذا قول المعتزلة. وهو قول يتسق تماماً مع مبدأهم المسمى (العدل) كما ذكرنا آنفاً ورأيهم فيه القائل بخلق الإنسان أفعاله.

3- الفعل هو إلهي: وآخرون يرون أن الفعل لله وإنما العبد مكتسبه. يقول ابن جني: "أما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي عن فعل الله تعالى وإنما تنسب للإنسان كما تنسب إليه سائر أفعاله الإختيارية. فالفاعل الحقيقي عند هذه الطائفة هو الله سبحانه وتعالى"، وفي معرض آخر قال ابن جني: "إن المتكلم وإن كان هو العامل فقد استمد قوته على العمل من الله تعالى. فمن الأفعال العربية ما أتت لازمة مرة ومتعدية مرة أخرى، مثال: غاض الماء وغيضته؛ عاب الشيء وعبته؛ عثمت يده وعثمتها (جبرتها على غير استواء)، فهذه أفعال سواها فيها بين المتعدى وغير المتعدى. فقولهم غاض الماء يعنون به أن غيره أفاضه وإن جرى لفظ العمل للماء، فتجاوزت العرب ذلك إلى أن ظهرت هنالك فعلاً بلفظ الأول متعدياً لأنه قد كان فاعله في وقت فعله إياه وإنما هو مشاء إليه أو معان عليه فخرج اللفظان - لما ذكرنا - خروجاً واحداً فاعرفه"⁽¹⁾. ويشبه ذلك قولهم حركت المسمار فتحرك، وهذه

(1) ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، ج 1، ص 210.

تسمى أفعال المطاوعة، وهي التي يصير الفعل المتعدى فيها لازماً كقولك: أدبته فتأدب، جمعته فاجتمع، قطعته فانقطع، سكبته فانسكب الخ⁽¹⁾.

ومن النحاة من ثار ثورة عنيفة على العامل اللفظي والعامل المعنوي وتعقيداته، كابن مضاء في كتابه: (الرد على النحاة)، وذكر أن هذه المغالطات مما يستغنى النحو عنها. ثم عاب على النحاة تقدير العوامل المحذوفة، واستبعد أن تعمل وهي محذوفة، وقال: "نسبة العمل إلى معدوم على الإطلاق محال".

ونحن هنا لا نتفق مع ابن مضاء. بل نقول إن الضمير المستتر والفاعل الخفي شيء أثبتته منطق التفكير النحوي، فمثلاً الأسباب المانعة للصرف تسعة، اللفظي منها واحد هو شبه الفعل لفظاً نحو (أحمد)، والثمانية الباقية كلها معنوية كالتعريف والوصف وخلافها، فهي نسبة عمل إلى غائب عن الحس فقط ولكنه موجود في المعنى، ومن ثم يأتي الإيمان بوجود الله تعالى الذي لا تراه أعين البشر (رؤية حسية بصرية) ولكن تدركه بصائرهم (رؤيا معنوية).

ج) العلل والتفاسير اللغوية: لقد أثر الدين والفقهاء على اللغة تأثيراً عميقاً حتى أن النحاة نسجوا مباحث اللغة على منوال مباحث الفقه. فتكلموا في علل النحويين وتساءلوا عما إذا كانت هذه العلل كلامية أم فقهية. وجمهورهم على أنها كلامية، أي تجرى على نهج براهين علماء الكلام في إسناد الشيء للحس. فقد كان أبو اسحق الزجاج يقول في رفع الفاعل بدلاً عن نصبه لأن الفاعل واحد والمفعول قد يكون أكثر من واحد، ولأن الرفع ثقيل في النطق فقد رفعوا الفاعل ليقل ما يستقلوه. فهذه علل تستند إلى الحس والتعليل المادى بخلاف علل الفقهاء الذين يذكرون أن عللهم أمارات لوقوع الأحكام، أما وجه الحكمة فنحنى عنا. وإلا فما الحكمة في جعل الصلوات خمساً في اليوم دون غيرها.

(1) الدحداح (أنطوان): معجم قواعد اللغة العربية في جداول، ص 118.

كما حذا اللغويون حذو الفقهاء في بعض تقسيمات النحو العربي فقالوا⁽¹⁾:
الواجب: رفع الفاعل وتأخير عن الفعل، والممنوع: الخارج عن أصول الواجب، والحسن: رفع المضارع والواقع جزءاً بعد شرطٍ ماضٍ، والقبيح: رفع المضارع بعد شرط المضارع، وخلاف الأولى: تقدمت الفاعل الذي كان مفعولاً، والجائز: حذف المبتدأ أو الخبر وإثباته حيث لا مانع من الحذف. فبهذه الأحكام كأنهم يضاھنون قول الفقهاء في أقسامهم لأفعال المكلفين: الواجب، والمحظور، والمباح، والمندوب، والمكروه. كما استخدموا أركان قياس الفقهاء: الأصل، والفرع، والعلة، والحكم فتحدث النحاة عن: الأصل وهو المقيس عليه، والفرع وهو المقيس، والحكم، والعلة الجامعة⁽²⁾.

ومن الأبحاث التي تسرب إليها الأثر الديني هو حديثهم عن النعت (الوصف) وتخرجه. قال اللغوي أحمد بن فارس: "النعت يجري على مجريين: أحدهما تخليص الاسم من اسم - آخر - كقولنا (زيد العطار) و (زيد التميمي)، خلصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه. والآخر على معنى المدح والذم نحو (العاقل) و (الجاهل). وعلى هذا الوجه تجرى أسماء الله عز وجل، لأنه المحمود المشكور المثني عليه بكل لسان، ولا سمي له فيخلص اسمه من غيره"⁽³⁾. فقبل الإسلام لم يكن العرب يهتمون بهذه التفرقة بين نعت التخليص ونعت المدح.

إنه مثلما اقتدى أهل اللغة بالفقه، فإننا نجد اهتمام الفقهاء باللغة العربية وأساليبها. فمثلاً ينطلق علم الفقه من مقاصد اللغة لتناول الأحكام الشرعية، ومن المواضع اللغوية على مستوى الحقيقة والحجاز، مثل قولهم المشترك لا يراد به معناه معاً، والواو لا

(1) جهامي (د. جيران): الإشكالات اللغوية في الفلسفة العربية، ص 121.

(2) نفس المصدر السابق، ص 122.

(3) ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد): الصحاح، باب النعت، ص 52.

تقتضى الترتيب، والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداه، والأمر للوجوب أو للندب وللفور أو للتراخي، والنهي يقتضى الفساد أو الصحة، وغير ذلك مما تطرق إليه الفقهاء.

ومن أمثلة ارتباط الفقه باللغة ما رواه ياقوت في معجمه و قال "كان الفراء يوماً عند محمد بن الحسن فتذاكرا في الفقه والنحو، ففضل الفراء النحو على الفقه، وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو، حتى قال الفراء: قلّ رجل أنعم النظر في العربية وأراد علماً غيره إلا سهل عليه. فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا، قد أنعمت النظر في العربية وأسألك عن باب من الفقه، فقال: هات على بركة الله تعالى. فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته وسجد سجدة السهو، فسها فيهما؟ فتفكر الفراء ساعة، ثم قال: لا شيء عليه، فقال له محمد: لم؟ قال: لأن التصغير ليس له تصغير، وإنما سجدتنا السهو تمام الصلاة وليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت آدمياً يلد مثلك" (1).

وشبيهه بالقصة أعلاه ما روى من حوار دار بين الإمام أبي يوسف وعالم العربية الكسائي. وكان أبو يوسف كثير التهوين من شأن العربية، فأراد الكسائي أن يبين أهميتها وضرورتها فيما هو مجال أبي يوسف وصميم اختصاصه من الفقه والفتيا، فطرح عليه الكسائي هذا السؤال قائلًا: (ما رأيك يا أبا يوسف في رجلين؛ قال لك أحدهما: "أنا قاتل غلامك" - بإضافة "قاتل" إلى "الغلام"، وقال لك الآخر: (أنا قاتل غلامك) - بتوين "قاتل" ونصب "الغلام" به، أيهما تقتص منه؟ فقال أبو يوسف: من كليهما، فقال له الكسائي: أخطأت! القاتل الأول، أما الثاني فإنه يتوعد، ولم يقتل بعد!). هنالك سلم أبو يوسف للكسائي واعترف له بضرورة معرفة اللغة العربية لمن يتصدى للفقه والإفتاء (2).

(1) خاطر (سليمان يوسف): اللغة العربية للباحثين بها، ص 18.

(2) الندوى (محمد نعمان الدين): خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها، ص 63.

د) علم المعاجم: وفي مجال المعاجم اللغوية يمكننا رصد اتجاهين من التطورات التالية:
أولاً: إن علماء المسلمين قد حرصوا على المحافظة على الدين الإسلامى وحفظ القرءان الكريم ولغته - ولا سيما في وجه المد المتنامى من العجمة واللغات الأجنبية الوافدة بسبب دخول أجناس غير عربية في الدين الإسلامى. هذا الحرص جعل هؤلاء العلماء أكثر اهتماماً باللغة العربية، وفي سبيل المحافظ على مفردات اللغة العربية فقد ألفوا المعاجم اللغوية وصحاح العربية.

ثانياً: بالتقاء العرب بحضارة اليونان ونقلهم لفلسفات افلاطون وارسطوطاليس، وبتزايد المد المعرفى والحركة الفكرية والدينية بظهور فرق المتكلمين والمعتزلة والصفوية تطور علم المعاجم ليشمل المعاجم والقواميس التى تخصصت فى مصطلحات هذه العلوم المستحدثة. يقول أهل الفلسفة: "يجب أن تحمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها"⁽¹⁾، وبالطبع فإن أول هذه القوانين المتعارفة هى لغة الخطاب ومصطلح أهل هذه الصناعة أو تلك. فلذلك قد ظهر لدى علماء العرب معجم الفلسفة، ومعجم علم الأصول والفقهاء، ومعجم مصطلحات الصوفية، وغيرها من المعاجم. فكل هذه القواميس سببها تعقيد اللغة الفنية للعلوم المختلفة، يقول الخوارزمى: "ومثال هذه المواضع لفظة الرجعة: فإنها عند أصحاب اللغة المرة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها، وهى عند الفقهاء الرجوع فى الطلاق الذى ليس ببائن، وعند المتكلمين مايزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطى فى العسكر لطمع واحد، وعند المنجمين سير الكواكب من الخمسة المتحيرة على خلاف نضد البروج"⁽²⁾.

(1) جهامى (د. جيران): الإشكالات اللغوية فى الفلسفة العربية، ص 252.

(2) الآمدى (سيف الدين على بن أبى على بن محمد بن سالم): المبين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين، ص 8.

ثانياً: تهذيب الخطاب:

مازلنا نستطرد عن تأثير الإسلام على اللغة العربية. فنجد أن الإسلام قد هذب أسلوب الخطاب العربي، وجعل العرب أكثر احتشاماً في تناولهم لبعض القضايا الخاصة. فصار العرب يقولون: القبل، الدبر، قارب النساء، لمس امرأته، قضى حاجته، نساؤكم حرث لكم، أهجروهن في المضاجع، وقد أفضى بعضكم إلى بعض، فاعتزلوا النساء في الخيض، وما إلى ذلك من التعابير التي تنم عن الذوق الرفيع وخلق الحياء المنيع الذي هو شعبة من شعب الإيمان. وفي مجال الخطاب والكلمة المهذبة قد أنزل دين الإسلام آية تحض، قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾⁽¹⁾؛ وآية تردع في قوله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾⁽²⁾؛ وحديث نبوي يمنع، قال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"⁽³⁾.

فأسلوب الكناية - مثلاً - استخدمه القرءان الكريم ليهدب الخطاب العربي، فعلمهم عدم التصريح في بعض المواقف كخطبة المرأة أثناء عدتها لوفاة زوجها أو المطلقة المتوتة، قال تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرّاً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾⁽⁴⁾. فالتعريض هو الكلام الذي يفهم منه المقصود بطرف خفي، والقول المعروف في الآية هو التعريض وليس التصريح.

(1) البقرة: 83.

(2) لقمان: 6.

(3) البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 78 كتاب الأدب، 31 باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ص 1280، حديث رقم 6019.

(4) البقرة: 235 .

ثالثاً: تغيير معانى الألفاظ:

لقد نقل الإسلام بعض الألفاظ العربية من معانيها المعتادة إلى معاني تستوعب الأحاسيس والأفكار الدينية. فمثلاً كانت الصلاة عند العرب تعني الدعاء⁽¹⁾. بيد أن الإسلام قد استخدم هذه الكلمة استخداماً خاصاً عرف في أوساط المسلمين بأدائهم الصلوات الخمس. وكذلك كلمة الحج التي كان العرب يعنون بها القصد إلى معظم، أما بعد الإسلام فإنها أصبحت تعني القصد إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لأداء مناسك تعبدية معلومة في الإسلام. أما الصيام فأصله عند العرب الإمساك عن الطعام والشراب، ثم زادت الشريعة الإسلامية النية وحظرت مع الأكل والشرب مباشرة الزوجة والغيبة والنميمة والمشاورة وغيرها. فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا، وكان الأصل من نفاق اليربوع (النفاق هي إحدى جحور اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يُهْتَدَى إليه). ولم يعرفوا من الفسق إلا قولهم: "فسقت الرُّطبة" إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع ليعطى معنىً جديداً مفاده أن الفسق هو الإفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه⁽²⁾. وهكذا أصاب التحول بنية اللغة ومضامينها معاً، وحوّلها من لغة احتكاك بالظاهر إلى لغة إدراك بالبواطن.

وبناءً على هذا التغيير اللغوي بات مقياس اللغة العربية يتجسد في الحدين والوجهين معاً، بمعنى أنه نشأ عند العلماء المسلمين ما يعرف بتفسير اللفظة الواحدة على

(1) الصلاة عند الإنجليز هي دعاء يقال، فعندهم عبارة (say prayers)، أي (يقول الصلاة)، وربما أخذوها بمعنى الدعاء. أما الصلاة عند المسلمين فهي حركات وأفعال تؤدي، حيث يصاحب كل حركة أقوال معينة تقال، فالصلاة عند المسلمين شملت القول والفعل، وفي هذا إشارة إلى تلازم (القول والفعل) وتطابقهما حتى يكون القلب واللسان في طاعة الله تعالى مع سائر الجوارح والجسد.

(2) ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد): الصحاح، باب الأسباب الإسلامية، ص 45. بتصرف.

وجهين. فيقولون: لغةً: هي كذا، وشرعاً أو اصطلاحاً: هي كذا، وذلك بهدف تبيان المعنى الشرعى الجديد الذى ارتدته الكلمة العربية.

وبنفس القدر الذى أحيا به الإسلام بعض الكلمات العربية التى ارتفعت بالذوق العام، والفهم الجديد لكلمات قديمة، فإنه قد اغتال كلمات أخرى كانت تستعمل فى الجاهلية مثل المرباع⁽¹⁾ والصفايا⁽²⁾. وذلك لأن الإسلام حارب هذه الأفكار فكان لا بد من محاربة ورفض أدوات التعبير عن هذه الأفكار المرفوضة. ومن قبيل التنزه عن بعض الكلمات التى لا تليق بمعتقد الإسلام، نجد أن النبى ﷺ كان ينصح صحابته ويوجههم قائلاً: "لا تقولوا ددع ولا لعلع، ولكن قولوا: اللهم ارفع وانفع"⁽⁴⁾ حيث كانوا فى الجاهلية يدعون للعاثر بقولهم دعاً وددعاً ولعاً - بالتثوين.

رابعاً: تخصيص تعابير خاصة لمعاني جديدة:

إن أمر الإسلام لم يقف عند تغيير معاني المفردات وإكساب الألفاظ (بعداً دلاليًا **semantic dimension**) جديداً، بل امتد أثر الإسلام على اللغة بأن أستحدث الإسلام بعض الكلمات والمسميات حتى فى الإطار الأدبى، وليس على نطاق المصطلح الدينى فحسب. فمثلاً قولهم لمن أدرك الإسلام بعد الجاهلية: "مخضرم"⁽³⁾. فمن الشعراء المخضرمين حسان بن ثابت، وليد بن ربيعة، نابغة بنى جعدة، عمرو بن شاس، الزبيرقان ابن بدر، عمرو

(1) ربع الغنيمة التى كان يأخذها الرئيس فى الجاهلية.

(2) ما اختاره واصطفاه الرئيس من الغنائم قبل تقسيمها، وذلك فى الجاهلية.

(4) السيوطى (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها، النوع الأول، معرفة الصحيح ويقال له الثابت والمخفوظ، ج 1، ص 69.

(3) ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد): الصحاح، باب آخر فى الأسماء، ص 53.

بن معدى كرب، كعب بن زهير، ومعن بن أوس. وهذه الكلمة تستخدم اليوم لكل من أدرك عهدين أو فترتين تاريخيتين مختلفتين.

كما استحدث رجال الدين من التعابير وأسلوب الخطاب ما يخدم فكرهم الديني، فلكل واحد من علماء الكلام والمحدثين والفقهاء من التعابير ما به يصل مراده للمتلقى، ويظهر علم صاحبه جلياً للمتفرسين. يقول ابن خلدون: (أخبرنا صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية، قال: "ذاكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهد فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوى ولم أنسبها له وهو هذا:

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى
فقال على البديهة: "هذا شعر فقيه. فقلت له ومن أين ذلك؟ قال من قوله: (ما الفرق) إذ
هى من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب. فقلت: لله أبوك، إنه ابن
النحوى" (1).

ومن ملح الفقهاء أورد صاحب كتاب (قوت القلوب) طرفة أدبية مفادها كما يلي:
قال بعض السلف: إذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودتك فكثير، وحدثنا محمد بن
القاسم القرشى عن الربيع بن سليمان عن الإمام الشافعى رحمه الله، أنه آخى رجلاً بيغداد ثم
أنّ أخاه ولى السيين فتغير للشافعى كما كان يعهده منه فكتب إليه الشافعى ﷺ هذه
الآيات:

إذهب فودك من ودادى طالق منى وليس طلاق ذات البين
فإن ارعويت فإنها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، الفصل السابع والخمسون، في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ، ص 296.

وإذا امتنعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيضين
فإذا الثلاث أئتت منك منى بته لم تغن عنك ولاية السييين

فذكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال: هذا الطلاق فقهي، إلا أنه طلق قبل
النكاح⁽¹⁾.

بل انهم قد أتوا في ذلك بطريق التورية. قال الوزير أبو عيد الله بن الخطيب شاعر
الأندلس والمغرب في قصيدته التي مطلعها:

جارك الغيث إذا الغيث هما يا زمان الوصل بالأندلس

إلى أن يقول:

وروى النعمان عن ماء السما كيف يروى مالك عن أنس؟

والشاهد قوله (النعمان) وهو الزهر المعروف المسمى شقائق النعمان، و (ماء السماء) وهو
المطر، ولكن التورية في النعمان بن ماء السماء العربي المشهور⁽²⁾.

إن هذا الاستحداث للكلمات ما كان له أن يتم لولا أن اللغة العربية تحمل في
أحشائها خاصية الاشتراك اللفظي حيث نجد للكلمة العربية الواحدة عدة معاني مستخدمة
بالفعل، ومعاني أخرى قابلة للاستخدام فتظهرها الحاجة فيما بعد. فخذ كلمة (عين): فهي
تعني عين البصر، وتعني منبع الماء، وتعني الجاسوس، وتعني عين العائن أي الحاسد، وتعني
نفس الشيء، وتعني الشيء أو الشخص المهم كقولهم فلان من أعيان البلد.

⁽¹⁾ أبو طالب المكي (محمد بن علي بن عطية الحارثي): قوت القلوب، الباب الرابع والأربعون، كتاب في
الأخوة في الله تبارك وتعالى، ج 2، ص 438.

⁽²⁾ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، الفصل الستون، في أشعار العرب وأهل
الأمصار لهذا العهد، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص 515.

خامساً: الاقتباس⁽¹⁾:

هذا نوع آخر من فنون الكلام العربي الذي ولد يحمل الجنسية الإسلامية. فلا تجده بهذه الكثرة إلا في اللغة العربية.

يعرف علماء البلاغة الاقتباس بأنه تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما، وربما اقتبس من نتاج الكتابات الأدبية والعلمية للكتاب الآخرين. ويجوز أن يغير من الأثر المقتبس قليلاً.

ونجد من أمثلة الاقتباس قول الرسول ﷺ من القرآن الكريم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"⁽²⁾. فالعبارة المقتبسة هي: (تكن فتنة في الأرض وفساد)، وهي مقتبسة من قول الله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾⁽³⁾.

وقد اقتفى المسلمون أثر الرسول ﷺ فاقتبسوا من القرآن الكريم؛ قال الشاعر ابن الرومي في المهجاء:

لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتُ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بوادٍ غير ذى زرع⁽⁴⁾

(1) معظم الجزء العربي المقتبس في هذه الصفحات مأخوذ من (على الجارم ومصطفى أمين): البلاغة الواضحة للمدارس الثانوية بالسودان.

(2) الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذى، 9 كتاب النكاح، 3 باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه، ج 3، ص 395، حديث رقم 1086.

(3) الأنفال: 73.

(4) مقتبس من الآية: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم﴾ - إبراهيم: 37.

وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته أنهم تأثروا بلغة القرآن الكريم، فأخذوا من أسلوبه ولغته الكثير من الكلمات والتعابير المستحدثة. فمثلاً أورد ابن خلدون في مقدمته قول قائلهم (1):

أسقى طولهم أجش هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم (2)

كما أنشد أبو بكر بن الصابوني:

قسماً بالهوى لذي حجر ما لليل المشوق من فجر (3)

أما الاقتباس من السنة فإننا نجد في قول صاحب:

أقول وقد رأيت له سحاباً من المجران مقبلة علينا

وقد سحت غواديها بمطل (حوالينا) الصدود (ولا علينا) (4)

ولم يقتصر الاقتباس على المجال الأدبي فحسب، بل شمل الخطاب الفلسفي العقلاني الذي تأثر بدوره بلغة القرآن والحديث الشريف. فإنه وإن كانت لغة الفلسفة قد اختلطت بتعابير الفلسفة الخضة والألفاظ العربية المهجورة مثل قول الكندي عن الله عز

(1) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، الفصل الخامس والخمسون، في صناعة الشعر ووجه تعلمه، ص 490.

(2) مقتبس من الآية: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ - المطففين: 24.

(3) مقتبس من الآية: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ - الفجر: 5.

(4) مقتبس من الحديث الشريف في الاستسقاء عن سيدنا أنس رضي الله عنه: صحيح البخارى، 15 كتاب الاستسقاء، 14 باب الدعاء إذا كثرت المطر: حوالينا ولا علينا، ص 202، حديث رقم 1021.

وجل: "مؤيس الآيسات عن ليس"⁽¹⁾، نرى في نخضم ذلك تأثر الفارابي بلغة القرءان الكريم والحديث الشريف عندما يحدثنا قائلاً: "إذا عرفت - أولاً - الحق، عرفت ما ليس بحق، وإن عرفت الباطل أولاً عرفت الباطل ولم تعرف الحق (على ما هو حق)، فانظر إلى الحق فإنك لا تحب الآفلين"⁽²⁾، بل توجه بوجهك إلى وجهه من لا يبقى إلا وجهه"⁽³⁾.

وهذا الطريق إلى معرفة الله تعالى - عند الفارابي - ليس معداً ومهيئاً لكل واحد أيّاً كان. بل إنه طريق شاق مليء بالمخاطر والعقبات، ويتطلب الجد والاجتهاد والمثابرة وبذل الجهد والتضحية. فإنه يعتمد على تصفية النفس ومجاهداتها فيقول الفارابي: "إن لك منك غطاء، فضلاً عن لباسك من البدن. فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد، فحينئذ تلحق، فلا تسأل عما تباشره. فإن أَلَمْتَ فويل لك، وإن سَلِمْتَ فطوبى لك وحسن مآب"⁽⁴⁾. وأنت في بدنك كأنك لست في بدنك، وكأنك في صقيع الملكوت. فترى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"⁽⁵⁾، فاتخذ لك عند الحق عهداً إلى أن تأتيه فرداً"⁽⁶⁾"⁽⁷⁾.

(1) تقول العرب: جئ به من أيس وليس، أى جئ به من حيث هو موجود وغير موجود، أى من عدم، والتأيس هو التأثير أو الإيجاد، و (ليس) هو عدم الإيجاد أو انعدام الشيء، وهى لغة قديمة لدى العرب.
(2) هذه إشارة من الفارابي إلى قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ - الأنعام: 76.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ - الرحمن: 27.
(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ - الرعد: 29.
(5) إشارة إلى الحديث القدسي: "أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت" صحيح البخارى، 97 كتاب التوحيد، 35 باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ - الفتح: 15، ص 1572، حديث رقم 7498.

(6) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾ - مريم: 80.
(7) المهدي (السيد محمد عقيل بن على): دراسات في الفلسفة الإسلامية، ص 71.

أما الاقتباس في اللغة الإنجليزية فقلما نجد مأخوذاً من نصوصهم الدينية، وذلك نسبة لعدم ثبات النص الديني والمصدر وعدم (موثوقية authenticity) المعرفة فيه لأن المصادر الدينية عند الإنجليز تمثلها الأناجيل المختلفة ، وهي أناجيل تتعدد بتعدد كتابها⁽¹⁾ وهذه الأناجيل متباينة النصوص والمعلومات، فهي لا تتسم بصفة الثبوتية والموثوقية التي نجدها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

غير أن أدباء الإنجليز يميلون إلى الاقتباس من المشاهير من كتابهم وشعرائهم أمثال شكسبير وهوميروس. ومنهم من يقتبس من التراث كما فعل الصحفي (جورج أورويل George Orwell) عندما جعل عنوان احد أعمدته الصحفية يجرى كالآتي:

(Such ، Such Were the Joys)⁽²⁾

وهذا العنوان مقتبس من المقطوعة الغنائية التي يرددونها أطفال الإنجليز والتي تقول:

Such , Such ,
Were the joys
When we all ,
Girls and boys
We were seen
On the echoing green .

⁽¹⁾ كل كاتب للإنجيل يصنع ما يكتب بصيغة معرفته وفهمه وظروفه الخاصة به فتخرج الأناجيل مختلفة اختلافاً يرره أهله بنظرية التلون بالوسيط (colouring by the medium) وهو قولهم: إن الضوء النافذ من الزجاج يأخذ لون الزجاج، فكذلك الإنجيل يخرج متأثراً بثقافة ونفسية وفهم من كتبه، وهذا أشبه بالتفسير المختلفة للقرآن، غير أن هذه التفسير لا تبدل الآيات ولا تحرف المعاني الأساسية لآيات القرآن الكريم ولا تحلل حرامه ولا تحرم حلاله ولا تخرج عن روح القرآن كالخروج الذي تخرجه الأناجيل عن روح المسيحية.

(2) "As I Please" ، Daily Tribune & Partisan Review 1947

سادساً: علم التجويد:

ومن أهم المستحدثات الإسلامية على اللغة العربية هو إيجاد ما يعرف بعلم التجويد. والتجويد لغةً هو التحسين والإجادة، واصطلاحاً هو إعطاء كل حرف حقه ومستحقه، وإخراج كل حرف من مخرجه على وجه يمكّن قارئ القرآن الكريم من النطق السليم بحروف الآيات وكلماتها، وذلك بهدف ترتيب القرآن الكريم. فعلم التجويد هذا إنما هو علم مجاله القرآن الكريم. وعلى هذا الأساس يصبح التجويد علماً استحدثت بنزول القرآن الكريم وبعثة رسول الله ﷺ إذ لم يكن معلوماً من قبل بصورته الحالية، ولا هو الآن يستخدم في حديثنا العادي ولا في الخطابة والنثر مهما بلغت فصاحة الخطابة والنثر.

لقد بنى علم التجويد على حركات الإعراب ومخارج الحروف العربية وصفاتها مما لا تجد له مثيلاً في اللغة الإنجليزية. فبالإضافة إلى الفتحة والضمة والكسرة نجد التنوين الذي يتعدد ليغطي تنوين التمكين للاسم، تنوين التنكير للمبنى، تنوين العوض⁽¹⁾، وهذا الأخير يمكن أن تمثل له بقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حِينْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾⁽²⁾؛ فلا تجد هذا التنوين في الترجمة الإنجليزية:

**And ye the while
(Sit) looking on.**

وهنالك تنوين التزم، وهو الذى يلحق القوافي المطلقة بحرف علة، كقول الشاعر

جرير⁽³⁾:

أَقْلَى اللوم - عاذل - والعنابنِ وقولى - إن أصبْتُ - لقد أصابنِ

(1) الهاشمي (محمد بن أحمد): التوضيحات الجلية في شرح المقدمة الأجرومية، ص 12.

(2) الواقعة: 84.

(3) ابن عقيل (القاضي بهاء الدين عبد الله): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 1، ص 18.

وتنوين التزم كما هو في بيت الشعر السابق يختص بالشعر، ولذلك لا نجد في القرآن الكريم.

كما نجد المد بأنواعه. والمد هو إطالة الصوت بما يشكل إعلاءً وتمديداً للنغمة فيخلق زمناً موسيقياً فريداً. فالمد الموجود في قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾⁽¹⁾. لا نجد مثله في الترجمة الإنجليزية: (And who go not astray). والمد الموجود في قوله عز وجل: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾⁽²⁾ ما أنت بملاقية في الترجمة الإنجليزية:

To thee have We Granted the Abundance

هذا بخلاف أحكام النون الساكنة والتنخيم والترقيق والإدغام والغنة⁽³⁾ وغيرها من أحكام التجويد مما لا نجد في الترجمة الإنجليزية للآيات. فهذه أصوات عربية محضة. إن علم التجويد قد وفر للكلمة العربية الأنغام الموسيقية اللفظية التي تتنوع فيها مخارج الحروف، فتجى الآية نغماً شجياً ينسكب في الوجدان، ويستثير العاطفة نحو الإيمان. هكذا وضع علماء اللغة العربية القوانين الصوتية لقراءة القرآن الكريم. والآن يطالعنا (علماء الألسنية linguists) بما يسمى علم مخارج الحروف وهو (الصوتيات أو الفونيمات Phonemes)، وذلك يندرج تحت (علم وظائف الأصوات Phonology). فدلّ على أن هذا الأثر الإسلامي لم يقتصر على اللغة العربية وحدها بل شمل كل اللغات لأن علم الصوتيات هذا قد انتقل من العرب إلى سائر اللغات. فكان الإسلام فتحاً في هذا المجال اللغوي، ثم انتقل هذا الفتح من العرب إلى أوروبا التي اقتدت في كثير من علومها برواد هذه العلوم من العرب المسلمين.

(1) الفاتحة: 7.

(2) الكوثر: 1.

(3) دعاس (عزة عبيد): فن التجويد، ص 32 - 79.

سابعاً: العمق الروحي لمفاهيم النحو العربي:

لقد تشبع المسلمون بالعقلية الإسلامية وسمت أرواحهم وخلع على أسرارهم علوم لدية ومعارف ربانية، فتغيرت رؤياهم للأشياء واكتسبت الكلمات عندهم مفاهيم فقهية جديدة، واكتسبت معاني العبارات الظاهرة أبعاداً روحية عميقة، فجرت منهم تأويلات إشارية حتى لمعاني مفردات النحو العربي. فمثلاً نجد العارف بالله تعالى الشيخ أبا العباس أحمد بن محمد بن المهدي الشهير بابن عجيبة الحسني قد كتب كتاباً في النحو العربي سماه: "الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية"، فكتب في مقدمة كتابه هذا: "فالنحو على قسمين، نحو لسان الفم، ونحو القلب، ومعرفة نحو القلب عند العقلاء أكد وأنفع من معرفة اللسان....." إلى أن يقول: "..... وعلم القلب هو اليقين الكبير، ومعرفة الله بنعت العيان، وهو النحو القلبي، وهو فرض عين على كل مسلم....." (1).

وفي شرحه هذا لمقدمة ابن آجروم في النحو يورد ابن عجيبة تفسير القاعدة النحوية على ما ارتضاه أهل النحو من بيان القاعدة وتفريعاتها، وهذا هو نحو اللسان الذي قصدته. ثم يتجه بعد ذلك الشرح الذي يوافق علماء العربية إلى استخلاص الإشارة الصوفية الروحية لمعاني النحو على نهج "نحو القلب" الذي ذكره في المقدمة. ونحن هنا نأخذ مثالين من شرح ابن عجيبة، وهما الحديث عن الفاعل والحديث عن المنادى.

1- فالفاعل الذي عرفه النحويون بأنه الاسم المرفوع المذكور قبله فعله قد أشار

إليه ابن عجيبة بقوله:

(1) ابن عجيبة الحسني (أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد): الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية، مقدمة المؤلف، ص 16.

"الفاعل الحقيقي هو الاسم المرفوع القدر العظيم الشأن وهو الحق جل جلاله، المذكور قبله فعله عند الغافلين والمذكور بعده فعله عند الذاكرين، المذكور قبله فعله عند الطالبين أو السائرين والمذكور بعده فعله عند العارفين الواصلين، المذكور قبله فعله عند أهل الدليل والبرهان والمذكور بعده فعله عند أهل الشهود والعيان، أهل الدليل والبرهان يذكرون فعله ويستدلون به عليه، وأما الواصلون من العارفين فيذكرونه ويرونه قبل رؤية فعله، فهم يستدلون بالله على غيره، فلا يرون إلا هو، كما قال شاعرهم:

مذ عرفت الإله لم أر غيراً وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقاً فأنا اليوم واصل مجموع

ثم قال وهو - أى الاسم - على قسمين: ظاهر عند العارفين، لا يخفى على أحد عندهم إلا على الأعمى، قال الشاعر:

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يبصر القمر

ومضمر، أى مستتر، باطن عند الغافلين كما قال فى البيت الثانى:

لكن بطنت بما أظهرت محتجباً وكيف يُبصر من بالعزة استترا⁽¹⁾.

2- وفى علم النحو نجد أن المنادى خمسة أنواع: المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والمشبه بالمضاف. وفى هذا المنادى تأتى إشارة ابن عجيبة الحسنى كما يلى:

(1) نفس المصدر السابق، ص 114.

"المنادى فى الأزمان والمآرب خمسة : المفرد العلم وهو الحق جل جلاله، وهذا هو المقصود بالذات، والأربعة وسائل. وقد يطلق المفرد العلم على الرسول عليه الصلاة والسلام لانفراده بالكمالات، وظهوره بالمعجزات ظهور نار القرى على علم، وإليه أشار صاحب البردة⁽¹⁾ بقوله:

خفضت كل مقام بالإضافة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

ولا شك أنه عليه الصلاة والسلام باب الله الأعظم، وشفيعه الأكرم، به تفرج الكروب، وتقضى المآرب. والله در القائل سيدى محمد البكرى الصديقى حيث قال:

(1) هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن أبى سرور الصنهاجى البوصيرى المصرى، فكان أبوه من ناحية بوضير التى تقع بين الفيوم وبنى سويف، ولد فى سنة 608 هـ، وأبوه مغربى الأصل ينتمى إلى بنى حنون من قبيلة صنهاجة من قلعة حماد، وأمه من ناحية دلاص إحدى ضواحي البهنسا غربى النيل. بدأ البوصيرى حياته بحفظ القرآن الكريم ثم درس العلوم الدينية بالقاهرة بمسجد الشيخ عبد الظاهر، وتلقى التصوف عن الشيخ أبى العباس المرسى. أخذ عنه شعره ونوادره كل من أبى حيان الأندلسى، أبى الفتح بن سيد الناس، وعز الدين بن جماعة. لقد كان الإمام البوصيرى = شاعراً تغلب العاطفة الدينية على شعره، ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة وحسن استعمال البيديع. كما كان خطاطاً ماهراً. اشتغل كاتب حسابات فى بليس. كما افتتح مدرسة لتدريس القرآن الكريم.

كان قد أصيب بفالج أبطل نصفه، فعمل قصيدته البردة وتوسل بها إلى الله تعالى، ثم نام فرأى الرسول ﷺ فمسح على وجهه وألقى عليه بردة، فانتبه ووجد فى نفسه تحضة فقام وخرج من البيت ولم يخبر أحداً، فالتقاء بعض الفقراء فقال له: "أريد أن تعطى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ﷺ". ثم قال الفقير بعد أن ذكر أول القصة: "والله لقد سمعتها البارحة تنشده بين يدي رسول الله ﷺ فرأيت يتمايل وأعجبت وألقى على من أنشدتها بردة". فأعطاه البوصيرى القصيدة فشاع الخبر ومن ذلك الوقت سميت البردة. توفى البوصيرى فى سنة 696 هـ، فى الإسكندرية وضحجه بها مشهور.

أنظر بسج (الاستاذ أحمد حسن): ديوان البوصيرى، ص 5 - 8.

فلذ به فى كل ما ترئى فإنه المأمّن والمعقل
وعذ به من كل ما تخشى فهو شفيع دائماً يقبل

والنكرة المقصودة، وهى سر الولاية، فمن ظفر بها كان باباً من أبواب الله، يفرع إليه فى الشدائد، وتقضى بشفاعته الحوائج لأنه نائب عن الرسول ﷺ الذى هو الحجاب الأعظم. وإنما فسرنا النكرة المقصودة هنا بسر الخصوصية لأنها تنكر أولاً، وتقصد ثانياً بعد التمكن منها، فيظهر الله صاحبها بعد الخفاء لينتفع به العباد وتحيا به البلاد. والنكرة غير المقصودة هى الخصوصية التى بقيت على حال الخفاء، حتى مات صاحبها، فهو كنز من كنوز الحق، وعروس الحضرة، لا يعرفه إلا أمثاله، ومن قرب منه. والمضاف إلى أولياء الله بالترية والخدمة، وهو ملحق بهم فى المال. والمشبه بالمضاف وهو من تزيا بزيتهم وانتسب إليهم، ولم يكن له ناهضة للظفر بسرهم، فلا شك أنه تلحقه بركاتهم، وتنسحب عليه أنوارهم كما قال القائل:

لى سادة من حبهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلى فى حبهم عز وجاه⁽¹⁾

وعن حركات الإعراب على المنادى يقول أهل النحو العربى: المفرد العلم والنكرة المقصود بينان على الضم من غير تنوين، والثلاثة الباقية منصوبة لا غير. ففى حركات الإعراب هذه تجى إشارة ابن عجيبة بقوله: "أما المفرد العلم، ويراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، والنكرة المقصودة فيبنى أمرهم على الضم على الله، والجمع بإله من غير ثنوية الأثر بشهود المؤثر، فلا يفترون عنه ساعة.

(1) نفس المصدر السابق، ص 209.

والثلاثة الباقية منصوبة للمقادير، يجرى عليهم ما كتب لهم مع السكون تحت مجاربه، إن قرهم فبفضله، وإن فرقهم فيعدله، والستر من أجله يجلو وبالله التوفيق⁽¹⁾.
ونحن - سيراً على نهج ابن عجيبة في تحقيق العبارة والانتقال منها إلى الإشارة - نقول عن المفعول به ونائب الفاعل:

المفعول به هو الذى تحقق فناؤه بما زال عنه من الرفع والترفع، لأنه هجر هواه وجعل ربه مبتغاه فجرى عليه فعل فاعله عز وجل، فمنحه ربه القدرة والاجتهاد فى النوافل التى نست إليه بأثبات الرمى له فى قوله تعالى: ﴿إِذ رَمَيْتَ﴾⁽²⁾، فأحبه مولاه، وانتصب هذا المفعول لخدمة مولاه، وأكد نصب نفسه بفتح قلبه وطره فتحة بما فتحت عليه بالخير الأبواب، وبالحفض لما تواضع ومنع نفسه من التصرف بالأسباب. ولما تحمل ما وقع عليه من فعل الغير رفعه مولاه وأعلى مقامه إلى مقام الفاعل النائب، وخلع عليه سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به و...⁽³⁾، هكذا خلع عليه مقام الخلافة والنيابة عن الفاعل وجعل نائباً للفاعل.

تلك بعض الجوانب التى نلمس فيها أثر الدين الإسلامى على اللغة العربية، وهى تأثيرات فى الإتجاه الموجب ولمصلحة تطوير اللغة وإثرائها. إلا أن أعظم تأثير اكتسبته اللغة العربية من الدين الإسلامى هو أن القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية من التدهور والانقراض. ولقد علمنا تدهور الكثير من لغات العالم وعلى رأسها اللغة اللاتينية التى لا نجد من يتحدث بها الآن. غير أنه بالنسبة للغة العربية نجد النحاة العرب يستنبطون قواعدهم من القرآن الكريم الذى يمثل صدق المصدر. ونجد الفقهاء يولون اهتماماً كبيراً للغة العربية. كما

(1) نفس المصدر السابق، ص 209.

(2) الأنفال: 17.

(3) البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، كتاب الرقاق، 38 باب التواضع، ص 1372، حديث رقم 5601.

أن المفسرين يجعلون الإمام باللغة العربية من أكد الشروط التي ينبغي توفرها لدى كل من يشتغل بتفسير القرآن الكريم⁽¹⁾. ويروى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالا"⁽²⁾.

هكذا بلغ تأثير الإسلام على اللغة العربية شأواً بعيداً حتى أنه في بعض الأحيان ينشغل العلماء بقضايا اللغة، وتصير هذه القضايا اللغوية حاجساً لهم في صحوهم وفي مناهمهم، فيتدخل الدين بالتوجيه النبوي الشريف - ولو في رؤية منامية - لفض النزاع الذي ينشب بين فقهاء اللغة العربية⁽³⁾.

وصحيح أنه بكثرة استخدام العرب للغة العامية وبعدهم عن اللغة العربية الفصحى قد تضعف اللغة الفصحى كلغة تخاطب يومي، ولكن يظل هنالك من يعلمها ومن يُعلمها ومن يتعلمها. وطالما وجد القرآن الكريم بين ظهرائي العرب والمسلمين فلن تندثر اللغة العربية الفصحى نهائياً، ولكنها تكون مجال دراسة واجتهاد لدارسي القرآن الكريم. وتكون رباط توحيد للعرب خاصة وللمسلمين عامة.

(1) السيوطي (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): الإتيان في علوم القرآن، ج 2، ص 175.

(2) المصدر السابق، ج 2، ص 229.

(3) ذكر الشيخ محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية، ج 3، ص 388: "سألني سائل في المنام بين يدي رسول الله ﷺ: ما أقل الجمع في العدد؟ فكنت أقول له: عند الفقهاء اثنان وعند النحويين ثلاثة. فقال الرسول ﷺ أخطأ هؤلاء وهؤلاء. فقلت: يا رسول الله كيف أقول؟ قال لي: "إن العدد شفع ووتر والكل عدد مميز". ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة ورمى بها على حصير كنا نجلس عليه، فرمى درهمن بمعزل، ورمى ثلاثة بمعزل، وقال لي: "ينبغي لمن سئل في هذه المسألة أن يقول للسائل: عن أي عدد تسأل، عن العدد المسمى شفعاً أم عن العدد المسمى وتراً؟" ثم وضع يده على الاثنتين الدرهمين، وقال: "هذا أقل الجمع في عدد الشفع"، ثم وضع يده على الثلاثة، وقال: "هذا أقل الجمع في عدد الوتر، هكذا فليجب من سئل في هذه المسألة. كذا هو عندنا".

قال تعالى:

﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علم

بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾

العلق: 3، 4، 5.

الباب الخامس:

بلاغة اللغة

الإنجليزية

الباب الخامس: بلاغة اللغة الإنجليزية

تحدثنا في الأبواب السابقة عن اللغتين: العربية والإنجليزية، وبيننا أن اللغة العربية على غاية من الإبداع وحسن البيان. ولكن لا ينبغي أن يذهب هذا التمجيد للعربية حداً يجعل القارئ يظن أن اللغة الإنجليزية لا حظ لها من جماليات الأسلوب وبلاغة التعبير. فمثل هذا الزعم لا يقول به منصف، ولا سيما وأن تحدى القراءان الكريم يشمل كل البشر وكل اللغات على أن تأتي بمثل هذا القراءان.

فاللحن يقال إن أية لغة ما هي إلا أفكار بشرية مرموزة في أشكال وحروف ونغمات وأصوات. وقد كرم الله تعالى الإنسان بالعقل، وعلمه حسن البيان ورصانة التعبير، وعليه فإن كل لغة بشرية هي في غاية الصلاح والإبداع بما لديها من مقدرة التواصل بين متحدثيها. فاللغة الإنجليزية مرصعة بجواهر البلاغة والفصاحة حتى لكأننا نجد شبه تطابق في فروع علم البلاغة بين الإنجليزية والعربية. وفي هذا الباب سوف نتجول في المدينة المرجانية للغة الإنجليزية مع شيء يسير من الالتفات إلى العربية لزوم مقارنتها بالإنجليزية. فإننا نجد في اللغة الإنجليزية من فروع علم البلاغة ما يلي:

1- الجناس الاستهلاكي: **Alliteration** وقد عُرِّفَ بالإنجليزية كالآتي:

It is the repetition in successive words of the same consonant letters or sounds. Most often the sound repeated is in the first syllable.

إذاً هو جناس يقوم على تكرار حرف أو مقطع (صوتى ساكت **consonant sound**) في مستهل لفظتين أو أكثر. ويتم التكرار في (المقطع **syllable**) الأول لكل كلمة. مثال ذلك مقاطع (sl, ss, ma) في قولهم التاليين:

- The Majestic , the Magnificent Mississippi.
- The slim slender slave.

وفي اللغة العربية يقوم الجناس على تكرار نفس الكلمة ولكنها تكون بمعنى آخر. وإذا نقصت أو تغيرت حروف إحدى الكلمات يسمى الجناس ناقصاً. فالجناس الناقص - مثلاً - نجده في قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر﴾⁽¹⁾.

أما الجناس التام فهو الذى تتفق فيه اللفظتان في أربعة أمور، وهى: نوع الحروف، شكل الحروف، عدد الحروف، وترتيبها. ونجد مثل هذا الجناس التام في قول الله عز وجل: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾⁽²⁾.

وفي اللغة الإنجليزية نجد الجناس التام كما في الجملة التالية:

Can (3) can (4) can (5) a can , (6) can you can a can as Can can can a can?

ومما يجعل الجناس في اللغة العربية أوسع منه في اللغة الإنجليزية هو ما نجده في اللغة العربية من خاصية الاشتقاق الكبير الذى يعتمد على تغيير ترتيب الحروف في الكلمة الواحدة.

ونشأ من هذا الجناس في اللغتين ما يسمى بالألعاب الصوتية، كأن يطلب من المتكلم أن يردد ويكرر عبارة معينة مع حرص المتكلم على تجنب الخطأ في النطق الذى ينشأ من تداخل حروف الكلمات. فمثلاً تكرار بيت الشعر الآتى:

وقبر حرب بمكان غفر وليس قرب قبر حرب قبر

(1) الضحى: 9، 10.

(2) الروم: 55.

(3) Can = اسم شخص يدعى (كان) (proper noun).

(4) can = فعل مساعد (auxiliary verb) بمعنى (يستطيع).

(5) can = فعل رئيس / كامل (full / main verb) بمعنى (يعلّب) أى يضع في علبة.

(6) can = اسم عام (common noun) لشيء ، هو إناء العلبة.

وفي الإنجليزية نجد قولهم:

She sells sea-shells on the sea-shores; the shells she sells on the sea-shores are sea-shells I'm sure.

2- البدل : Apposition

وجاء تعريفه بالإنجليزية كما يلي:

It is a noun that stands after another noun and repeats the meaning of the first.

(أى هو اسم يأتي عقب اسم آخر ويكرر نفس معنى الاسم الأول السابق).

ومثال ذلك من الإنجليزية الجملة التالية:

She also created another detective , the elderly Miss Marble ⁽¹⁾ .

فعبارة (the elderly Miss Marble) بدل عما قبلها، أى كلمة (detective) .
وأحياناً تستخدم فكرة البدل للشرح وإعطاء المرادف داخل قوسين كشرح لما قبله مثال ذلك قولهم:

Inside the top of the man's sock is a small knife (dirk) ⁽²⁾ .

وفي الإنجليزية يوضع بين الضمير والاسم المنادى فاصلة، ويكون هذا الاسم بمعنى الضمير،
مثال قولهم: (أنا سأثلك أنت يا موسى Musa ، I am asking you) . فكلمة (Musa) هي بمعنى الضمير (you) . وهذه (، الفاصلة comma) هي بدل عن حرف (ياء) النداء التي لا توجد في الإنجليزية إلا ضمن (صيغ التعجب interjection) مثال التعابير

⁽¹⁾ The Spine Series ، Pupil's Book 6 ، page 138

⁽²⁾ The Spine Series ، Pupil's Book 6 ، page 124

التالية: (dear me !، hem، bah، Alas.O !) وليس في هذه حرف نداء يفهم النحو العربي للنداء.

أما في اللغة العربية فإن البدل يتسع ويأخذ الكثير من التفاصيل، مثال بدل الكل، كما في قوله تعالى: ﴿إِن لِّلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾⁽¹⁾. فكلمة (حدائق) بدل كل عن كل كلمة (مفازا)؛ وهنالك بدل بعض من كل، كما في قول الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾⁽²⁾. فعبارة (من استطاع إليه سبيلا) بدل عن كلمة (الناس) فقط، وليست بدلاً عن كل اللفظ الذي قبلها. وثمة تفرعات كثيرة للبدل في اللغة العربية، نجد منها بدل الاشتمال، بدل الغلط، بدل النسيان⁽³⁾.

3- السجع : Assonance : (Vocalic Rhyme):

وقد عرّف في اللغة الإنجليزية كما يلي:

It is the repetition of internal vowel sound in successive words.

(هو إعادة الحروف الصائتة المتشابهة في داخل الكلمات المتتالية).

ومثاله بالإنجليزية: **It is a deep green stream.**

فمن التعريف والمثال أعلاه ندرّك أن السجع في اللغة الإنجليزية يعني إعادة الحروف الصائتة (vowel sounds) في عدة كلمات من الجملة الواحدة. فهو ليس بالضرورة تنعيم في آخر الكلمة كما في اللغة العربية، بل هو في الإنجليزية يكون داخل الكلمة.

(1) النبأ: 31، 32.

(2) آل عمران: 97.

(3) تريد العرب ذلك بياناً وتقول الغلط في اللسان والنسيان في الجنان، أى في القلب ويقصدون موضع التفكير. ومن هنا يتضح لنا دقة اللغة العربية وضبطها لأعمق وأدق الأحاسيس.

أما السجع في اللغة العربية فيعني اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من كل فقرة، وذلك كقول الثعالبي: "الحقد صدأ القلوب، واللجاج سبب الحروب". ومنه المطرف، المتوازي، والمرصع.

وأفضل السجع في نظر أهل اللغة العربية هو ما تساوت فقره، وذلك مثل قول رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلاً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم"⁽¹⁾، أو قولهم: (ما لا يُدرك كُله لا يُترك جُله).

4- الاستعارة: Metaphor

وتعريفها في اللغة الإنجليزية كما يلي:

It is implied comparison between two things seemingly quite different.

(هو مقارنة ضمنية بين شيئين يبدوان مختلفين)، أي أن الاستعارة هي مقارنة بين اثنين، أو هي تشبيه حذف منه أحد طرفيه، فالاستعارة علاقتها دائماً المشابهة. وعرفها قاموس أكسفورد كما يلي:

It is the use of a word to indicate something different from the literal meaning of that word.

وهذا تعريف يتناول الفرق بين الحقيقة والمجاز اللغوي. ففي اللغة الإنجليزية يقولون:

She died afterwards of a broken heart.⁽²⁾

فعبارة (**broken heart**) تعني (القلب المكسور) أي المخطم بالحزن والأسى. جعل القلب كالإناء - شبه القلب بالإناء - ورمز لهذا الإناء بشيء من لوازمه وهو الكسر.

(1) وهبة (مجدى) وآخرون: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 197.

(2) . The Spine Series Pupil's Book 6 ، page 37

وكما عودتنا اللغة العربية على التفاصيل الدقيقة وعمق التفكير والتحليل فإننا نجد عدة تفرعات للاستعارة، منها التصريحية: "وهي التي يذكر فيها المشبه به ويحذف المشبه، مثال قول المتنبي:

فلم أر قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد"⁽¹⁾.

فالمشبه الأول المحذوف (الرجل الكريم) والمشبه به المذكور (البحر)؛ والمشبه الثاني المحذوف (الرجال الشجعان) والمشبه به المذكور (الأسد).

ومنها الاستعارة المكنية، كما في قول الله عز وجل: ﴿الذين ينقضون عهد الله﴾⁽²⁾. إذ شبه العهد بالحبيل، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو النقض⁽³⁾.

5- الحذف: Ellipsis: وجاء تعريفه باللغة الإنجليزية كما يلي:

It is the omission of one or more words that are obviously understood but that must be supplied to make the construction grammatically complete.⁽⁴⁾

(هو حذف كلمة أو أكثر يستطيع القارئ تفسيرها بسهولة، وهذه الكلمات المحذوفة ضرورية لإكمال التركيب نحويًا).

فهو حذف أجزاء من الجملة. فإذا أخذنا - مثلاً - التعبير الإنجليزي الآتي:

(1) وهبة (مجدى) وآخرون: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 29.

(2) البقرة: 27.

(3) لم نتعرض لكل أنواع الاستعارات مثل الأصلية، والتبعية، وغيرها.

(4) Palmer (F. R.) : Semantics ، ، the sentence page 38

Everyone wants to do the right thing – to behave well and make good decisions.⁽¹⁾

نجدّه مكوناً من ثلاثة أجزاء كما يلي:

- 1- Everyone wants to do the right thing.
- 2- to behave well.
- 3- and make good decisions.

فالجزآن رقم 2 و 3 حذف منهما الفاعل (everyone) و الفعل المساعد (wants to) وذلك لتفادي تكرارهما.

ولا يختلف المعنى كثيراً في اللغة العربية. فهو يقصد به: "تعبير حذف طرفه الأساسى لتفادي تكرار هذا الطرف، أى هو حذف أجزاء من الجملة، وللمحذوف معناه الضمنى في الجملة".

ولو طبقنا المعنى الإنجليزي للحذف على اللغة العربية يمكننا أن نمثل لهذا الحذف من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾⁽²⁾، والمحذوف تفادياً لتكراره هو التعابير: (قُلْ إِنْ كَانَ)، و (أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) و (فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)⁽³⁾. ها أنت ترى أنه إن كان المجال مجال إيجاز وحذف، فاللغة العربية أتقن إيجازاً؛ وإن كان هو مجال إطناب وإسهاب، فاللغة العربية أحسن إطناباً.

(1) Pupil's Book 6: The Spine Series ، page 36

(1)

(2) التوبة: 24.

(3) يلاحظ تأخير جواب الشرط (فترَبَّصُوا حَتَّى). هذا التأخير أورث الآية - مع طولها - إيقاعاً متسارعاً يجعل القارئ يلاحق الصورة متشوقاً كي يصل إلى نهايتها بحثاً عن جواب الشرط.

6- التشبيه: Simile

ويعرفه الإنجليز بأنه:

It is using (like , as , such) to make brief comparisons between things to show that one of them is likened to the other in such a way as to clarify and enhance the image . So it is explicit comparison.

"هو استخدام أدوات التشبيه: (such , as , like) لبيان اشتراك شيئين في صفة أو أكثر، وذلك بغرض توضيح الصورة. فهو يعتبر مقارنة صريحة". ومثاله الجمل أدناه:

- (1) 1. Ali works as hard as Yousif does.
- (2) 2. Women in Eastern Sudan generally wear "tobes" but they tie it round the waist like Indian "Sari".
3. You should not talk like people as such.

والتشبيه في اللغة العربية هو الدلالة على أن شيئاً أو صورة ما تشترك مع شيء آخر أو صورة أخرى في معنى أو في صفة. وهو يتكون من مشبه، ومشبّه به، وأداة تشبيه (وهي الكاف أو كأن أو مثل أو ما في معانها) ووجه شبه (وهو الصفة المشتركة بين الشئين أو الصورتين)، نحو: محمد كالبحر في الجود. محمد: مشبّه؛ الكاف: أداة تشبيه؛ البحر: مشبّه به؛ في الجود: وجه الشبه (3).

ففي اللغة الإنجليزية يتخذ التشبيه صوراً أقل تلويناً وزخرفة مما هو عليه في اللغة العربية. بينما في اللغة العربية تتعدد فروع التشبيه وتتنوع لتشمل: التشبيه المؤكّد (ما حذف

(1) The Spine Series · Pupil's Book 4 ، page 56

(2) The Spine Series · Pupil's Book 6 ، page 126

(3) ضناوى (محمد أمين): المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، ص 223.

منه الأداة، مثل: محمد بحر في الجود؛ التشبيه الجمل (ما حذف منه وجه الشبه، مثل: محمد كالبحر)؛ التشبيه المفصل (ما ذكر فيه وجه الشبه، محمد كالبحر في الجود)؛ التشبيه البليغ (ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، مثل: محمد بحر)؛ تشبيه التمثيل (هو الذى يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، ومثال تشبيه التمثيل قول الشاعر بشار بن برد: (1).

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

أما التشبيه الضمنى فلا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة التشبيه المعروفة. بل يلحاحان في التركيب وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى أسند إليه ممكن. أى يؤتى فيه بالحكم على الشئ ودليل هذا الحكم، كما في قول الشاعر أبي تمام (2):

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالى

فمعنى التعبير أن الكريم لا يحفظ عليه ماله والدليل على صدق ذلك القول هو أن المكان العالى لا يحفظ المياه فهى تسيل وتجرى منه ولا تبقى فيه وكذلك يذهب مال الكريم. ومثاله أيضاً قول المتنبى:

وأصبح شعرى منهما فى مكانه وفى عنق الحسناء يستحسن العقد (3)

ففيه تشبيه للمملوحين بعنق الحسناء، وشعره بالعقد ضمناً لا صراحةً.

(1) على الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة للمدارس السودانية، ص 51.

(2) نفس المصدر السابق، ص 45.

(3) نفس المصدر السابق، ص 47.

وهنالك التشبيه المقلوب، وهو جعل المشبّه به مشبّهاً بادعاء أن وجه الشبه أقوى في الأول وأظهر. أي هو تشبيه الأصل بالفرع، أو عكس الصورة. ويسمى غلبة الفروع على الأصول؛ ومثال هذا التشبيه قول ابن المعتز:

والصبح في طرّة ليلٍ مُسْفِرٍ كأنه عُزّةٌ مُهْرٍ أَشْقَرٍ⁽¹⁾

فالتشبيه المألوف هو تشبيه الغرة على المهر الأشقر ببياض الصبح على طرة الليل. ولكن الشاعر هنا عكس الصورة فشبه بياض الصبح على طرة الليل بالغرة على المهر الأشقر.

7- السؤال البلاغي: Rhetorical Question:

وقد جاء تعريفه باللغة الإنجليزية كما يلي:

It is a question asked for dramatical effect. It is not intended for eliciting simple answers.

أي هو سؤال للتأثير على المسؤول، وليس لاستخلاص مجرد الإجابة منه.

ومثال ذلك قول الكاتبة (دروثي ل. سييرس Dorothy L. Sayers):

" (2) " What, people cry, are women doing with this liberty of theirs? "

فالكاتبة هنا لا تسأل عما تفعله النساء بحريتهن، أي لا تريد أن تعرف ما تفعله النساء بحريتهن، ولكنها تحكي استنكار الناس لتشبه النساء بالحرية، فسألها هنا هو سؤال استنكاري.

(1) نفس المصدر السابق، ص 61.

(2) Thomas S Kane & Leonard J. Peters: Writing Prose Techniques and purposes page 142 .

يفيد السؤال في اللغة العربية شتى الأغراض من مقاصد السائل مثل التوبيخ، الإقرار، التعجب، الاستنكار ، الخ. ففي الآية الكريمة التالية: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾⁽¹⁾. فالاستفهام هنا للتقرير والتعجب من جهل الكفار بقدره الله عز وجل. وكذلك الاستفهام في قول الله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾⁽²⁾. فهذا الإستفهام للتوبيخ والتفريع.

وكذلك اللغة الإنجليزية - مثل العربية - يخرج فيها الخطاب عن (وظيفته اللغوية (language function) الأساسية؛ فالسؤال - مثلاً - قد يفيد معانٍ أخرى مثل (العرض

offer) في قولهم: Would you like a cake?

وقد يفيد (الطلب (request) مثل: **Will you be quiet?**

كما يكون السؤال لطلب (الاستئذان (permission) كما في هذا التعبير:

Can I go now?

وفي حقيقة الأمر فالسؤال في اللغة الإنجليزية - كما هو في اللغة العربية - يفيد معاني كثيرة لا يتسع المجال لاستقصائها كلها.

8- السخرية والتهكم: Irony:

وهي تعنى باللغة الإنجليزية ما يلي:

When a writer uses words to mean something different from what they seem to say on the surface, he is ironic. So, irony means intending the reverse of what one says. Therefore, it is a device of satire and mocking.

(1) الفيل : 1.

(2) القيامة: 36.

إن محتوى السخرية هو إرادة نقيض المعنى المذكور صراحةً ، أى عكس معنى العبارة التي قيلت، كقولك للجبان: "ما أشجعك". وهو نوع من تناهى المعاني والسلوك. لذلك كانت العرب تقول إن شر البلية ما يضحك. أى إذا تفاقمت البلية وتناهت أصبحت تضحك بدلاً عن أن تبكى الإنسان، ولعله من هنا نشأ فن الكوميديا الساخرة التي تضحك المشاهد وتلدعه ليبكي في آن واحد. ويلاحظ أن الغرض من السخرية يكون هجاءً أو توبيخاً أو ازدراءً. وكما يقول الإنجليز: (الهجاء هو إقناع عن طريق السخرية: **Satire is persuasion by ridicule**).

وكمثال للسخرية في اللغة الإنجليزية نأخذ ما ذكره الكاتب (مارك توين **Mark Twain**)، فهي هو يصف مدينة على نهر (الميسيبي **Mississippi**)، وصفاً لاذعاً ساخراً فيقول:

(1) **.... and the fragrant town drunkard asleep.**

ووجه السخرية يتمثل في وصف المدينة (المخمورة **drunkard**) بأنها ذات (رائحة عبقة زكية **fragrant**).

أما في القرآن الكريم ف نجد قوله تعالى: ﴿ذوق إنك أنت العزيز الكريم﴾⁽²⁾. ووجه السخرية والتهمك والاستهزاء هو أن تعطى الشخص أسوأ عذاب (عذاب النار وذللها) ثم تهنئه بهذا العطاء واصفاً ذائقه بالعزة والكرامة.

وفي قوله تعالى: ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لانت الحليم الرشيد﴾⁽³⁾. فالسخرية تدعوك لتصف ما تكره بما

(1) Thomas S Kane & Leonard J. Peters : Writing Prose : Techniques and Purposes ، page 26.

(2) الدخان: 49.

(3) هود: 87 .

تعب. ففي الآية الكريمة وصفوه بالرشد من باب السخرية، ولو أرادوا حقيقة معنى لفظ الرشد (أى لو اعتقدوا فى رشده حقيقةً) لكانوا من أتباعه المؤمنين به. ومما يؤكد سخريتهم أنهم لا يعتبرون الإنفاق من الأموال وترك عبادة آلهة الآباء رشداً وسداد رأى، ثم أنهم بدأوا بالخطاب بندائه: (يا شعيب)، وهذا خطاب لا يفيد احترامهم له والإيمان به وإلا لنادوه: (يا رسول الله) أو: (يا نبي الله).

القياس المنطقي: Syllogism:

وجاء تعريفه كما يلى:

It is a deductive scheme of a logical argument consisting of a major and a minor premise leading to a conclusion.

(هو وسيلة استنتاجية لمجادلة منطقية تحوى قضية كبرى وأخرى صغرى يقودان إلى

نتيجة).

أى القياس المنطقي هو قول مركب من قضيتين أو أكثر، متى سلم هذا القول لزم عنه لذاته قول آخر. وفي الفقه هو حمل فرع على أصل لعله مشتركة بينهما، أو هو إلحاق الشبيه بشبيهه. والمهم هنا المعنى اللغوى.

كما يقصد به الطريقة العقلية فى التفكير أو السير الفكرى من القضايا العامة إلى قضايا أخص منها. وهو شبيه بالمنطق الصورى، أى هو نوع من (الاستنباط deduction) البرهانى الذى يعتمد على التحرك من الجزء إلى الكل، أى من أجزاء المقدمات إلى كل النتيجة. ويمكن أن تمثل له بالآتى:

(مقدمة بديهية) مثل قولنا: (كل الناس فانون: All men are mortal)

(مقدمة تجريبية) مثل قولنا: (سقراط إنسان: Socrate is a man)

(نتيجة منطقية) مثل قولنا: (إذاً سقراط فان: Therefore, Socrate is mortal)

وهنالكَ ما يسمى بـ (القياس الإضمارى **enthymeme**) وهو الذى يذكر فيه أحد طرفى القياس أو (الفرض **proposition**)، ومثاله ما يلى:

Being human, Socrates is mortal

فقد حذفت منه فرضية: (all men are mortal)

وشببه به ما يسمى بالقياس الإقترائى، وهو مؤلف من مقدمتين مشتركين فى أمر يناسب طرفى المطلوب، وفيه تحذف المقدمة الصغرى، فمثلاً فى قول علماء المسلمين: (كل ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القدم). فالمقدمة الصغرى محذوفة وهى: (قيام دليل جواز العدم على المخلوقات، كقولنا: المخلوقات يجوز عليها العدم)، والمقدمة الكبرى مذكورة هى: (كل ما جاز عليه العدم)، والنتيجة هى: (يستحيل عليه القدم)⁽¹⁾.

أما فى اللغة العربية فإننا نجد هذا النوع من القياس والعرض المنطقى للآراء فى مجادلة سيدنا إبراهيم ﷺ لعدو الله النمرود - لعنه الله. قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾⁽²⁾ فهذا قياس إضمارى على معنى أن الإله يأتي بالشمس من حيث شاء، وشاء ربي أن يأتي بها من المشرق، فإن كنت أيها النمرود إلهاً فأت بالشمس من المغرب لإثبات قدرتك ومشيتك فى تيسير الأجرام الكونية.

ونجد فى اللغة العربية أيضاً القياس المضمّر بالسببية، وذلك فى قوله الله عز وجل: ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾⁽³⁾، فالباء فى (بما كانوا يفسقون) هى بمعنى (بسبب). أى عاقبناهم بسبب

(1) الصاوى (أحمد بن محمد): شرح الصاوى على جوهرة التوحيد، ص 129.

(2) البقرة: 258.

(3) البقرة: 59.

فسقهم، فالسبب قد أضمّر في الباء. ومثل هذا النوع من قياس السببية يوجد كثيراً في القرآن الكريم. فأيات القرآن الكريم كثيراً ما تورد الحجة مصحوبة بدليلها أو سببها، لأن حكمته تعالى قد اقتضت أن لا يؤاخذ الناس إلا بعد إنذارهم وإبانة الطريق والحجة لهم؛ قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾⁽¹⁾.

إن بعض جوانب إعجاز القرآن الكريم تكمن في اللغة وبسط المنطق وإحكام الحجة والبرهان. فإنه لمجادلة قريش وإقناعهم قد استخدم القرآن الكريم القياس الشرطي، والذي يعرف في اللغة العربية بالشرط وجواب الشرط، ويمكن أن نمثل له بقوله تعالى: ﴿قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾⁽²⁾. وهنالك شرط مركب، أي شرط داخل شرط، ونجده في قوله تعالى: ﴿إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾⁽³⁾. ف (فتمنوا الموت) جواب الشرط ل (إن زعمتم)، و (إن كنتم صادقين) جواب شرط ل (فتمنوا الموت)، فالجواب الأول: (فتمنوا الموت) شرط للجواب الثاني: (إن كنتم صادقين).

10- إغلاق الدائرة أو (عود على بدء) كما يسمى:

(closing by return) أو (cyclic return):

It is repeating the central theme throughout the writing such as beginning and ending the writing with the same idea to keep it constantly in mind.

(هو تكرار الفكرة الرئيسة خلال كل الكتابة كأن تكون البداية تشبه النهاية وذلك لجعل الموضوع حاضراً في الذهن على الدوام). ويغلب عليه نمط إنهاء الحديث بما بدأ به من

(1) الإسراء: 15.

(2) آل عمران: 168.

(3) الجمعة: 6.

نفس الموضوع. ففي اللغة الإنجليزية يمكننا أن نمثل له بقول الكاتبة (فيرجينيا وولف Virginia Woolf) إذ تبدأ مقالها عن (قلم الرصاص pencil) كما يلي:

"No one has ever felt passionately towards a lead pencil."

ثم تختتم الكاتبة فيرجينيا وولف حديثها مذكرة القارئ بأهمية قلم الرصاص، فتقول:

"... .. We have retrieved from all the treasures of the city, a lead pencil"⁽¹⁾

أما في اللغة العربية فإن القرآن الكريم يحفل بمثل هذا الأسلوب، فيورده في لغة أخاذة وصياغة شيقة، فمثلاً نجد سورة الأعراف تبدأ بذكر التوحيد وعبادة الله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله عز وجل: ﴿المص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين * اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾⁽²⁾.

ثم أنه قد ختمت السورة بنفس الدعوة للقرآن الكريم وتلاوته، وعبادة المولى عز وجل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون * واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين * إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾⁽³⁾.

بدأت السورة بدعوة النبي ﷺ أن لا يتحرج من الدعوة إلى القرآن، أي طلبت الآيات الأولى من الرسول ﷺ أن يقرأ القرآن الكريم ويذكر به. وختمت السورة بالحث على الاستماع للقرآن الكريم. ومعلوم أن الاستماع والقراءة من أهم أركان الفهم والتعليم والتعلم.

⁽¹⁾ Thomas S Kane & Leonard J. Peters : Writing Prose : Techniques and Purposes page 317.

⁽²⁾ الأعراف: 1، 2، 3.

⁽³⁾ الأعراف: 204، 205، 206.

فإنه في جميع اللغات يُدَّكر علماء اللغة بأن المهارات اللغوية الأساسية تتمثل في الآتي :
(الاستماع **listening**)؛ (التخاطب أو التحدث أو الكلام **speaking / talking**)؛
(القراءة **reading**)؛ ثم (الكتابة **writing**)..

إذاً بدأت السورة بالدعوة إلى الاستماع والإنصات الذي هو أولى خطوات التلقى والتعلم، ثم ختمت السورة بالتذكير وحث الناس على أن يسترجعوا ويتذكروا ما وعوه باستماعهم في بداية السورة. وهذا إحكام لدائرة المعرفة لا يتأتى إلاً بتنزيل من لدن عليم حكيم. فالآيات ذات حركة دائرية: قراءة من قارئ، ويصحب هذه القراءة استماع من متلقى، ثم يأتي استماع يصحبه استرجاع وتذكر لما قرئ من قبل في بداية عملية القراءة التعليمية.

إن (اللغويين **linguists**) كثيراً ما يتحدثون عن التصدير والذي تكون فيه اللفظة قد تقدمت مادتها في أول الآية، وذلك يشبه رد العجز على الصدر. فمن أمثلة التصدير نقرأ قوله تعالى: ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب﴾⁽¹⁾. فانظر المناسبة ما بين كلمة (هب) وكلمة (الوهاب). فالوهاب لفظة ثناء على المولى عز وجل بصفة الرحمة والهبة والوهب، فناسب ذكر اسمه: (الوهاب) طلب الهداية في بداية الآية: (هب لي).

هكذا نجد أن معظم فواصل الآيات لها قيمتها في إتمام المعنى. وإلتام هذا المعنى بطريقة أخرى يطالعنا ما يسمى في اللغة العربية بـ (التوشيح)، وهو أن يكون معنى الآية مشيراً إلى هذه الفاصلة. وذلك مثال قوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾⁽²⁾، فالفاصلة في (مظلمون) يشار إليها مسبقاً بـ (الليل) وهو مظلم. فالتوشيح

(1) ص: 35.

(2) يس: 37.

والتصدير هما وجهان لعملة واحدة، أى أن أحدهما يشير للبداية والآخر يشير للنهاية. "فنهاية الآية يدل على التصدير، والتوشيح يقود إلى نهاية الآية"⁽¹⁾. أى أن نهاية الآية يشار إليها بالتصدير الواقع فى بداية الآية، أما التوشيح الواقع فى نهاية الآية فإنه يدكر القارئ أو المستمع ببدايتها.

إذن ففى كل من التصدير والتوشيح نرى رد العجز على الصدر فى الآية الواحدة، مثلما رأيناه من قبل فى السورة الواحدة بأكملها، وذلك عندما اتسق أول السورة مع آخرها. إن فى إغلاق الدائرة، أو فى رد العجز على الصدر نوعاً من تكرار العبارات، وهذا التكرار يعد ضرباً من ضروب الروعة فى الأدب نسبة لما يحمله من تذكير دائم للقارئ أو المستمع بالفكرة الأساسية المحورية، فيظل هذا القارئ أو المستمع مستصحباً هذه الفكرة على الدوام، فلا يغفل عن الموضوع الأساس. وهذا التكرار يؤكد وحدة الموضوع فى القطعة الفنية المتناولة. كما أن هذا التكرار يجعل من الفقرة المكررة كأنها المقطع الموسيقى الواحد الذى يتكرر فى العمل الفنى الواحد بأكمله⁽²⁾.

(1) أمين (بكرى شيخ): التعبير الفنى فى القرآن، ص 207.

(2) خليفة (د. محمد): الاستشراق والقرآن العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، الفصل الثانى، البناء الإلهى للقرآن، ص 56.

قال تعالى:

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض

واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في

ذلك لآيات للعالمين﴾

الروم: 22 .

الباب السادس:

بعض جوانب القصور

البلاغى فى اللغة الإنجليزية

الباب السادس: بعض جوانب القصور البلاغى فى اللغة الإنجليزية

تحدثنا فى الباب السابق عن جماليات اللغة الإنجليزية وبلاغتها. وفى هذا الباب نود أن نستعرض بعض الجوانب اللغوية التى تقتصر باللغة الإنجليزية وتقعدها عن منافسة اللغة العربية فى نقل معانى القراءان الكريم. ونمثل لهذا القصور بالنماذج التالية:

أولاً: ظاهرة النحت:

ذكرنا فيما سبق أن اللغة العربية من قبيل اللغات التوليدية التى تقوم على اشتقاق المعنى من مادة أصلية واحدة للكلمة⁽¹⁾. أما فى اللغة الإنجليزية فلا نجد تقارباً فى المعنى بين الكلمات التالية:

Share, cheer, chair, shire Etc.

كما أننا لم نسمع فى اللغة الإنجليزية بأن كلمة (come) بمعنى "يأتى" قد اشتق منها ما يلى: (cmeo, meco, omeo, cemo): فهذه الاشتقاقات المصطنعة والدخيلة على اللغة الإنجليزية لا تفيد أى معنى للكلمة، ناهيك عن إفادتها معنى مشترك بين مشتقاتها المصطنعة هذه⁽²⁾. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن طريقة اللغة الإنجليزية تركز على النحت والصاق الكلمات بعضها ببعض، مثال الكلمات الآتية:

(1) فى واقع الأمر أن جميع القواعد التى تشتمل عليها اللغات الأخرى توجد نظائرها فى اللغة العربية، فمثلاً نحت الجمل فى قولهم: بسم، أى قال: بسم الله الرحمن الرحيم، حمدل إذا قال: الحمد لله، كما نجد طريقة اللصق فى: أرقام؟ قائمون، زينات، أما طريقة العزل (أى استخدام الروابط) بمثلها قولك: أكرم الرجل الضيف. فنجد شتى طرق التركيب فى اللغة العربية، بينما تشتمل اللغة العربية على قواعد لا نظير لها فى اللغات الأخرى.

(2) أنظر مادة (جبر): الباب الثالث.

(disregard, classroom, development, mismanage, happiness, creation, ... etc)

وهذا الإلصاق يقوم على إضافة مقاطع هي عبارة عن (لواحق suffixes) مثال: (ment) للحال؛ (ion) للحدث؛ (er) لاسم الفاعل، وهلم جرا. هذه اللواحق تضاف في نهاية الكلمة. كما نجد مقاطع أخرى تسمى (سوابق prefixes)، وهذه تضاف لأول الكلمة، مثال: (dis, im, anti, ir, in, un, mis) للسلب مثال: (disregard)؛ (re) للتكرار مثال: (rewrite)؛ (bi) للشائبة مثال: (bilateral)؛ (pro) للموافقة مثال: (procapitalism)، وما إلى ذلك من سوابق.

يلاحظ أن تغيير الكلمة الأصلية، مثل الفعل: (يتكلم speak) بإضافة (er) ليصبح لدينا اسم الفاعل (متكلم speaker) إنما هو تغير شكلي لا يمس أصل الكلمة الجذر، وهذا التغير الشكلي أوضح ما يكون في الكلمات الملصقة من كلمتين أو اسمين كانا في الأساس مستقلين مثل كلمة: (grand) بمعنى (كبير) وكلمة: (father) بمعنى (أب)، فإذا جمعنا هاتين الكلمتين نتج لدينا كلمة: (grandfather) التي تعني: (الأب الكبير أى الجد). وهذا لصق بدون إدغام. وهناك لصق بادغام مثل الذى نجد فى كلمتى: (psychology) و (socio-economic)، وفيه تكون إحدى الكلمتين المكونة للكلمة الجديدة المنحوتة ناقصة عن أصلها مثل: (socio) والتي أصلها (social)، والجزء الثانى من الكلمة تام وهو: (economic).

أما توليد الكلمة العربية واشتقاقها من أصل كلمة واحدة أخرى سمة أكسبت اللغة العربية سهولة التحرك من الفعل إلى الفاعل، المفعول، اسم الفاعل، اسم المفعول، اسم الزمان، اسم المكان (أى الظرف)، وذلك فى سبيل من الكلمات التى يألّف بعضها البعض. نخلص من كل ما تقدم عن الاشتقاق إلى أن الاشتقاق - بنوعيه الكبير والصغير - وكما نجد فى اللغة العربية مثلاً فى كلمة: نزل، ينزل، منزل، منازل، نزال، نوازل،

تنزيلات، تنزيل، يتنزل، استنزال، لا يمكن أن نجد هذه السعة في اللغة الإنجليزية لكلمة (house)، فالكلمة الإنجليزية ليست بهذه الطاعة والمرونة التي نجدها في اللغة العربية لخدمة المعاني العديدة بخاصية الاشتقاق.

وخذ مثلاً الآية: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾⁽¹⁾، وترجمتها إلى الإنجليزية:

And sent down Rain from the heavens

ف نجد أن كلمة (أنزل) عadلتها بالإنجليزية كلمتان (sent down) وذلك بسبب غياب الاشتقاق اللغوي في اللغة الإنجليزية.

ثانياً: بناء الجملة الإنجليزية:

هنالك اختلاف جوهري في بناء الجملة ما بين اللغتين العربية والإنجليزية. وقفنا سابقاً على أن طريقة بناء وتركيب الجملة الإنجليزية يحُدُّ من حركة الجمل إلا إذا ربطت بروابط التكلمة لفعل الكينونة (verb to be).

وهنالك روابط التبعية، فنجد في الجملة الإنجليزية الواحدة شطرة أو (شبه جملة clause) (مستقلة independent) أو (رئيسة main) مثال قولنا: (الطعام يكون مغذياً) أي (The food is nutritious) فهذه العبارة الإنجليزية تفيد معنى كاملاً حتى ولو كتبت لوحدها. أما عبارة: (الذي تتناوله) أي: (which you take) فتسمى (معتمدة dependent) أو (تابعة subordinate) لأنها تعتمد لفهمها وتتمام معناها على العبارة الرئيسة. فإذا وضعنا العبارة التابعة داخل العبارة الرئيسة تحصلنا على الجملة التالية: The food which you take is nutritious، فالعبارة التابعة في هذه الجملة الإنجليزية تعد (محددة أو مُعرِّفة defining) لهذه (المجموعة الاسمية nominal group)، والمجموعة الاسمية

(1) البقرة: 22.

هنا هي عبارة **the food** أى أنها تحدد وتُعرّف أىّ أنواع الأطعمة يكون مغذياً - هل هو (الذى تتناوله **which you take**) أم ذلك الطعام (الذى تزرعه **which you grow**)؟
أما إذا أردنا لنفس العبارة التابعة أن تكون (غير مُعرّفة **non-defining**) أى أن تكون مجرد (جملة اعتراضية **parenthetical sentence**) يجوز حذفها، فإننا نضع (فاصلة **comma**) بعد كلمة (**food**) وفاصلة أخرى قبل كلمة (**is**)، وذلك بهدف فصل الجملة التابعة من الجملة الرئيسة فيصبح لدينا هذه الجملة:

The food, which you take, is nutritious.⁽¹⁾

ولهذا يصح أن نقول:

Allah, who is powerful, can do everything.

حيث أن الجزء: (**who is powerful**) يكون (غير معرف **non-defining**)، وذلك لعدم احتياج (اسم الجلالة - الله **Allah**) لتخليص وتعريف وتمييز عن شريك له - حيث لا شريك له البتة، فلا يحق لنا حذف (الفاصلتين **commas**) اللتين تضمّان (شبه جملة الموصول **relative clause**) وهي: (**who is powerful**).

(1) لا أحد ينكر أهمية ربط الجمل بعلاقتها المنطقية مما يفيد كثيراً في تتابع التفكير. ففي اللغة العربية نجد نفس الربط للجمل. فبنفس القدر من التحليل يمكننا إيضاح الجزء الرئيس والجزء التابع من (الجملة الشرطية **conditional sentence**) ففي اللغة العربية نجد المثال: (إن تجتهد تنجح)، وتعادل باللغة الإنجليزية (**If you work hard, you will pass**)، حيث (**If you work hard**) هي (شبه جملة الشرط **conditional clause**) وهي (**dependent clause**) أى معتمدة، وهي فعل الشرط؛ بينما نجد (**you will pass**) هي شبه جملة جواب الشرط أو النتيجة (**result clause**) وهي (شبه الجملة الرئيسة **main clause**). غير أن اللغة العربية - وإن وجد فيها الربط - لا توجد فيه مفاهيم التبعية أو الاستقلالية.

أما في اللغة العربية فإننا لا نحتاج لفصل أجزاء الجملة بفاصلة (comma). فقولنا (إن الطعام الذى تتناوله يكون مغذياً) فإنه وإن كانتا عبارتين:

1. إن الطعام يكون مغذياً 2. الذى تتناوله

غير أننا نلمح في التعبير العربى التابع والاسترسال دون قيد التبعية والاستغالية. فشبه جملة الموصول تذوب في العبارة كلها، ويساعدنا في ذلك الفاعل المستتر في (تتناوله). بيد أنه في الإنجليزية هنالك الفاعل الظاهر - كلمة (you) - للفاعل يتناول (take)، ولذا يعد هذا التعبير بفعله وفاعله جملة كاملة، ويصبح لدينا في الإنجليزية جملتان هما:

1 . The food is nutritious . 2 . which you take

فإما أن ن فصلهما وإما أن ندجمهما ونحتفظ بلامح كل منهما الأساسية. ولكن عند الإنجليز ما اقترب اثنان إلاّ وأحدهما أساس والآخر ثانوى، أى أن الأول رئيس والآخر مرؤوس، أى أن أحدهما تابع والآخر متبوع. ولكن في اللغة العربية يقف الاثنان بمسؤوليتهما المشتركة في نسيج واحد، حيث الكل رئيس والكل مسؤول: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"⁽¹⁾. فيتكاتف الاثنان لصنع واحد له حقوق الكل، كما تكون عليه مسؤولية رعاية الكل. ومن هنا تنشأ معنا المعاني العربية اللتان تبصران الواحد في الكثرة، والكثرة في الواحد، وفي كل المعاني آية للتوحيد، وفي كل الآيات معنى للتوحيد.

(1) البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، 93 كتاب الأحكام، 1 باب قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ - النساء: 59، ص 1496، حديث رقم 7138.

ثالثاً: ثبات قواعد النحو:

ينعدم في اللغة الإنجليزية تغير (النحو syntax) ووظائف الكلمات؛ والأمر في اللغة العربية غير كذلك حيث يتغير إعراب الكلمة بحسب قراءتها في الجملة، وربما يتغير معناها بتغير حركة الإعراب، وقد مر بنا أنه في اللغة العربية يجوز التقديم والتأخير والحذف. والمعنى المراد متروك لحركات الإعراب التي توضح معنى ما تقدم أو تأخر من كلمات، فحركات الإعراب التي انفردت بها اللغة العربية هي التي أتاحت هذه الحرية في حركة الكلمة وبالتالي حرية التعبير والمعنى المقصود.

ولكن الوضع في اللغة الإنجليزية بخلاف ما هو عليه في العربية. ففي الإنجليزية يثبت تركيب الجملة (من حيث الفعل والفاعل) على قراءة واحدة، مثال ذلك الجملة التالية: (A dog bites a man)، فإذا ما غيرنا ترتيب الكلمات لنفس الجملة الإنجليزية، وقلنا (A man bites a dog) أصبح لدينا جملتان مختلفتان في المعنى باختلاف الفاعل في كليهما. فالكلمات الإنجليزية في الجملة يندر أن تخرج عن ترتيبها المعتاد، فالجملة (التقريرية المثبتة affirmative statement) ترتب وحداتها كالاتي:

(subject + verb + object). أى: (فاعل + فعل + مفعول به)، مثال:

.you have books

فلا نجد خلاف هذا الترتيب ولا سيما فيما يتعلق بوضع الفاعل مع الفعل، فلا تبدأ الجملة الإنجليزية بفعل إلا إن كانت سؤالاً مثال:

Have you books?

وقد يتم التغيير في معنى العبارة الإنجليزية بالتنبير أو التنغيم (تغيير الصوت نطقاً) وهو ما يسميه الإنجليز بـ (stress / intonation)، أى هو تغيير يتم في صوت المتحدث بـ (ارتفاع أو انخفاض النبرة / النغمة rising or falling pitch)، فخذ مثلاً العبارة التالية:

She fed her dog meat

إن كان (الضغط / التنبير / intonation / stress) وقع على كلمة (meat) فالعبارة تعني: أنها أطعمت كلبها لحماً. أما لو وقع ارتفاع الصوت على كلمة (dog) فالعبارة تفيد أنها أطعمتها من اللحم المخصص للكلب أو من الكلب نفسه بعد أن صار هذا الكلب لحماً. وفيما يتعلق بهذا التنبير يقول البروفسور بالمر:

"المتحدث بالإنجليزية يمكنه بسهولة أن يدرك الاستخدام الواسع للتنبير في التعبير عن الأغراض اللغوية المختلفة، وبذلك يدرك الاتجاهات الفكرية للمتحدث. فعن طريق هذا التنبير يمكن للمتحدث أن يعبر عن عاطفة أو تفكير أوخلافهما". فهو يقول:

"The speaker of English can easily become aware of the great use of intonation for a whole variety of purposes: largely of an attitudinal kind ... the speaker can express emotion, attitudes, etc."⁽¹⁾

كما يقول (أندرو رادفورد (Andrew Radford)

"..... by changing the tone over the word the speaker changes the attitude he or she is expressing. Thus we move from : a) a simple statement to b) a question to c) a strong assertion to d) a matter of fact assertion to e) an expression of disbelief"⁽²⁾.

وضرب لذلك مثلاً بالتعبير التالية المصاحبة برموز التنبير تحت كل تعبير، والتي تفيد كما يلي على التوالي:

- | | |
|---------------------|-------------------------|
| (a) التقرير البسيط. | (b) مجرد السؤال. |
| (c) التأكيد الجازم. | (d) مجرد إثبات الحقيقة. |
| (e) عدم التصديق. | |

⁽¹⁾ Palmer (F. R.) : Semantics 157، pp 156، the sentence

⁽²⁾ Radford : (Andrew) & Others : Linguistics pp 48 ، 49

والرموز التالية - مع تعابيرها - تبين هذه التنبيرات أو النغمات ومعانيها بدايةً بالتقرير البسيط وانتهاءً بعدم التصديق.

a) eat peas b) eat peas? c) eat peas!



d) eat peas e) eat peas?!



هكذا يتغير المعنى عند الإنجليز بتغير الصوت والنبرة. وهم يولون هذا (التنبير intonation) أهمية قصوى على حد قول (مستر كريب C. Criper): "تتغير طبقة الصوت في التلفظ بالإنجليزية معطية الصفات المميزة للحن والنبرة في اللغة الإنجليزية".

" The musical pitch of the voice changes during an utterance , giving the characteristic melodies of English language ".⁽¹⁾

رابعاً: الصفة (Adjective):

إن الصفة في اللغة العربية تتبع الموصوف وتدور معه في التنكير والتعريف؛ والتأنيث والتذكير؛ والإفراد والتثنية والجمع، وفي الإعراب، فنقول - مثلاً: رجل كبير، امرأة كبيرة، الرجال الكبار، المسلمون عفيفون،

C. Criper & H. G. Winddowson : Sociolinguistics & Language Teaching ⁽¹⁾
p 150

وهذا الوصف ينطبق على المسلمين العفيفين⁽¹⁾.

أما في اللغة الإنجليزية فالصفة تلزم حالة واحدة، فنقول:

good boys, good boy, good girl, good girls, good example, good examples, good oil .

إذاً فالصفة عند الإنجليز هيئة جامدة، ولبسة جاهزة يرتديها كل موصوف؛ أي هي حكم مسبق ينطبق على الكل دون مراعاة لعدالة الاهتمام بالفوارق بين الأشياء الموصوفة من جمع ومثنى ومفرد، ومؤنث ومذكر.

ولا يفوتنا أن نقول إن سبب تثبيت الإنجليز الصفة على هيئة واحدة هو ما ذكره العلامة (ريبو Ribot) حيث قال: "إن الصفة هي أول ما ظهر من اللغة الإنسانية، ثم تلتها الأسماء ثم الأفعال، وتشمل الأسماء أسماء المعاني وأسماء الذوات"⁽²⁾. ولهذا نجد الإنجليز يقدمون الصفة على الموصوف في الجملة كقولهم: **small houses**. ونجد عكس هذا الترتيب في اللغة العربية حيث نقول: (منازل صغيرة). فهل يا ترى أن العرب تقدم الاسم على الصفة بإيحاء من الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽³⁾؛ أي أن الاسم هو أسبق الكلمات في الفكر العربي.

(1) لا يشذ عن هذه الصيغة إلا ما بلغ الذبوة وأكمل الدورة، فإنه ينقلب إلى ضده؛ فمثلاً كلمة (قصعة) مؤنث، فإذا زادت في العدد تجمع وتصبح مذكر فنقول (قصاع)؛ كما نقول امرأة (صابرة)، فإذا تناهت في الصبر قيل عنها امرأة (صبور) بتذكير الصفة؛ ويقال رجل (ناكح) بتذكير الصفة، فإذا أكثر في الزواج وتناهى فيه وصف بأنه رجل (نكحة) بتأنيث الصفة. وكذلك عكسوا الأمر في العدد فقالوا: (ثلاثة) رجال، و (ثلاث) نسوة. وهكذا إذا تناهت العداوة تحولت إلى مودة، قال جميل بثينة:

وأول ما قاد المودة بيننا بوادى بغيض يا بئس سباب

فقلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكل حديث يا بئس جواب

(2) وافي (د. على عبد الواحد): علم اللغة، ص 130.

(3) البقرة: 31.

ومهما يكن من شأن ترتيب الصفة في الجملة فإنها عند العرب ليست شيئاً قائماً بذاته، فليس ثمة صفة بلا موصوف - من ناحية فلسفية، لا عرض بلا جوهر - وبمعنى فلسفي آخر فإننا لا نجد حكماً مسبقاً على الأشياء، أو بمعنى أدق أن صفات الأشياء غير ثابتة، فتوجد الأشياء ثم تطلق عليها الصفات التي هي (متغيرات **variables**) تتبع الأسماء التي هي (ثوابت **constants**)، وهذا يتسق مع فلسفة الجوهر والعرض، فالفلاسفة يقولون إن الصفة عرض تحل في الموصوف وتستند في وجودها عليه، ولذلك يكون وجود الموصوف سابقاً ومتقدماً على وجود الصفة⁽¹⁾.

ولقد رأينا في اللغة الإنجليزية كيف يكون هنالك صفة بلا موصوف - إحساس بلا وجود شيء محسوس. يتضح ذلك من قولهم (**It is cold**) فكلمة (**cold**) هي صفة راجعة للضمير (**it**) و (مكملة **complement**) لمعنى الجملة، وسبب ذلك هو سيطرة فكرة الفعل على الجملة الإنجليزية حيث تحل الجملة الإنجليزية أعلاه إلى: فاعل هو (**it**)؛ فعل هو (**is**) ثم صفة هي (**cold**) ففعل الكينونة (**is**) منشؤه في الإنجليزية هو غياب فكرة المبتدأ والخبر في هذه اللغة - كما ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب. فنفس الجملة الإنجليزية أعلاه تترجم إلى العربية كالاتي:

هي = مبتدأ.

باردة = خبر المبتدأ.

فليس ثمة إشارة في النص العربي إلى صفة أو موصوف. فإن ما يعتبره الإنجليز صفة مثل كلمة (باردة **cold**) تعتبره العربية (اسم) وتنزله في محل خبر المبتدأ. وذلك لأن الصفة قد تلبس هيئة الاسم وتتفاعل معه. فكلمة (باردة) في الجملة العربية - وإن أفادت معنى الصفة - تعد من قبيل الإخبار عن الشيء، ولهذا تعرب خبراً للمبتدأ.

(1) عبد القادر (دكتور محمد أحمد): الإلهيات في الفكر الإسلامي، ص 56.

ومن الأسماء الإنجليزية ما تعتبر صفة مثل كلمة: (money) في العبارة التالية:
(صندوق المال money box) بينما نجد في اللغة العربية نفس العبارة: (صندوق المال)،
فكلمة (مال money) تعتبر في اللغة العربية (اسماً) مضافاً لـ (صندوق). ويشبه ذلك فكرة
الملكية: ففي العبارة الإنجليزية: (police office) والتي حذف منها أداتا الملكية (S) بعد
كلمة (police) فتحوّلت العبارة لما يشبه التوصيف بكلمة (بوليس police) والموصوف
(مكتب office)؛ أما في اللغة العربية فنجد في قولنا: مكتب البوليس أن (مكتب) مضاف
و (بوليس) مضاف إليه.

خامساً: الحروف والأصوات:

يذكر علماء اللغة أن اختلاف اللغات واللهجات ينشأ نتيجة لاختلاف أعضاء
النطق عند الشعوب، وذلك بحسب اختلاف بنية الأعضاء الصوتية، واستعدادها وتنوع
الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل - بطريق الوراثة - من السلف إلى
الخلف⁽¹⁾.

فنذكر على سبيل المثال لهذا الاختلاف انعدام بعض الحروف وأصواتها في اللغة
الإنجليزية مثل: ع، خ، ض، ط، ظ، ق، ولا سيما حرف الضاد الذي بسببه سميت اللغة
العربية (لغة الضاد)، وذلك لتعذر نطقه في كافة اللغات الأخرى. "واختصت العرب أيضاً
باستعمال الهمزة متوسطة ومتطرفة، ولم يستعملها العجم إلا في أوائل الكلام"⁽²⁾.

أما من ناحية رسم الحروف فإننا لا نجد رسماً لبعض الحروف في اللغة الإنجليزية،
فبالإضافة للحروف المذكورة في الفقرة أعلاه نجد أن بعض الحروف تخلق بدمج حرفين، مثال
: (ث) التي تتركب من (th) كما في كلمة (thank)، و الصوت (ش) يؤلف من جمع (s)

(1) وافي (د. علي عبد الواحد): علم اللغة، ص 278.

(2) موسى (عبد الرازق بن علي بن إبراهيم): الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص 30.

مع (h) هكذا (sh) كما في كلمة (she)؛ ثم إننا نجد في اللغة الإنجليزية توليفة حروف واحدة لأكثر من صوت ، مثل (th) لكلمة (think) ولكلمة (this) حيث تنطق الـ (th) الأولى (ث) والثانية تنطق (ذ). كما نجد أن الحرف الواحد له عدة أصوات، مثل الحرف (u) الذى ينطق (a) كما في (hut) ، وينطق قريباً من (o) كما في (put)، وينطق (u) كما في (pure) فالحرف واحد وأصواته ثلاثة ؛ ونجد (ف f) التى تصاغ أحياناً من (ph) كما في كلمة (photograph)؛ ونجد صوت الكاف الذى قد يمثله (k) كما في (key)، ويمثله (c) كما في كلمة (car)، ويمثله (q) كما في كلمة (queen) فالصوت واحد والحروف ثلاثة. ولهذا نجد أن عدد الحروف العربية 28 حرفاً لا تحتاج اللغة إلى غيرها. بينما نجد عدد الحروف في اللغة الإنجليزية 26 حرفاً منها ما هو صوت مكرر في عدة حروف: (مثل c في car و k في key و q في queen)؛ ومنها ما هو حرف مكرر لعدة أصوات : (مثل u في الكلمات: pure, hurt hut ،) ولهذا تكثر ظاهرة (المجاء spelling) الإنجليزية الذى لا يعتمد على السمع والنطق، فنجد كلمات بها حروف لا تنطق، مثل حرفي (gh) في كلمة (daughter)، كما أن هنالك أصوات لا يوجد لها حرف كتابي واحد، بل هو صوت يأتي من توليفة حروف كما في كلمة (nation) فحروف (tio) تنطق (ش) مثلما تنطق (sh) في كلمة (shop).

واختلاف نطق الحروف الإنجليزية هو الذى حدا بالمستشرق سيل (Sale) أن يزعم أن الحرف (ص) في بداية سورة (ص) يقصد به (سليمان)⁽¹⁾. ونحسب أن الذى خدعه في زعمه هذا هو أن الحرف (س S) في كلمة سليمان التى تقابل (Solomon) ينطق بالإنجليزية مفخماً مثل الصاد العربية.

(1) خليفة (د. محمد): الاستشراق والقرءان العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، ص 67.

وهكذا نجد أن ثمة (عدم اتساق inconsistency) - في هجاء الكلمة الإنجليزية - ما بين الصوت وصورة الحرف. أى أن صوت الكلمة المعنية لا يعطيك حروف هذه الكلمة، كما أنه ليس من السهل إدراك صوت الحرف من شكله (فلا تدرى هل حرف c ينطق ك كما في car أم ينطق س كما في: proceed).

وقد اعترف بهذا القصور في الهجاء الإنجليزي علماء اللغة الإنجليزية أنفسهم. فهي هي الكاتبة الإنجليزية (سيمون بوتتر Simon Potter) تقول: "إن الهجاء الإنجليزي يفصح عن ميزات جليلة، غير أنه في مجال علم الأصوات أدنى من اللغة الفرنسية. فآلاف الكلمات الإنجليزية لا يمكن تمييزها إن كتبت حسب قوانين علم الأصوات"⁽¹⁾، وهي تشير إلى عدم الاتساق بين الحرف والصوت الذى أشرنا إليه سابقاً.

وهذا النظام الكتابي للأصوات الإنجليزية، والذى لا يعتمد على سماع الكلمات، بل يعتمد على كتابتها، يعد قصوراً فادحاً في أى لغة. إذ أن الكتابة والتوثيق من أهم عوامل ثبات اللغة وسهولة تعلمها، والإملاء الذى يعتمد على الصوت يسهل الكتابة.

إن الفرق بين الأصوات العربية والأصوات الإنجليزية يمتد حتى يشمل وسيلة اكتشاف الصوت. ففي العربية يعرف مخرج الصوت بالإتيان بهمزة قبل الحرف ثم ينطق به ساكناً أو مشدداً، فحيث ينقطع الصوت يكون مخرج الحرف. وهذه وسيلة للمعرفة والكشف تنبع من داخل النظام الصوتى نفسه، أى هى معرفة يستخدم فيها أدوات الصوت أى الحرف ليبدل على حرف آخر. إذاً هى طريقة تنبع من داخل النظام الصوتى للغة المعنية. هذا بخلاف اللغة الإنجليزية التى يستخدم فيها - فقط - الوسيلة المادية الخارجية لمعرفة - مثلاً

⁽¹⁾ أى هى تقول:

"English spelling has manifest advantages; yet it is even more unphonetic than French thousands of words would be unrecognizable if written phonetically"
. See: Simon Potter, Our Language, Harmondsworth, Middlesex, Penguin Books LTD , pp 73.74 .

أصوات : الحروف (المهموسة **non-voiced**) من الحروف (المجهورة **voiced**)، ففى هذه الطريقة الكشفية الإنجليزية يغلق المتكلم إذنيه بيده، ثم ينطق بالحرف متواصلاً فإن أحدث فى رأسه صوتاً كالظنين فالحرف يكون مجهوراً، وإن لم يحدث ذلك الظنين يكون الحرف مهموساً. هذا الكشف الإنجليزي هو كشف اعتمد على ميكانيكية خارجية وليست من داخل نظام الصوت وذلك لأنه استخدم اليد لإغلاق الأذن. وبالطريقة الإنجليزية هذه ترى هل يستطيع الأصم معرفة إن كان الحرف مجهوراً أم مهموساً. وإن كان لا بد من هذه الطريقة الميكانيكية فاللغة العربية لا تترك المجال للإنجليزية وحدها، بل تشاركها نفس نظام الكشف، فلمعرفة مخرج الحرف العربى يستخدم المتكلم نفس الطريقة الإنجليزية، ويزيد العربى عليها بطرق أخرى منها:

(أ) يضع المتكلم يده على (تفاحة آدم **Adam's apple**) - وهى البروز الخنجرى - ثم ينطق بالحرف، فإذا اهتز الوتران الصوتيان شعر المتكلم بالاهتزاز، وهذا يعنى أن الصوت مجهور، كالنطق بالبدال مثلاً؛ ولكن عند الأصوات المهموسة لا يشعر المتكلم بالاهتزاز.

(ب) وضع الكف فوق الجبهة ثم النطق بالحرف فنحس برنين الصوت المجهور فى الرأس نتيجة لاهتزاز الوترين الصوتيين مع الحرف المجهور وعدم اهتزازهما مع الحرف المهموس⁽¹⁾. فهذه الطرق للكشف عن الصوت المجهور والمهموس تذكرنا ما قلناه سابقاً فى هذا الكتاب بأن اللغة العربية تحوى كل ما لدى اللغات الأخرى وتنفرد بما يخصها دون سائر اللغات.

وثمة نقص آخر فى نظام الصوت الإنجليزي ، ذلكم هو انعدام التنوين فى اللغة الإنجليزية. إن الفتحة والضمة والكسرة (أى حركات الإعراب) أنما هى مدات أو أصوات صائتة قصيرة لم تطل فتتحول إلى ألف، واو، ياء - على التوالى. فمثلاً انعدمت حركات الإعراب فى اللغة الإنجليزية فقد انعدم التنوين الذى ما هو إلا حركات مشبعة.

(1) هلال (عبد الغفار حامد): أصوات اللغة العربية، ص 136، 137.

هذه بعض جوانب القصور البلاغى فى اللغة الإنجليزية. وعند دراستنا فى الباب الثامن لبعض آيات القرآن الكرىم سوف يتبين لنا بصورة أوضف أن هذا القصور والذى شمل عدة نواحي فى اللغة الإنجليزية، من أهم المعوقات التى تجعل اللغة الإنجليزية لا تفى بمعانى القرآن الكرىم.

قال تعالى:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾

يس: 69.

الباب السابع:

وما القرءان الكريم

بقول شاعر

الباب السابع: وما القرءان الكريم بقول شاعر

لقد أذهل القرءان الكريم كفار قريش وأصاب أفكارهم بالشلل، فصاروا يتخبطون في الحكم عليه. فوصفوه بأنه حديث الشياطين، وأتهموه بسجع الكهان، ثم رموه بالسحر، كما زعموا أنه شعر، وادعوا أنه أساطير الأولين، ووصفوه بأكثر من ذلك فقالوا عن صاحبهم أنه مجنون - وحاشاه ﷺ. وقالوا هو علم يتلقاه من ذوى اللسان الأعجمي، وقالوا عنه الكثير من المزاعم الباطلة والأقاويل التي تتم عن جهلهم وعنادهم وعن حيرتهم في هذا الحديث المعجز نظمه والذي لم يألّفوه.

وقد فنّد القرءان الكريم جميع مزاعمهم وأبطلها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُذَكِّرُونَ *﴾ تنزيل من رب العالمين ﴿١﴾.

ولسنا في هذا الباب بصدد إبطال مزاعمهم جميعها، ولا نود الرد على كل أقاويلهم واتهاماتهم. غير أننا هنا - وبحكم تناولنا اللغوى في هذا الكتاب - يهمنا أن ننفذ اتهاماً واحداً، هو ادعاؤهم أن القرءان شعر. ونبدأ بتعريف الشعر وخصائصه للمقارنة بينه وبين النظم القرءاني.

أ) خصائص الشعر:

جاء في تعريف الشعر أنه: "كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت بقصد الشعر". وإنما قلنا بهذا التعريف لأنه من الجائز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن

(١) الحاقة: 40، 41، 42، 43.

الشعر من غير قصد من قائله أن يكون شعراً. فقد قيل أن بعض الناس كتب في عنوان كتاب (رسالة)⁽¹⁾:

للإمام المسيب بن زهير من عقال بن شبه بن عقال

فاستوى هذا في الوزن المسمى (الخفيف) الذى تفعيلته: فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن.
فالشعر يقوم على التقطيع العروضى الذى يعتمد على صوت الساكن وصوت المتحرك. فكل بحر له وزنه وتفاعيله. و (التفعيلة foot) هى وزن شعري مأخوذ من لفظ (فعل)، فهى وحدة مكررة تنتظم بيت الشعر. وقد سجل لنا الخليل⁽²⁾ في دوائره العروضية حوالى خمسة عشر بحراً، والبحر لغة هو الشق والاتساع، يقال بمرت أذن الناقة، أى شققتها، ومنها الناقة المبحورة - المشقوقة - أذنها على سبيل التخلية للطواقيت وعدم حلب لبنها للناس، وقد جاءت هذه الكلمة في قول الله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة﴾⁽³⁾. والبحر اصطلاحاً هو حاصل تكرار الجزء من تفعيلة الشعر، وقيل سمي بحراً لأنه يوزن به ما لا يتناهى من الشعر، فأشبه البحر الذى لا يتناهى بما يغترف منه. فالبحر العروضى هو تكرار وحدة التفعيلات بنسب متفاوتة، أو هو تكرار تفعيلة على نسق معين. وللكتابة العروضية نمط مختلف، فهى تعتمد على اللفظ والوحدة الموسيقية دون الكتابة بالخط الاصطلاحى، أى تعتمد على النطق بالحرف وليس على كتابته كحرف عادى، كما أن لها رمزاً تعتمد على الحركة التى يمثلها الخط الأفقى (-) والسكون الذى تمثله النقطة (.) ،

(1) السيوطى (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، النوع التاسع والأربعون، معرفة الشعر والشعراء، ج 2، ص 469.

(2) هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدى، واضع علم العروض، وهو عربى من أزد عمان، نشأ بالبصرة (100 - 175 هـ).

(3) المائة: 103. أنظر تفسير القرطبي، ج 6، ص 312.

ويكتب التنوين في العروض نوناً ويهمل الألف الخفيف واللام والألف الخفيفتين، أى يهمل كل ما لا يظهر على اللسان لأن العروض كتابة صوتية. فالكتابة العروضية للبيت التالى تكون كما يلي:

أبا مند / ذرنكانت / غرورن / صحيفتى
فلم أع / طكمفظطو / عمالى / ولا عرضى
ويأتى تفعيله الذى يقطع على ميزانه:
فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعيلن
فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعيلن
وتأتى رموزه التى تعتمد على الحركة والسكون كما يلي:

· - - - / · - - - / · - - - / · - - -
· - - - / · - - - / · - - - / · - - -

ونذكر بعض البحور الأخرى مثل:

1- بحر الطويل: وهذا البحر يعتمد على التفعيلة: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن، كقول الشاعر:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى
· - - - / · - - - / · - - - / · - - -
وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
· - - - / · - - - / · - - - / · - - -

2- بحر الوافر: وهو الذى يجرى فى بحر مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن، ويأتى
بجزوء العروض والضرب كقول الوليد بن يزيد:

فلست كمن يودك بال

· - - - - / · - - - - · - - - -

لسان ويكثر الخلفا

· - - - - / · - - - - · - - - -

3- الهزج: وهو على بحر: (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن)، ونجد مثاله قول
الشاعر⁽¹⁾:

هزجنا فى		أغانىكم	مفاعيلن
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن
مفاعيلن		مفاعيلن	مفاعيلن

لم نستوعب فى هذا الباب كل البحور العروضية فى الشعر العربى. فهنالك بحور
عروضية أخرى يضيق بنا هذا المجال عن ذكرها. ونحسب أن فى الذى ذكرناه من بحور
الشعر العربى يكفى لإعطاء أمثلة توضح طريقة التفعيلة التى تسير بقية بحور الشعر على
منوالها.

إن الشعر - كما جاء فى تعريفه - يقوم على القافية. والقافية عند الخليل هى من
آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذى قبل الساكن، مثال ذلك: (تابا)
من الآتى:

(1) الهاشمى (السيد أحمد): ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب، ص 60.

أقلّي اللومَ عازِلَ والعتابا

فالقافية تأتي في آخر بيت الشعر ، وهي من قفوت الشيء، أى تبعته، وقافية الرأس هي مؤخره (1).

هذا بعض النظر في أمر الشعر في اللغة العربية. وللقارئ أن يعرض القراءان الكريم على الشعر ليرى هل هنالك تطابق بين سمات الشعر ونظم القراءان الكريم؟ ولن يختلف حال الشعر الإنجليزي عن الشعر العربي كثيراً. فالإنجليز لديهم الشعر المقفى، الذى يعتمد على القافية، ويحوى التفاعيل العروضية المتنوعة، كما في قصيدة الشاعر والتي اسمها (2):

THE TABLE 'S TURNED

Up! Up! My friend, clear your looks
Why all this toil and trouble?
Up! Up! My friend, and quit your books
Or surely you will grow double
Books! 't is a dull and endless strife
Come, hear the Woodland Linnet,
How sweet his music! On my life
There is more of wisdom in it.

فانظر إلى القافية في المقطع الشعري الأول:

looks – trouble ; books – double

(1) تعددت الآراء عن القافية. فهي عند الأحفش آخر كلمة في البيت، مثل (عتابا) في بيت الخليل المذكور، وعند قطرب وأبي العباس ثعلب هي الروى. وهنالك آراء أخرى يضيق المجال عن ذكرها أنظر: مفتاح العلوم، للسكاكي، ص 270، وكذلك المرشد إلى فهم أشعار العرب، لعبد الله الطيب، ج 1، ص 46، 47.

(2) Co LTD ،Sampson (George) : The Lyrical Ballads (1798 - 1805)
London.

وكذلك قافية المقطع الثاني:

Strife – linnet ; life – it

وللإنجليزية كذلك من بحور الشعر و (الأوزان metres) الكثير من (التفعيلات feet). فيقسم (العروضيون prosodists) الشعر إلى عدة تفعيلات أهمها: (iamb) وهو البحر العميق أى هو تفعيل أو بحر مؤلف من مقطع قصير يتبعه مقطع طويل أو من مقطع غير مشدد النطق يتبعه مقطع مشدد النطق، ويرمز لهما ب (UI)؛ و (الترويشة trochee) وهى تفعيلة مؤلفة من مقطع طويل يتبعه مقطع قصير، ويرمز لهما ب (IU)؛ و (الدكتيل dactyl) وهى تفعيلة مكونة من مقطع طويل يتبعه مقطعان قصيران، ورمز هذه المقاطع: (IUU)؛ و (الانبسط anapaest) وهى تفعيلة مؤلفة من مقطعين قصيرين يتبعهما مقطع طويل، ويرمز لهذه المقاطع ب (UUI)؛ و (السبوندية spondee) وهى تفعيلة أو بحر عروضى مؤلف من مقطعين طويلين: (II)، حيث الرمز U (مقطع غير مشدد unstressed syllable) أو (قصير short)، أما الرمز I فيعنى (مقطع مشدد stressed syllable) أو (طويل long)، ومثال ذلك كلمة: (di féat) = defeat.

ويمكننا أن نعمل (تقطيع عروضى scansion) لأربعة أسطر من قصيدة

W.S.Gilbert المسماة:

The Yarn of the Nancy Bell

والتي نجد تفاعيلها كالآتى:

'T was on the shores that round our coast
From deal / to Rams / gate span
That I found alone on a piece of stone
An el / derly Na / Val man

ف نجد السطر الثانى يحوى ثلاث iambs، أى ثلاث تفعيلات تتبع النبرات UI المكونة من مقطع قصير يتبعه آخر طويل (غير مشدد ثم مشدد). أما السطر الرابع فيتكون من iamb

واحد ثم آخر هو **anapaest**، أى مقطعين غير مشددين يليهما مقطع مشدد (UUI)، ثم **iamb** واحد.

إذاً فالشعر الإنجليزي يحوى عدة تفعيلات منها الأحادى **monometre** والثنائى **dimetre** والثلاثى **trimetre**، وتصل إلى الثمانى **octametre**. فمثلاً يمكننا أن نمثل لأحادى التفعيلة بمقطوعة **Herrick's poem** الآتية، وتسمى تفعيلتها أحادية (**monometre**)، أى أنها تحوى تفعيلة عروضية واحدة (**one metrical feet**)⁽¹⁾:

I'm made
A shade
And laid
I' th' grave
There have
My cave

وثمة لون جديد من الشعر يطلق عليه (الشعر الحر **free verse**). وهو شعر قد تحرر من قيود القافية وبحور الشعر الخليلية. فالشعر الحر يعتمد على بحور عروضية معينة هى : الكامل، الرمل، الهزج، الرجز، المتقارب، المتدارك، السريع، والوافر. أى هو شعر يعتمد على بحور غنائية سريعة الإيقاع. فمثلاً نجد فى تفعيلة بحر الوافر قصيدة: "لن أبكى" للشاعرة فدوى طوقان، وفيها تقول⁽²⁾:

على أبواب يافا يا أحبائى
مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن
وفي خوض غمار حطام الدور بين الروم
مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن

(1) Cuddon (J. A.) : The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory
p 518

(2) محمد عبد الغنى ومحمد محمد الباكير: اللغة العربية (ثقافة عامة)، ص 561.

وقفت وقلت للعينين
قفا نيكي على أطلال من رحلوا وفاتوها
مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن
تنادى من بناها الدار
مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن
وتنعى من بناها الدار

إن الشعر الحر قد اقتبس من كل فن الجانب السلبي أو الفوضوي فيه. فقد اقتبس من النثر فوضى التحرر من القافية، ومن الرجز فوضى التفاعيل القلقة وفوضى ازدواج الأَشطر، ومن الموشحات والبند فوضى طول الأَشطر. كما اقتبس من (السريالية surrealism) فوضى الأفكار والمعاني، ومن (الرمزية symbolism) فوضى الغموض والرؤى المشتتة. فالشعر الحر يخلو من الانتظام في التفاعيل والقوافي وتوقيت الأَشطر، كما ينعدم في هذا الشعر العامل الزمني في الإيقاع. ففي الشعر العمودي التقليدي تتوقع بعد مضى كذا ثانية ضربة أو وقفة أو رويماً معيناً، وهذا ما يفتقر إليه الشعر الحر. أما قصيدة النثر فهي خيالات هائمة وأفكار مشتتة يعوزها مقومات القصيدة، فهي لا تزيد عن كونها نثر فيه بعض الإيقاعات، ومثال ذلك قصيدة محمد الماغوط والتي يقول فيها⁽¹⁾:

ليتنى وردة حورية في حديقة ما
يقطعني شاعر كئيب في أواخر النهار
أو حانة من خشب أحمر
يرتادها المطر والغرباء
ومن شبايكي المملوحة بالحر والذباب
تخرج الضوضاء الكسولة

⁽¹⁾ محمد (د. سلمى): كتاب اللغة العربية، 150.

إلى زقاقنا الذي ينتج الكآبة والعيون الخضر
حيث الأقدام الهزيلة ترتفع دوّما غاية في الظلام
يلاحظ في القصيدة أعلاه خلوها من التفعيلات والقافية، فهي أشبه ما تكون
بالقطعة المنثورة.

ولقد تقدم الشعراء الغربيون وسبقوا أهلنا شعراء العرب في الدعوة إلى (الشعر الحر
free verse) وكان على رأسهم (إزرا باوند Ezra Pound)، (د . هـ . لورنس D. H.
Lawrance)، (ت. س. إليوت T. S. Eliot)، و(أوسكار وايلد Oscar Wilde) وآخرون غيرهم. وقد تأثر هؤلاء الشعراء بمن يسمون (الشعراء الرمزيين symbolistic poets) و (السرياليين surrealists).

لقد حاول الشعراء الإنجليز أن يخضعوا شعرهم للنظام اليوناني اللاتيني، ولكن
محاولاتهم لم تحظ بالنجاح المطلوب لافتقار اللغة الإنجليزية في موسيقاها الإيقاعية إلى نظام
المقاطع الطويلة والقصيرة واعتمادها بدلاً عن ذلك على (النبر)، ولهذا لجأوا إلى قصيدة
الشعر الحر والقصيدة المنثورة.

فمن نوع هذه الأشعار الإنجليزية يمكننا أن نمثل لقصيدة النثر بمقطوعة الشعر التي
تسمى⁽¹⁾:

The Old Cumberland Beggar

I saw an aged beggar in my walk
And he was seated by the highway side
On a low structure of rude masonry
Built at the foot of a huge hill, that they

(1) Sampson (George) : The Lyrical Ballads (1798 - 1805) London Co
page 278 ،Ltd

Who lead their horses down the steep rough road
May thence remount at ease. The aged man
Had placed his staff across the broad smooth stone.

إننا في دفاعنا عن أن القراءان الكريم ليس بشعر لا نقيم للشعر الحر ولا لقصيدة
النثر كبير وزن أو قيمة ولا نعبأ بهما، وذلك لسببين:
أولاً: إن هذا النمط من الشعر قد ظهر بعد الإسلام، وبالتالي لم يكن ليقاس عليه الإدعاء
بشاعرية القراءان الكريم التي زعمها عرب الجاهلية من منطلق شعرهم التقليدي، وليس من
منطلق الشعر الحر أو الشعر المنثور الذي لم يكن قد ولد عندهم بعد، لأنه من العيب أن
يقاس الشاهد (القراءان) على الغائب الذي لم يوجد - وقت نزول القراءان الكريم - وهو
(الشعر الحر).

ثانياً: إن هذا النوع من الشعر الجديد لا يستحق المنافسة لجنس الشعر المعهود، وذلك لما
يحويه من عيوب الشعر التي تحرمه من بطاقة الهوية الشعرية وبالتالي تخرجه عن المنافسة. ولهذا
فهو خارج عن دائرة التحدي للقراءان أو القياس الذي يقارن بالقراءان الكريم.

إذاً فالقراءان الكريم ليس بشعر حسبما علمنا من طبيعة وقوانين الشعر المذكورة
أنفاً. ولكن هنالك خطأ فادح يقع فيه الإنجليز عندما يترجمون القراءان الكريم من اللغة العربية
إلى اللغة الإنجليزية. ذلكم الخطأ هو أن الإنجليز يتعاملون مع آيات القراءان الكريم وكأنها
آيات من الشعر. إننا لا ننكر أن كلمة (verse) تترجم إلى العربية لتعني شطرة شعرية، كما
أنها تترجم بمعنى آية قرآنية. ولكن إيجازها لمعنى الشعر باستخدام الإنجليز لها في القراءان
الكريم يؤخذ من كتابتهم للآية، حيث أنهم يبدأون كل سطر من هذه الآيات بـ (الحرف
الكبير capital letter)⁽¹⁾ تمشياً مع ما يفعلونه في كتابة الشعر. وربما كان السبب في هذا

(1) تبدأ الكتابة في اللغة الإنجليزية بـ (الحرف الكبير capital letter) في بداية الجملة؛ في بداية الاسم
العلم (proper noun)؛ وفي بداية كل سطر جديد للقصيدة.

الخلط الهجائي هو أن الإنجليز لديهم في الإنجيل ما يسمى (الترانيم المقدسة sacred hymns or songs) المأخوذة مما يسمى في إنجيلهم هذا بـ (سفر المزامير The Book of Psalms)، فمثلاً كتبوا في الكتاب المقدس، في ترنيمة الثناء والشكر: (A Song of Praise and Thanksgiving) ما نصه الآتي⁽¹⁾:

Praise God with shouts of joy, all people! أهتفى الله يا كل الأرض
Sing to the glory of His name ترنمى لتمجيد اسمه
Offer Him glorious praise! قدموا له الشكر الجزيل
Everyone on earth worships you; كل من في الأرض يعبدك
They sing praise to you; يترنمون بحمدك وشكرك
They sing praise to your name . يترنمون بتمجيد اسمك

وإذا تناولنا مثلاً آخر من سفر الأمثال (A Book of Proverbs) نقرأ الحكمة التي تقول⁽²⁾:

Happy is the man who طوبى للإنسان الذى
Becomes wise – who يصير حكيماً – والذى
Gains understanding ينال الفهم

هذه (الترنيمات hymns) لا تتعدى كونها تركيبات لغوية من جملتين متقابلتين في المعنى، غير أن الإنجليز يعاملون كل تركيب منها وكأنه بيت من الشعر، مع أنه ليس فيها من الشعر إلا انقسامها إلى سطرين، وذلك لأنها تخلو من الوزن العروضى والقافية. وبهذا الفهم

(1) p 572 ، 66 Psalms:Old Testament – Good News Bible

(2) p 624 ، 3-13 Proverbs، Old Testament – Good News Bible

الإنجليزي للشعر قد برز عندهم الشعر الحر والقصيدة المنثورة، مما جعلهم يظنون أن القراءان الكرم يشبه أشعارهم المستحدثة.

إن القراءان الكرم يخلو تماماً من تفعيلات الشعر وتقفيته. كما لا يشبه نظمه الأوزان الشعرية ولا بحور الشعر التي ذكرنا بعضاً منها، وقد شهد له بذلك عرب الجاهلية الذين نزل القراءان الكرم في زمنهم.

وفي الحقيقة إن الحس الشعري والفهم الموسيقي أمر تمتع به قاطنو الجزيرة العربية منذ العهد الجاهلي ، أى قبل الإسلام وبعده، فقد كانت الحركة الشعرية في عهد الجاهلية في أوج ازدهارها وكانت مفاخرهم ومساجلاتهم ومطارحاتهم الشعرية قد أثرت سوق عكاظ⁽¹⁾. (سمع الإمام سيدنا على بن أبي طالب - ﷺ وكرم الله وجهه - صوت ناقوس فقال لأصحابه: "أدرون ما يقول؟" قالوا: لا، قال: "إنه يقول:

سبحان المولى حقاً حقاً إن المولى صمد يقي")⁽²⁾

فبيت الشعر أعلاه على وزن الخنب أو المتدارك أو (دق الناقوس - كما يسميه البعض) وهو يأتي على تفعيلة : فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن وقد نسج الشاعر أبو العتاهية البيت التالي على نفس البحر ، فقال⁽³⁾:

هم القاضى بيت يطرب قال القاضى لما عوتب

(1) من أهل اللغة من يقول أن عرب الجاهلية كانوا على علم وذوق بقواعد العروض الشعرية ، وأن الخليل له فضل صياغة العروض بصورة منهجية، أنظر : المجدوب (عبد الله الطيب): المرشد إلى فهم أشعار العرب، هامش صفحة 403.

(2) العز (عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم): زيد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز، ص 78.

(3) السيد (عبد الرؤوف بابكر): المدارس العروضية في الشعر العربي، ص 351.

فقد أدركت قريش أن مقاييس الشعر لم تكن لتتنطبق على القرءان الكريم. فمما هو مشهور في كتب السيرة ذلك الاعتراف الذي نطقت به صناديد قريش في عدم شاعرية القرءان الكريم. فبين الوليد بن المغيرة وأبي جهل حوار مشهور في هذا الخصوص. قيل أن أبا جهل قال للوليد: (قل لي فيه - يعني القرءان - قولاً يبلغ قومك أنك كاره له)، فقال له الوليد: (وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا يرحزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن⁽¹⁾، والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا)⁽²⁾.

وقال سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: "قال لي أخي أنيس: إن لي حاجة بمكة فانطلق فراث - أي تأخر - في العودة، فقلت ما حبسك؟ قال: لقيت رجلاً على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: ساحر، كاهن، شاعر - وكان أنيس أحد الشعراء - فقال: والله لقد وضعت قوله على إقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد"⁽³⁾.

فلو اعتقد كفار قريش واقتنعوا أن القرءان الكريم شعر لبادروا إلى معارضته والظعن عليه، لأنهم كانوا أحرص على ذلك وأشد طلباً له. وقد أيقنوا من قبل أنه لا يمت إلى أسجاع العرب بصلة لأنهم كانوا يدركون الأسجاع ويرددونها، فكانت للعرب في الجاهلية

(1) إن للجن أشعاراً بلسان العرب، ولهذا جاء التحدي للجن والبشر على السواء بالإتيان بمثل القرءان الكريم، ومثال لأشعار الجن يمكننا أن نورد الأبيات التي ردها الجن عندما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بنجمة أم معبد ولم تكن قريش تعلم أين اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة المنورة لولا حديث الجن في هذه الأبيات:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد

أنظر السيرة النبوية: لإبن هشام، ج 2، ص 132.

(2) السيوطي (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): الإتيان في علوم القرءان، النوع الرابع والستون، في

إعجاز القرءان، ج 2، ص 117.

(3) السيد (عبد الرؤوف بابكر): المدارس العروضية في الشعر العربي، ص 82.

أصنام إذا خرجوا لغرض من أغراضهم قدموا لهذه الأصنام التلبية، فمثلاً تلبية الصنم (عك) هي: "عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كما تحج الثانية"؛ ولقبيلة هزبل سجعها في تليبتها: "لبيك عن هزبل، قد أولجوا بليل، في إبل وخيل"؛ أما تلبية ثقيف فهي كما يلي: "لبيك أن ثقيفاً قد أتوك، وأخلفوا المال وقد رجوك". فهذه التزييمات لا تخرج عن وزن الرجز. وهي لركاكتها اللغوية احتاجت للغناء والتصفيق. فقد وصف القرءان الكريم طواف الكفار عند البيت المحرم، قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدياً فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾⁽¹⁾. وشتان ما بين الأسلوب القرءاني الرفيع وبين سجعهم الركيك.

فلما كانت معرفتهم بالشعر على غاية العمق فإن وصفهم للقرءان بأنه شعر يعد من قبيل عدم الإيمان والتصديق وليس من قبيل عدم علمهم بالفرق بين نظم القرءان والشعر، ولهذا قال لهم الله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾⁽²⁾، فالأمر لا يتطلب منهم أكثر من الإيمان بعدم شاعرية القرءان. ولكنهم قد ينسون ترانيمهم لأصنامهم وسجع الكهانة لعدم رسوخهم في هذا المجال اللغوي فقد ينسون الفرق الدقيق بين السجع والقرءان، فذكرهم القرءان هذا الفرق بقوله تعالى: ﴿ولا يقول كاهن قليلاً ما تذكرون﴾⁽³⁾.

ولكن: لماذا نزه الله تعالى نبيه سيدنا محمد ﷺ عن قول الشعر؟ نقول:

1- إن الشعر يعتمد على تمهويل وتوسعة وتضخيم الصورة فوق الواقع، أى أن الشعر يهوم في دنيا الخيال ولهذا وصفت الآية الشعراء بأنهم: (في كل واد يهيمون) فمن نزع إلى دنيا الخيال يخشى عليه من رسم الصور الكاذبة وعدم الواقعية والتحليق في أفكار خيالية

(1) الأنفال: 35.

(2) الحاقة: 41.

(3) الحاقة: 42.

لا طائل تحتها، والله عز وجل يربأ بنبية ﷺ أن يكون يعيش لخياله وهو الذى أنيط به أن يحقق مجتمعاً جاداً، يلعب فيه النهج العلمى والفكر الرصين دور البناء والتعمير.

2- للشعر شرائط لا يسمى الإنسان بغيرها شاعراً، وذلك أن الإنسان لو عمل كلاماً موزوناً مستقيماً يتحرى فيه الصدق من غير أن يفرط صعب عليه ذلك، فقد وصف بعض العقلاء الشعر بأنه "إن هزل أضحك وإن جد كذب"⁽¹⁾. وقيل أيضاً: أعذب الشعر أكذبه، لأن الشعر يعتمد على تنميق اللفظ وتزويق الموسيقى قبل تحرى المعنى.

3- الشعر قائم على الإيقاع واللهو، فإن صناعة العروض تشبه صناعة الإيقاع. فالإيقاع هو تقسيم الزمان بالنغم، والعروض هو تقسيم الزمان بالحروف المسموعة. ولهذا نجد ربطاً وثيقاً بين التقطيع العروضى والإيقاع الموسيقى. فمن العروضيين من يقطع الشعر بالإيقاع بدلاً عن التفعيلة، فيجعل له القياس: تَنْ تَنْ تَنْ تَنْ، وقد رأينا كيف لازم الشعر الغناء منذ القدم، ولسد النقص فى الوزن العروضى فقد عزز الشعر بآلات الطرب والعزف والموسيقى. والرسول ﷺ منزّه عن الملاهى، قال ﷺ: "ما أنا من ددٍ ولا ددٌ منى"⁽²⁾، والدد هو اللهو.

نقول إن الشعر فى عهد الجاهلية (قبل الإسلام) قد ارتبط بمجالس اللهو والمجون ومعاقرة الخمر والاختلاط بالنساء والغلمان، ولهذا جاء ذم الشعر وتنزيه الرسول ﷺ عن قول الشعر على سبيل الاحتراز عما يشين، ولكن بعد أن زكت نفوس المؤمنين وصفت سرائرهم بالتوحيد والأخلاق الإسلامية، ونحا الشعر نحو تأييد الإسلام ونصرة الرسول ﷺ فقد أصبح الشعر وروايته من دعائم الإسلام؛ هذا على نهج ما كُره فى أول الإسلام ثم سُبح به فيما

⁽¹⁾ السيوطى (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها، النوع التاسع والأربعون،

معرفة الشعر والشعراء، ج 2، ص 470.

⁽²⁾ نفس المصدر السابق، ص 470.

بعد، مثل زيارة القبور، بعد أن أمن الناس من الانزلاق في الشرك. إذاً لم يذم الشعر على إطلاقه. فإن وصفت الآية الكريمة الشعراء بالغواية فقد استثنت المؤمنين الذين يدافعون عن الإسلام ويثون فضائل الأخلاق في المجتمع الإسلامي الجديد، قال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾⁽¹⁾. وقال الرسول ﷺ: "إن من الشعر حكمة"⁽²⁾. وقد استمع النبي ﷺ إلى الشعر وهو يُنشد في حضرته، وكم أثنى على سيدنا حسان بن ثابت ؓ، وقال لحسان ابن ثابت: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسول الله ﷺ"⁽³⁾.

إن الإسلام قد نأى بالمرء عن الطرب الماجن والغناء الصاحب. ولكننا نجد فطرة الله سبحانه وتعالى قد جعلت الإنسان مخلوقاً طروباً تهزه دغدغات المشاعر من صوت مليح وكلمة حسنى رقيقة. فكيف عالج القرءان الكريم هذا الجانب الفطرى في الإنسان؟ إن القرءان الكريم لم يكتب أحاسيس الطرب في بنى آدم، وإنما وجه هذه المشاعر نحو الغاية الأسمى والمهدف الأرقى ألا وهو خدمة التوحيد وعبادة الله تعالى، فجاءت كل آية حذاءً لروح الإنسان بأن تسمو وترتفع في سماوات الروحانيات وترتقى في سلام الإيمانيات، وهذا ما سوف نتناوله تحت العنوان التالى:

(1) الشعراء: 224، 225، 226، 227.

(2) الصنعاني (الإمام عبد الرزاق بن همام): المصنف، 199 باب الشعر والرجز، ج 10، ص 244، حديث رقم (4905) - 20666.

(3) مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري): صحيح مسلم، 44 كتاب فضائل الصحابة، 34 باب فضل حسان بن ثابت، ج 4، ص 1936، حديث رقم 157 / 2490.

ب) الوزن والموسيقى فى القرآن الكريم:

إنه بجانب اعتماد القرآن الكريم على مخاطبة العقل، فهو أيضاً يعطى العاطفة حيزاً ذا بال فى خطابه. فالقرآن الكريم له أسلوبه الخطابى المتميز. فمن أهم ركائز الخطابة التأثير العاطفى واستمالة مشاعر المستمع أو القارئ لأن مثل هذا التأثير يستنهض الهمم ويستجيش النفوس.

سبق أن قلنا إن علم التجويد قد أظهر ما فى القرآن الكريم من موسيقى لا نجد لها رصيفة فى أى جنس من أجناس الخطاب البشرى الأدبى العادى (مثل القصة، الرواية، الخطابة، المقالة، المسرحية، الخ). فإن تحسين الصوت للقرآن الكريم أمر حضت عليه السنة النبوية الشريفة، فقد قال النبى ﷺ: "حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً"⁽¹⁾. كما قال ﷺ: "لقد أوتى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داؤود"⁽²⁾. وأصل الزمر الغناء، فالمراد بالمزمار الصوت الحسن. والتصويت الحسن للقرآن الكريم يجئ على نسق لحون العرب من مدّ، وغمّة، وإدغام، وإخفاء، وإظهار، وإقلاب، وتفخيم، وترقيق، وما إلى ذلك من أحكام تجويد تلاوة القرآن الكريم. ولا يظن عاقل أن التغنى بالقرآن الكريم يعنى قراءته بلحون الآلات الوترية ومعازف اليهود والنصارى والكفار. إن القرآن الكريم يحمل فى داخله التنغيم الخاص به، والذى يهيب للقارئ تعديل درجة صوته عند النطق بالكلمات والمقاطع (مما يعرف فى الإنجليزية بـ **intonation**)، فتعلو نغمة القارئ وتهبط حسبما قيل له فى الحديث: "حسنوا القرآن بأصواتكم" وفى رواية

(1) الدارمى (الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن): سنن الدارمى، 33 كتاب فضائل القرآن، 34 باب

التغنى بالقرآن، ج 2، ص 347، حديث رقم 3501.

(2) نفس المصدر السابق، ص 346، حديث رقم 3498.

أخرى: "زينوا أصواتكم بالقرءان"⁽¹⁾. وذلك لأن حسن الصوت مع تتبع موسيقى القرءان الكريم هما أمران تبادليان؛ حيث يجد القارئ أحسن النبرات الصوتية في آيات القرءان الكريم، كما يجد القرءان الكريم حلاوة النغم وطلاوته في صوت القارئ البارِع الذى يعطى كل حرف حقه من مخرجه متصفاً بصفاته الذاتية، ومستحقه من صفات الترقيق وغيرها من الصفات العارضة الناشئة عن الصفات اللازمة، وتخييره من طرق القراءة الجخودة والتفنن والإتقان فى التلاوة.

إن القرءان الكريم كله حلو التنغيم شجى العبارة رقيق الكلمة التى تقشعر منها أبدان الذين آمنوا ثم تلين جلودهم. ولكننا فى حديثنا عن موسيقى القرءان الكريم نتناول لونين من التنغيم والأوزان هما: فواصل الآيات، والكتابة الصوتية.

أ- فواصل الآيات:

نقصد بفاصل الآيات تلك الكلمات المتشابهة الأصوات التى تحتتم بها الآيات، أى آخر كلمة أو تعبير فى كل آية. إن فواصل الآيات ذات قيمة عالية فى تكملة المعنى كما مر بنا فى الحديث عن التصدير والتوشيح، ولهذا اختلفت خواتم الآيات من: رؤف رحيم، شديد العقاب، لطيف خبير، عزيز حكيم، وغيرها من الفواصل ذات المغذى المتضمن فى كل آية.

ولكن يهمننا هنا الجانب الموسيقى الإيقاعى للفاصل. فالفاصلة هى من أميز مميزات الآية القرءانية. إن الفواصل لها أثرها الموسيقى المعترى فى نظم الكلام ووفرة النغم، ولعل هذا الزخم الموسيقى بشتى إيقاعه هو الذى يقترب بالفاصلة من الشعر والقافية، وما الفاصلة من ذلك فى شئ، وما لها من الشعر إلا موسيقاها التى انفردت بها وحدها. ولا تلتزم

(1) الهيثمى (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 29 كتاب التفسير، 32 باب القراءة بالصوت الحسن، ج 7، ص 254، حديث رقم 11701.

هذه الفواصل التزام قافية القصيدة بحروف الروى. بل إنها تتنوع تنوعاً يكسبها روعة الموسيقى بانغامها المتعددة. فنجد الفاصلتين متساويتين في الوزن دون القافية، كما في قوله تعالى: ﴿ونمارق مصفوفة﴾ (1). ونجد الفاصلتين متباينان في الوزن والقافية، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ * ملك يوم الدين ﴿ (2). وأحياناً تتحد الفاصلتان وزناً وقافيةً، كما في قوله عز وجل: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ * وأكواب موضوعة ﴿ (3). ومن الفواصل ما يقترب من حروف السجع، ولكنها تختلف في الوزن، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ * وقد خلقكم أطوارا ﴿ (4). وفي بعض الأحيان تحتتم السورة بفاصلة مختلفة عما سواها من فواصل نفس السورة، كما في قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ * وأما السائل فلا تنهر﴾ * وأما بنعمة ربك فحدث ﴿ (5).

ب) الكتابة الصوتية:

إن القرآن الكريم غني بالإيقاع والصوت الشجي الذي يجذب الأذن ويستميلها ويستصغيبها. فإذا انتقلنا من موسيقى الفواصل إلى لون آخر من ألوان التنغيم والإيقاع ألفينا القرآن الكريم قد امتاز بالتنغم بين صوت الكلمة ومعناها، أى بما يسمى بـ (محاكاة اللفظ بصوته لمعناه)، أى الكلمة التى يوحى لفظها بمعناها، وهو اتحاد المبنى (أى نغم الصوت) مع المعنى (أى المحتوى الدلالى للكلمة الملفوظة) من اللفظة الواحدة كما مر بنا آنفاً فى الحديث عن: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى). ويسميه الإنجليز: (النقل الموسيقى musical

(1) العاشية: 15، 16.

(2) الفاتحة: 3، 4.

(3) العاشية: 13، 14.

(4) نوح: 13، 14.

(5) الضحى: 9، 10، 11.

(transmission)، كما يطلقون عليه - أيضاً - تسمية أخرى، هي: (المحاكاة الصوتية onomatopoeia)⁽¹⁾.

لقد استغل القرءان الكريم هذه الظاهرة الصوتية أمثل استغلال، واستخدمها أيما استخدام، فكثيراً ما هزت الآية القارئ بصوتها قبل معناها. ونحير مثال لذلك هو السور المكية، وهي تخاطب المعاندين والكفار والمشركين وأصناف شتى من المنكرين. إننا نجد هذه السور ذات مقاطع قصيرة، وكلمات مرعدة مدوية، وصاخبة الصوت، لأنها أريد بها أن تردع الكفار وتبث فيهم الفزع. فمثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾⁽²⁾. فحرف المد (الألف) مع الفاءات تنفث في قلوب المشركين الفزع وتبث في دواخلهم الهزات والإرجاف. ومثال آخر نجد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قَتْلِ أَصْحَابِ الْأَخْذُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾⁽³⁾. ألا ترى أن دوى صوت الواوات مع الدالات (.... وود وود) يفعل فعله في تخويف المشركين؟ فهذه الكلمات كأنها - وبقصرها - وابل من (الطلقات

(1) جاء في تعريف ال onomatopoeia أنها:

The formation and use of words to imitate sounds

أى تركيب الكلمة لتحاكى الصوت. فنجد مثلاً عبارة (tickle and wrinkle) تحكى صوت حركة العنكبوت داخل جوف السيدة، كما جاء في الحدوتة:

I know a lady who swallowed a spider،

That tickled and wrickled inside her.

وشبيه بذلك الكلمات التي تحكى أصوات الحيوانات مثل: مواء القط mew، زئير الأسد roar، فحيح الأنعى hiss، وهكذا. وفي الحقيقة إن نظرية الربط بين الصوت (الرمز) والمعنى تعرف عند الإنجليز بما يسمى: (Ding-Dong Theory) التي فسروا بها منشأ اللغات وأصل وجودها.

(2) النازعات: 6، 7، 8.

(3) البروج: 1، 2، 3، 4، 5، 6.

النارية المتتابعة (fusillade) على عدو لا يردعه إلا صوت الإطلاق المتتابع للرصاص؛ بل إن الآية الأولى قد مهدت لذلك الصوت المرعد، فبدلاً عن كلمة (الأبراج) جاءت كلمة (البروج).

هذا في أسلوب إنذار الكفار، وأسلوب التخويف، ولكن ماذا في أسلوب العطف والمودة؟

ففي أسلوب العطف والبشارة نجد لين الخطاب وحنو الكلمة في - مثلاً - الألف المقصورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿والضحى﴾ * والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى﴾⁽¹⁾. ونجد ذلك في (سين) الهمس بالمناجاة السارة في قول الله عز وجل: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾⁽²⁾.

وتأمل الموسيقى الموجودة في التقابل بين كلمتي (الساق) و (المساق) في الآية: ﴿والتفت الساق بالساق﴾⁽³⁾، فهل تجد نفس الجرس الموسيقى في كلمتي (leg) و (another) من الترجمة الإنجليزية لنفس الآية؟ والترجمة هي:

**And one leg will be
Joined with another**

(فيرى علماء البلاغة في تأملهم لهذا التقابل بين كلمات الساق والمساق مبلغ العناية الموجهة إلى تردد الأصوات في الكلام، وما ينتج عن هذا من إيقاع موسيقى تطرب له الآذان وتستمتع به الأسماع)⁽⁴⁾.

(1) الضحى: 1، 2، 3.

(2) الإسراء: 1.

(3) القيامة: 29.

(4) شوشة (فاروق): جمال العربية، عن الجرس والموسيقى، ص 210.

فالكلمة في القرآن الكريم جسم له صوت يهز القارئ والسامع، وله حركة يتحرك معها السامع والقارئ تماماً مثلما تحركهما نغمات (مفاعيل مفاعيل أو فاعلاتن مستفع لن). فالإيقاع القرآني يحوى من تنوع العبارة، التقابل، الترجيع، السكت، القطعة، الفاصلة، وغيرها مما يشكل حركة النص الداخلية التي تمنح النص الحيوية المتناهية وتشحن السامع أو القارئ بوجدانيات يهتز لها جسده وتزرف عينه الدمع، وفي ذات الوقت تسكب المعرفة في عقله وقلبه فتضافر في داخل المرء لذة السماع والقراءة مع نور المعرفة فيهدأ البدن ويطمئن القلب وتسمو الروح، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

مما تقدم يتضح لنا أن القرآن الكريم لا علاقة له بالشعر - لا الشعر العربي ولا ذلك الإنجليزي. بل هو حديث جديد التراكيب، طارف الأساليب. فهو حديث أذهل العرب بإبداعه اللغوي وثروته البلاغية التي لا نجد فيها معاييراً البتة، ولا تنطرق إليها مأخذ كالتى نجدها في التفكير والتعبير البشرى. وقد وصفه الإمام الباقر - رحمه الله تعالى - قائلاً: "نظم القرآن لا يتفاوت في شيء، ولا يتباين في أمر، ولا يحتل في حال، بل له المثل الأعلى والفضل الأسنى"⁽²⁾. كما وصفه الإمام على كرم الله وجهه، فقال: "جعل الله رياءً لعطش العلماء، وريباً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وعلماً لمن وعى به، وحديثاً لمن روى به، وحكماً لمن قضى به"⁽³⁾؛ وليس بعد قول النبي ﷺ: "لا تنقضى عجائبه،

(1) الزمر: 23.

(2) الباقر (أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم): إعجاز القرآن ، (مطبوع على

هامش كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي)، ج 2، ص 75.

(3) حسن (د. حسن إبراهيم): تاريخ الإسلام، ج 1، ص 157.

ولا يخلق من كثرة الرد"⁽¹⁾، وصف يقال، لأن عدم انقضاء عجائبه يفتح الباب على مصراعيه لاستنباطات الراسخين في العلم فيستشفون عجائب التأويلات التي تنم عن غزارة القرآن العزيز، أسلوباً، وعلماً، وفناً، وأدباً وتهذيباً، وقصصاً، ووعظاً، وحجّة، وفلسفة، وتشريعاً، وهدياً، ولغة، وما إلى ذلك من ضروب المعرفة المتعارف عليها سابقاً والتي أوجدها القرآن الكريم أصالة، وتلك التي ستكتشف لاحقاً.

(1) الحاكم (الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري): المستدرک علی الصحیحین، ج 2، من كتاب فضائل القرآن، ص 112، حديث رقم 2078.

قال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين﴾
آل عمران: 138.

الباب الثامن:

دراسة تحليلية لبعض نصوص
القرءان الكريم فى اللغتين:
العربية والإنجليزية

الباب الثامن: دراسة تحليلية لبعض نصوص القراءان الكريم في اللغتين: العربية والإنجليزية

من دراستنا في الصفحات السابقة خلصنا إلى أن اللغة الإنجليزية لا يتسنى لها أن تضارع اللغة العربية في الإيراد الدقيق لمعاني القراءان الكريم، وذلك نسبة لقصور كامن في نظام اللغة الإنجليزية قمننا باستعراض بعضه آنفأً، وسوف نتناول المزيد من هذا القصور في هذا الباب.

ففي هذا الباب نود أن نثبت هذا القصور عملياً، أى من نصوص القراءان الكريم المترجمة إلى الإنجليزية. أى نود أن نمشى خطوات أبعد في إثبات الفرضية التي طرحناها في هذا الكتاب والتي تنص على أن آيات القراءان الكريم هي أوسع وأعمق من أن تنقلها اللغة الإنجليزية. بمعنى آخر نقول أن اللغة الإنجليزية تعجز عن نقل معاني القراءان الكريم. إن النص الإنجليزي للآية قد يحوى العديد من أوجه القصور اللغوى، غير أننا نركز في غالب تناولنا للآية على وجه القصور المذكور في عنوان الفقرة. كما أننا سوف ننتقى بعض النماذج من خصائص اللغتين العربية والإنجليزية، وذلك لتعذر الإتيان بكل الخصائص، إذ أن إيراد كل الخصائص ومقارنتها يتطلب تناول كل القراءان الكريم. ولكن فيما نذكره عنوان لما لا نذكره. قلنا إنه لا يمكننا استقصاء المقارنة بين اللغتين في الجوانب البلاغية المختلفة، ولذلك فإننا سوف نتناول بعض الجوانب اللغوية التي نراها تفى بغرض المقارنة. وهذه الجوانب اللغوية تشمل العناوين التالية:

أولاً: مجاز السببية:

قال الله عز وجل: ﴿قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾⁽¹⁾. وقد جاءت ترجمة هذه الآية إلى اللغة الإنجليزية بحسب اجتهاد المترجم كما يلي⁽²⁾:

**Praying : "O my Lord!
Infirm indeed are my bones,
And the hair of my head
Doth glisten with grey:
But never am I unblest.
O my Lord, in my prayer
To thee!"**

يقول الإمام اللغوي عبد القاهر الجرجاني في تحليل هذه الآية: "سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل للشئ وهو لما من سببه، فيرجع به ما يسند إليه ويؤتى بالذى له الفعل في المعنى منصوباً بعده مبيناً أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى الأول إنما كان من أجل هذا الثاني لما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم: طاب زيد نفساً، تصبب الولد عرقاً. فنجد العقل فيه منقولاً عن الشئ إلى ما ذلك الشئ من سببه، فإننا نعلم أن (اشتعل) للشيب في المعنى وإن كان هو للرأس في اللفظ. كما يفيد شمول الشيب للرأس، كقولك: اشتعل البيت ناراً، يفيد أن النار أحاطت بكل البيت والتهمة". وقال في حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: "(شيباً) تمييز محمول عن الفاعل أى انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب، (اشتعل): استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب،

(1) مريم: 4.

(2) الترجمة الإنجليزية لآيات القرآن الكريم مأخوذة من كتاب:

The Holy Qura-an , English translation of the meanings and commentary,
King Fahd Holy Qura-an Printing Complex, Saudi Arabia.

واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر، والجامع أن كلاً يضعف ما نزل به⁽¹⁾.

ونلاحظ الجناس في حرف الشين في الكلمات: (اشتعل، شيباً، شقياً)، فهذه الشينات المتكررة توحى بمواصلة صوت الاشتعال ووشوشة سريانه في شعر الرأس، ولا نجد هذا الإيقاع الصوتي في الترجمة الإنجليزية للآية؛ وقد اعترف بهذا القصور الكاتب الإنجليزي (بودلي Boodley) حين قال ما ترجمته: "إن من يستمع إلى رنين القراءان وهو يتلى بلسان عربي لا يستطيع أن ينقل هذا الرنين مترجماً إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية"⁽²⁾.

كما أن الفرق واضح بين الاستعارة العربية والمعنى الإنجليزي في ترجمة الآية: (the hair of my head doth glisten with grey) والتي لا تزيد عن معنى: إن شعر رأسي يلمع باللون الرمادي. فقد لا يكون هذا اللون بشيب، بل هو ربما يكون لوناً رمادياً طارئاً على الشعر.

أما عبارة (my Lord) فترجمتها بالعربية (الإله حقى). فإنه لغياب فكرة المضاف والمضاف إليه في الإنجليزية جاء التعبير الإنجليزي (my Lord) معبراً عن فكرة الملكية الموجودة في (صفة الملكية possessive adjective) وهي كلمة (حقى my). وفكرة الامتلاك لا تليق بخطاب العبد إلى مولاه عز وجل. أما اللغة العربية فإنها أكثر تأدباً في خطابها للمولى سبحانه وتعالى، إذا تقول الآية (ربى) حيث (رب) مضاف و (ياء المتكلم) مضاف إليه. فإن يضاف المولى للإنسان يزداد هذا الإنسان اطمئناناً بوجود خالقه معه، ولا

(1) الصاوى (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 3، ص 38.

(2) خليفة (د. محمد): الاستشراق والقراءان العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، الفصل الخامس، ترجمات القراءان الإنجليزية، ص 123.

سيما في سياق الآية الذى يفيد ضعف الوحدة وعدم الذرية من جانب نبي الله سيدنا زكريا
عليه السلام.

وقد يحتج علينا بأن فكرة المضاف والمضاف إليه تحولها العرب إلى توصيف
كتفسيرهم للآية: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾⁽¹⁾، حيث قال المفسرون: (حبل
الوريد) هو من إضافة الصفة إلى موصوفها⁽²⁾، أى وريد صفته كالحبل. ولكننا نقول: إن
الصفة هنا ليست صفة ملكية كما هي في الإنجليزية في كلمة (my).

ثانياً: الإيجاز والحذف:

إن خير تمثيل للحذف والإيجاز نجده في الآية: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة
من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما﴾⁽³⁾ قالتا لا نسقى حتى
يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾⁽⁴⁾. هذا النص العربى يقابله بالإنجليزية ما يلي:

And when he arrived at
The watering (place) in Madyan,
He found there a group
Of men watering (their flocks),
And besides them he found
Two women who were keeping
Back (their flock). He said:
"What is the matter with you?"
They said: "We cannot water
(Our flock) until the shepherds

(1) ق: 16.

(2) الصاوى (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 3، ص 216.

(3) لم يقل: (ما بالكما)، بل خاطبهما بعبارة: (ما خطبكما)، وبعد هنيهة صارت احداهما (مخطوبة) إليه
كروجة!

(4) القصص: 23.

**Take back (their flocks);
And our father is
A very old man"**

ففى النص العربى نجد أن مفعول الفعل (تذودان) قد حذف، وذلك لأن ما كان المستقى غنماً أم إبلاً خارج عن القصد، بل لو قال (تذودان غنمهما) ربما أنكر الذود من حيث هو ذود للغنم ولو كان للإبل قد لا ينكره. فالحذف يميز عمق المعنى وتشعبه ويسهل عدم الاهتمام بسفاسف الأمور التى تخرج النص عن مقصده الجاد.

أما فى النص الإنجليزى فنجد أن المترجم قد أتى بالمفعول به صراحةً وهو عبارة (their flocks)، ولهذا فقد فات على النص الإنجليزى البلاغة الكامنة فى النص العربى من حيث الإيجاز⁽¹⁾، وذلك لأن الإنجليز يستحسنون الإتيان بالمفعول به لكل (فعل متعدى transitive verb) - وهذا الفعل فى الآية المذكورة هو: (take back). أما فى اللغة العربية فإن وجود المفعول به يفوت على النص ميزة الإيجاز، فما تعده اللغة الإنجليزية حسنة فى التعبير يقع فى حساب اللغة العربية موقع التقصير وركاكة التعبير. ولا يعنى هذا أن اللغة الإنجليزية ينعدم فيها الإيجاز، ولكنه محصور فى نطاق ضيق كما مثلنا له - فى الباب الخامس - فى الحديث عما يسمى عندهم بـ (الحذف Ellipsis).

أما بالنسبة لكلمة (besides) فإنه قصد بها أن تعنى (بجانب)، وهى بهذا المعنى لا تفيد الإحساس بالدونية وأقلية شأن المرأة فى أن تنافس الرجال على أعمال تحتاج إلى شدة الرجال، ولهذا جاءت كلمة (دونهم) والتى أيضاً تفيد قرب ماشية المرأتين من سقيا الرجال،

(1) هنالك مواقع يحسن فيها الحذف، كقوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ - الأنعام: 35، إذ المعنى (لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم). إلا أن الإظهار والتكرار قد يكون أبين وأجود من الحذف والإخفاء فى بعض المواقع، كما فى قول الله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبحق نزل﴾ - الإسراء: 105؛ وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ - الصمد: 1، 2، ونحو قولهم: "لو شئت أن أبكى دماً لبكيتة".

مما جعل المرأتين تذودان - بفعل المضارع الذى يدل على حركة الذود المستمرة باستمرار حركة المشية المتلهفة نحو الماء. فكلمة (besides) هنا هي (رابط conjunction) أو هي (ظرف adverb) ل (الإضافة addition) يفيد معنى: (أيضاً as well as)، وهي قد تكون (حرف جر preposition) فبذلك تفيد معنى: (معاً together with) أو معنى (بخلاف other than) أو (ماعدا except) وقد تكون (صفة adjective) بمعنى (آخر else).

وكان الأجدد والأصح لغوياً أن يستخدم مترجم الآية كلمة (beside) والتي هي (حرف جر preposition)، وهي تفيد معنى: (بجانب أو بالقرب من close to , near (by the side of , next to)⁽¹⁾، أما كلمة (besides) - وإن أفادت معنى بجانب - فهي قد تلتبس مع معنى (أيضاً) . ولكن كلمة (beside) أقرب للمعنى العربي لأنها قد تعني (خارج الاتصال out of contact with) وهذا المعنى الأخير يفيد بعد المرأتين وعدم لحوقهما الماء، وهذا قريب من معنى الآية.

ذكر في النص الإنجليزي (He found there a group of men) حيث نجد كلمة (there) تعني (هنالك) ويعاد لها في النص العربي كلمة (عليه) التي توحى باستعلاء هذه الأمة من الناس واستفرادها بالماء، ولا نجد هذه الإشارة في كلمة: (there) الإنجليزية. أما كلمة: (شيخ) فهي تعني في اللغة العربية من بلغ رتبة الرجال عقلاً وخلقاً وإن كان دونهم سناً، قال الله عز وجل: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾⁽²⁾. فقد وصف الله تعالى في هذه الآية من شهد أحداً وكان فيهم من هو دون سن الرجال،

(1) Fowler : (H. W) : Fowler's Modern English Usage ،Page 56.

(2) الأحزاب: 23.

فمنهم من كان عمره خمس عشرة سنة مثل سمرة بن جندب الفزاري ورافع ابن خديج⁽¹⁾. إذأً فكلمة (شيخ) لها وقع خاص في نفس رجل متدين كسيدنا موسى عليه السلام، ولا نجد نفس الفائدة والإحساس في تعبير (very old man) في النص الإنجليزي، والذي ترجمته إلى العربية (رجل مسن جداً)، فالرجل المسن قد لا يستطيع القيام بأعباء، منها رعاية غنمه وسقياها، ولكن كلمة (الشيخ) تزيد عن معنى: (العمر المتقدم والسن الكبيرة) بالمعنى الروحي الذي يكسب الشيخ التؤدة والوقار. فالشيخ قد يتعد بنفسه عن الانشغال بأعباء العيش مؤثراً انقطاعه للعبادة. ولهذا أضاف التعبير إلى وقار الشيخوخة ضعف وكبر السن في الآية: ﴿وأبونا شيخ كبير﴾.

ثالثاً: التميم:

ومقابلة للحذف والإيجاز حيث تتكثف المعاني الكثيرة في عبارات قليلة نجد في البلاغة العربية ما يسمى التميم. والتميم هو رديف الإحتراس والتكميل والزيادة التي يتم بها المعنى أو يخلص من معنى آخر قد يتوهم وهو غير مراد. ومثل هذه الزيادة التي يتم بها المعنى نقرأ قول طرفة بن العبد⁽²⁾:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

ف (غير مفسدها) تم بها المعنى. والاحتراس عند أبي الإصبع هو: "أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دحل (شبهة)، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي بما يخلصه من ذلك"، وذلك كقول الخنساء في أخيها صخر⁽³⁾:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

(1) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب): السيرة النبوية، ج 3، ص 70.

(2) وهبة مجدى وآخرون): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 193.

(3) ثعلب (أبو العباس): ديوان الخنساء، ص 191.

وما ييكن مثل أخى ولكن أسلى النفس عنه بالتأسى
فاحترست بالبيت الثانى حتى لا يظن أن أخاصا مساوٍ لغيره من المالكين⁽¹⁾.

أما من النظم القرءانى فأنخذ مثالين للتميم والاحتباس:

1- قوله تعالى: ﴿وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾⁽²⁾.
فقوله تعالى: "من غير سوء" احتباس من البرص مثلاً.

2- قال تعالى: ﴿أبوء أحذكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾⁽³⁾. (جاء فى هذه الآية ثمانية مواضع فى كل موضع منها تميم، وأنت على جميع أقسام التميم الثلاثة من تميم النقص، وتمام الاحتياط، وتمام المبالغة، فأولها قوله تعالى فى تفسير الجنة: "من نخيل وأعناب" لاحتمال أن تكون جنة ذات أثل وخمط⁽⁴⁾، فإن لفظ الجنة يصدق على شجر مجتمع يستر يظل غصونه الأرض كائناً ما كان، ومن الشجر ما له نفع عظيم عميم كالنخل والأعناب، وما له نفع قليل كالأثل والخمط، ومع هذا فلو احترقت لإنسان جنة من أثل وخمط، لاشتد أسفه عليها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب؟ ثم علم سبحانه أن الجنة، وإن كانت من نخيل وأعناب، ما لم تجر الأنهار من تحتها، لم يثمر شجرها، ولم ينتفع بسكنها، ولم تكن لها حياة البتة، فتمم هذا النقص بقوله تعالى: "تجرى من تحتها الأنهار"، ثم علم عز وجل أن الجنة لو جمعت إلى النخيل والأعناب كل الثمرات كان وصفها أتم، ونفعها أعظم، والأسف على فسادها

(1) وهبة (مجدى وآخرون): معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، ص 14.

(2) النمل: 12.

(3) البقرة: 266.

(4) الأثل شجر طويل دقيق الورق، والخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة (المعجم الوسيط، ص 6، ص

أشد، فقال متمماً: "له فيها من كل الثمرات"، ولما فرغ سبحانه من أوصاف الجنة أخذ في وصف صاحبها، فوصفه بالكبر، لأنه لو كان شاباً لرجا أن يخلفها بعد إحراقها، لما يجد في نفسه من قوة، ويأمل من طول المدة فقال محتاطاً: "وأصابه الكبر"، ثم علم سبحانه أنه إذا كان عقيماً مع الكبر سلاه عنها قرب المدة، وعدم من يهتم بضياعه بعد، فلا يشتد أسفه عليها، فقال عز وجل محتاطاً أيضاً: "وله ذرية"، ثم علم سبحانه أنه إذا لم يصف الذرية بالضعف احتمل الإطلاق أن يكونوا أقوياء فيترجى اختلافهم لها، فيخفض ذلك من أسفه، فقال محتاطاً: "ضعفاء"، ثم لما فرغ من وصف الجنة أخذ في وصف الحادث المهلك لها بقوله تعالى: "فأصابها إعصار"، وعلم تبارك وتعالى أن الإعصار لا يجعل فساد هذه الجنة، ولا يحصل هلاكها إلا بعد استمراره عليها في مدة طويلة، وهو يريد الإخبار بتعجيل هلاكها، فقال: "فيه نار"، ثم علم سبحانه أن النار يحتمل أن تكون ضعيفة فتطفأ لضعفها عن مقاومة ما في الجنة من الأنهار ورطوبة الأشجار، فاحتاط لذلك بقوله: "فاحترقت"، فنفي هذا الاحتمال، وأوجز في تتميم المعنى المراد (1).

وهذه الآية ترجمت إلى الإنجليزية كما يلي:

**Does any of you wish
That he should have a garden
With date palms and vines
And streams flowing
Underneath, and all kinds
Of fruit, while he is stricken
With old age, and his children
Are not strong (enough
To look after themselves)-
That it should be caught**

(1) سلطان (دكتور منير): مناهج في تحليل النظم القرآني، ص 209، نقلاً عن بديع القراءان لآبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع من كتابه "بديع القراءان".

In a whirlwind,
With fire therein,
And be burnt up?
Thus doth Allah make clear
To you (His) Signs:
That ye may consider.

إن كلمة (له) التي تفيد الملكية وردت في الترجمة الإنجليزية مرة واحدة بلفظة: (have) ، ولكنها تكررت في النص العري، وتكرارها يفيد حجم فقدان بكثرة الأملاك، (له جنة)، (له فيها من كل الثمرات)، (له ذرية ضعفاء). كما أن حرف الفاء في "فأصابها، فاحترقت" في قوله تعالى: (فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت) يفيد التعاقب السريع للأحداث، ولا نجد مثل هذا الحرف وبنفس المعنى في الترجمة الإنجليزية، فكلمة: (and) لا تفيد دقة المعنى الذي يفيد حرف الفاء للعطف والتوالي.

مرة أخرى نلمح أن عبارة: (تجرى من تحتها الأنهار) لا يطابقها ما في الإنجليزية: (flowing underneath) لعدم وجود الضمير المتصل في (تحتها)، ففي النص الإنجليزي تجرى الأنهار من تحت، دون تصريح بـ (تحت ماذا؟).

رابعاً: استخدام الفعل وبناء الجملة:

في البدء ينبغي أن نقرر أن ثمة بعض الاختلافات الجوهرية بين الفعلين - الفعل العري والفعل الإنجليزي. فليس هنالك تطابق في تصريف الأفعال ما بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية. فبعض الأفعال الإنجليزية تتفق في تصريفها مع العربية، وبعض الأفعال العربية لا نجد لها مرادفاً حرفياً من الإنجليزية. فكثيراً ما لا يتوفر لدينا فعل إنجليزي يرادف لنا الفعل العري في دقة المعنى، أي هنالك فجوات في جدول الأفعال الإنجليزية، والفجوة هنا تعني عدم وجود كلمة إنجليزية واحدة للفعل تعادل كلمة الفعل العري، بل لكي نرادف الفعل العري

فإن الفعل الإنجليزي يؤلف من أكثر من كلمة واحدة، أى يكون لدينا (شبه جملة فعلية verbal phrase)⁽¹⁾، بدلاً عن فعل مؤلف من كلمة واحدة.

والجدول أدناه يبين لنا الأفعال وتصريفاتها والفجوات⁽²⁾:

المتعدى		اللازم		الساكن	
إنجليزي	عربي	إنجليزي	عربي	إنجليزي	عربي
(فجوة)	نَوَمَ	sleep	ينام	sleeping	نائم
(فجوة)	أَمَات	Die	يموت	dead	ميت
wound	جرح	(فجوة)	ينجرح	Wounded	جريح
(فجوة)	أَطَالَ	(فجوة)	يطول	Tall	طويل
(فجوة)	أَبْعَدَ	(فجوة)	يَبْعُدُ	far	بعيد
(فجوة)	أَكْثَرَ	(فجوة)	يَكْثُرُ	Much/more	كثير
Redden	حَمَّرَ	red	يُحَمِّرُ	red	أحمر
(فجوة)	أَحْيَا	live	يُحْيِي	alive	حي
Widen	عَرَّضَ	widen	يُعَرِّضُ	Wide	عريض

قلنا حيث نجد في الجدول كلمة: (فجوة) فهذا يعني أنه لا يوجد تصريف إنجليزي للفعل أو الصيغة. فمثلاً لو احتجنا لصيغة اللازم في (طال) لقلنا: (become tall)، وفي

⁽¹⁾ هذا يختلف عما يسمى بالإنجليزية (phrasal verb)، مثال (يرعى look after) أو (يتخلى give

(up

⁽²⁾ مؤقت (د. أحمد): علم الترجمة، مشكلات دلالية، ص 60.

صيغة الفعل المتعدى نقول: (lengthen أو make tall) أو نقول: (أطال cause to (become tall)، ولهذا نجد في الآية⁽¹⁾: (يَمِيتَنِي cause me to die).

إن طريقة بناء الجملة الفعلية في اللغة الإنجليزية قد يُحرف المعنى العربي في الآية. ونضرب لذلك مثلاً بثلاث آيات قرآنية:

(أ) قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁾. وتُرجم هذا النص إلى الإنجليزية كما يلي:

**Then the word went forth
“O earth! Swallow up
Thy water and O sky!
Withhold (thy rain)”
And the water abated.
And the matter was ended.
The Ark rested on Mount
Judi. and the word
Went forth: “Away
With those who do wrong!”**

لقد ذكر أبو حيان أن في هذه الآية أحد وعشرون نوعاً من أنواع البديع ، ونحن نقتطف منها ما يلي:

المناسبة في قوله (أقلعي وأبلعي)، الإشارة لمعاني كثيرة في (غيض الماء)، التمثيل في (قضى الأمر) ليعبر عن هلاك المهالكين ونجاة الناجين، الإرداف في (استوت على الجودي) – (استوت) كلام تام أردفه بلفظ (على الجودي)، التعليل في (غيض الماء) فإنه علة للاستواء،

(1) انظر: (خامساً: حروف العطف – التي ستذكر لاحقاً في نفس الباب).

(2) هود: 44.

الاحتراس في (بعداً للقوم الظالمين) - احترس بأن يكون غير الظالمين قد أغرق - وهو أيضاً ذم لهم. وهناك محسنات أخرى كالتقسيم، التجنيس، المقابلة وغيرها.

وكل ما يهمننا هنا هو استخدام الفعل. نجد أن الآية قد تكرر فيها الفعل المبني للمجهول، وهذا يفيد تركيز المعنى وتأكيده بأن أفعالاً لا يشك في حدوثها قد حدثت، وإن كان فاعلها مجهولاً لدى الكفار. فمشهد الطوفان يذهل العقل ويشد الانتباه ويجعل التركيز على ما يحدث أكثر مما على يد مَنْ يحدث ما يحدث. وخطاب المبني للمجهول يفيد علو الفاعل واحتجابه عن بصائر الظالمين، وتعظيم الفاعل بعدم ذكره هو أحد أسباب البناء للمجهول.

غير أن فكرة الفاعل والبناء للمجهول في اللغة الإنجليزية تطلبت ذكر فاعل صريح هو (السفينة **The Ark**) للفعل (استوت **rested**). وهذا الفاعل الإنجليزي الصريح جرى به نسبة لعدم وجود ضمير متصل (تاء التانيث في "استوت") كما هو في اللغة العربية.

ففي النص العربي نجد في عبارة: (استوت على الجودي) أن تاء التانيث فاعل للفعل: (استوى)، وهذا الفاعل هو ضمير نصب يلد معاني لا حصر لها، فمن الممكن أن يكون الذي استوى هو السفينة، أو الأمور، أو ديانة التوحيد، أو الأمم التي نقلت على السفينة. فأين هذا من توضيح المعنى بفاعل واحد - السفينة **the Ark** - كما هو في الترجمة الإنجليزية.

ب) إنه مواصلة لاستخدام الفعل المبني للمجهول نتناول آية أخرى هي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَیْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾⁽¹⁾. وقد ترجم هذا النص إلى الإنجليزية كما يلي:

(1) المعارف: 38.

**Does every man of them
Long to enter
The Garden of Bliss?**

إِسْتُخْدِمَ في اللغة العربية الفعل (يدخل) بالبناء للمجهول، وهذا يؤكد ظن الكفار بأن دخول الجنة لا يتم إلاّ بفعل فاعل خلافهم يأذن لهم بالدخول، ففاعل الإدخال ليس هو الإنسان. فالفعل العربي (يُدْخَلُ) بالبناء للمجهول يقطع أمل الكفار في دخولهم الجنة إلاّ بكرم المولى عز وجل الذي هو فاعل الإدخال - جهلوا الفاعل فعوقبوا بما فعلوا ، فَبَيَّحَ لهم الفعل للمجهول لتأكيد جهلهم بمعرفة ما هو معلوم بالضرورة "فمن أسباب البناء للمجهول أن الفاعل معلوم بداهة"⁽¹⁾. وبهذا يكون المعنى في اللغة الإنجليزية قد أصابه بعض التحريف بكلمة (to enter) التي تفيد أن كل امرئ منهم يطمع أن يدخل بنفسه. ودقة التعبير العربي تكمن في أن من طمع أن يَدْخُلُ (بالبناء للمعلوم كما هو في الترجمة الإنجليزية) لعمل لتحقيق طمعه هذا. فهم لا طمع لهم في الجنة ، وإلاّ لعملوا لتحقيق ما يطمعون فيه. وتأتى الإشارة مرة أخرى في أمّها مجرد أطماع (يطمع) وليس طموح يعمل لتحقيقه، أي هو الطمع الذي يرافقه عدم الأخذ بالأسباب. أما الفعل الإنجليزي (long) فقد استخدم بغير قاعدته. ففي قاعدته يصحبه حرف الجر (for) ويعقبه بالتالي (اسم الفعل gerund)، فكان يستحسن أن يقال "long for entering"، وحتى مع الاستخدام النحوي الصحيح للفعل (long) فإنه لن يعطينا المعنى المتوفر في الفعل العربي (يطمع)، لأن الفعل الإنجليزي يعني (يتشوق أو يتطلع بشغف).

(1) ابن عجيبة الحسني (أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد): الفتوحات القروسية في شرح المقدمة الآجرومية، مقدمة المؤلف، ص 116.

ج) أما المثال الثالث لاستخدام الفعل فيمكن أن نأخذ له قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾⁽¹⁾. وترجمة الآية إلى اللغة الإنجليزية تجمي كالآتي:

**No profit to him
From all his wealth,
And all his gains!**

إن كلمة: (profit) تعني (الربح)، ونعتقد أن استخدامها في ربح التجارة أغلب وأكثر. ويفيد النص الإنجليزي: أنه ليس ثمة فائدة أو ربح للإنسان من ثروته آنذاك. ويعادل تعبير (No profit) الترجمة العربية لـ (ما أغنى عنه)، فكلمة (أغنى) هي أدق وأعمق لأن فكرة الكافر أن يستغنى بما لديه عن ربه، لظن الكافرين أن المال هو فاعل الإغناء، والعقيدة الإسلامية هي أن المغنى هو الله سبحانه وتعالى. والغنى يشمل رأس المال مع ربحه، واللفظ يوحي بالاستغناء والاستقلال عن المولى عز وجل. وكلمة (أغنى) فعل ماضى يفيد - مع النفي - أن عدم الغنى والاستغناء قد حصل وانتهى، أى أن ما هو مؤكد يكون في حكم الذى وقع، مع أن الخطاب للاستقبال يوم القيامة. ومثل هذا يجرى كثيراً في اللغة العربية حيث يُؤكّد الحدوث بالفعل الماضى، بخلاف اللغة الإنجليزية التى يكون الماضى فيها - أحياناً - لاستبعاد حدوث الفعل، كما نجد في ما يسمى في اللغة الإنجليزية بـ (الماضى غير الحقيقى unreal past) مثال قولهم:

(أتمنى أن يفهموا I wish they understood) حيث الفعل (understood) جاء بصيغة الماضى لأمنية لا تتحقق.

ونظرة أخرى إلى حرف الجر (عن) نجد يستخدم لصرف أو عزل شئ عن شئ آخر، ويوحى في هذه الآية بأن المال لا يعزل الكافر ولا يعده عن عذاب الله تعالى، ولا نجد هذا المعنى في النص الإنجليزي، بل استخدمت الترجمة الإنجليزية الحرف (إلى to) في عبارة

(1) المسد: 2.

(to him) أى (له) حيث الإشارة إلى عدم ملكية الكافر للريح، بينما النص العربى يشير إلى عدم استغناء الكافر عن ربه، فالمعنى العربى أكثر روحانيةً وتخويفاً للكافر.

خامساً: حروف العطف:

إنه فى بعض الأحيان قد تتفق معانى حروف العطف فى اللغتين - العربية والإنجليزية. ويكفيها هنا استخدام حرف (الباء) لإفادة السبب. فنفس هذا الحرف (نقصد صفته الصوتية) نجده عند الإنجليز فى كلمة (بِ by) فنقول: عرفته بمشيته، أى بسبب مشيته، ونجد الإنجليز يقولون فى نفس المعنى: (I knew him by his walk) ولكن سرعان ما ينعطف مسار اللغة العربية وتنفرد هى بمعانٍ تفتقر إليها رصيفتها الإنجليزية، ونأخذ لذلك بعض الأمثلة لاستخدام حروف الجر من الآيات القرآنية التالية: قال الله تعالى⁽¹⁾: ﴿الذى خلقنى فهو يهدين﴾ وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلى :

Who created me, and

It is He who guides me;

﴿والذى هو يطعمنى ويسقئ﴾

Who gives me food and drink

﴿وإذا مرضت فهو يشفئ﴾

And when I am ill,

It is He who cures me

﴿والذى يميتنى ثم يحيئنى﴾

Who will cause me to die,

And then to live (again).

(1) الشعراء: 78، 79، 80، 81.

ذكر علماء اللغة أن العطف بالفاء في قوله تعالى: "فهو يهديني" وقوله عز وجل: "فهو يشفيني" لترتيب الهداية على الخلق والشفاء على المرض، والتعقيب من غير مهلة، لأن المريض يكون في غاية الطلب للعلاج والشفاء. أما الإطعام والإسقاء جاء عطفهما بالواو لأن بينهما لا يوجد ترتيب، وفي مسألة الإحياء من الموت أتى العطف بـ (ثم) التي تفيد التراخي، وذلك لبعده زمن الإحياء بعد الموت، إذ المراد الإحياء في الدار الآخرة، وليس الإحياء في هذه الدار⁽¹⁾.

فلننظر كيف عالج النص الإنجليزي حروف العطف في هذه الآية. نجد أن العطف جاء عشوائياً بـ (و and) أو بـ (فاصلة comma) أو الاثنين معاً، ولا نجد هذا الفرق الدقيق بين (الفاء، الواو، ثم) كما هو في اللغة العربية.

وأطرف ما يلفت الانتباه هنا هو استخدام الفعل والضمائر أيضاً. جاء في النص العربي: (يطعمني) - كلمة واحدة - وقابله في النص الإنجليزي ثلاث كلمات هي: (gives me food) وترجمتها: (يعطيني الطعام). ولا يبعد عن الذهن أن مدلول (يطعمني) هو قرب المطعم من الجائع، وهو إطعام لجائع يسكن جوعه قرب مطعمه منه، وكأنما هو إطعام بعناية مباشرة دونما ذكر صريح لكلمة (طعام food)، فكلمة (طعام food) تفيد سبب الإطعام، وأنه يعطيني الطعام الذي أزيل أنا به الجوع. فاتصال ضمير المتكلم - في (يطعمني) - في اللغة العربية يقابله فصل الضمير (me) في الإنجليزية.

أما عبارة: (يميتني) فتفيد أن الله تعالى هو فاعل الإماتة المباشر بلا سبب بخلافه، الأمر الذي يؤكد سرعة حصول الموت ووجوب الاستعداد له. فأين هذا المعنى من العبارة

(1) الصاوي (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج 3، ص 216.

الإنجليزية: (cause me to die) وترجمتها: (يجعلني أموت، أو يسبب لي الموت)، ففي العربية (هو الذى يميتني)، أما فى الإنجليزية فموتى بسبب منه وليس مباشر منه⁽¹⁾.

نعود مرة أخرى إلى ضمير المتكلم المتصل فى: (يطعمنى) يقابله الضمير (me) المنفصل فى التعبير: (gives me food)، فلا يوجد ضمير متصل فى اللغة الإنجليزية مما يجعل الصلة بين الفعل وفاعله ضعيفة جداً. وتأمل معى كم هى قوية الصلة بين وحدات الجملة العربية حتى تصير الكلمة بمثابة جملة كاملة، مثل: يطعمنى، فيها فعل وفاعل ومفعول؛ ونأخذ جملة أخرى أطول هى: أنلزمكموها، فيها (فاعل وفعل ومفعولين) هكذا قويت العلاقة بين مفردات اللغة فقويت معها العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع العربى الذى اشتهر بالترابط الاجتماعى والأسرى. فالعرب يربطون الضمير بالفعل، فإما فعل طيب مثل: امتدحنى، أو فعل شر مثل: ضربنى، ففي كلتا الحالتين اتصل الضمير المفعول بالفعل، مما يخلق علاقة خوف أو رجاء تؤكد معنى قول الله عز وجل: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾⁽²⁾.

سادساً: استخدام المفردات:

سبق أن أشرنا إلى أن المفردات اللغوية تحمل من المعانى والأفكار ما يتباين بتباين اللغات. وفى هذا الجزء من الباب نتناول الكلمة القرآنية وإيجاءاتها فى اللغتين العربية والإنجليزية.

أ) دقة معنى الكلمة العربية:

تؤدى الكلمة العربية المعنى بدقة قلما نجدها فى اللغة الإنجليزية فمثلاً:

(1) أنظر جدول الأفعال فى: (رابعاً: استخدام الفعل وبناء الجملة) المذكور آنفاً فى نفس الباب.

(2) ق: 16.

1- قال تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾⁽¹⁾. وترجمة هذه الآية باللغة الإنجليزية كما يلي:

**They are your garments
And ye are their garments**

فالمعنى فى اللغة العربية محمول على الاستعارة البديعية التى شبه فيها اشتمال الزوجين لبعضهم البعض كاشتمال الملابس على الأجسام. وفى تفسير هذه الآية قال سيدنا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما: "هن سكن لكم وأنتم سكن لهن"⁽²⁾، وللسكن واللباس والستر معانى تشمل الملموس والمعنوى بخلاف المعنى الإنجليزى لكلمة (garment) والتى لا توحى بأكثر من معنى الثياب. ومصداق ما نقول فى المعنى العربى المعنوى لكلمة (لباس) قوله تعالى: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾⁽³⁾، حيث أن كلمة (الإلباس) هنا معناه (الخلط)⁽⁴⁾. فإذا بين الرجل وامرأته خلط العلاقة والأمور الذى يولد المنافع المشتركة بينهما. بينما فى اللغة الإنجليزية فقد ترجم (الإلباس) بـ (التغطية أو الغطاء cover)، حيث قال المترجم لنفس الآية: (ولا تلبسوا الحق بالباطل) - قال:

(And cover not Truth with falsehood)

2- ومثالنا الثانى لاستخدام المفردات نأخذ من الآية: ﴿فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر﴾⁽⁵⁾، وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلي:

(1) البقرة: 187.

(2) الصابونى (محمد على): صفوة التفاسير، ج 1، ص 122.

(3) البقرة: 42.

(4) التحجى (أبو يحيى محمد بن صمادح): مختصر تفسير الطبرى، ص 7. وانظر أيضاً: ابن عجيبة (أبو

العباس أحمد بن محمد): البحر المديد فى تفسير القرءان المجيد، ج 1، ص 99.

(5) القمر: 24.

For they said: "What!
A man! A solitary one
From among ourselves!
Shall we follow such a one?
Truly should we then be
In error and madness".

لقد بنوا كفرهم على أن من كان بشراً لم يكن بمثابة أن يُتَّبَع ويَطاع، فكان سؤالهم عن: (هل البشر يُتَّبَع؟)، ولم يكن استنكارهم لمطلق التدين والاتباع. (أبشراً) اسم منصوب يفسره المذكور بعده، أى أنتبع بشراً؟ أى (بشراً) مفعول به مقدم. وهذا يعكس مرونة اللغة العربية واتساعها لشتى المعاني حيث تبدأ بفعل أول الجملة، وتبدأ بفاعل في المعنى (المبتدأ)، وتبدأ بمفعول به كما في هذه الآية الكريمة. أما كلمة (واحداً) فهي حال من الهاء في: (تبعه)⁽¹⁾، أى تبعه حالة كونه واحداً منا، منفرداً، لا ناصر له ولا معين. ترى أن مشكلتهم كانت في الاتباع والانقياد للواحد، فمشكلتهم في اتباع غيرهم من البشر، فكيف به إن كان هذا المرسل إليهم بشراً واحداً لا سند له؟ ولهذا طلب الكفار، في موقع آخر، أن يكون مع الرسول ﷺ ملكاً يؤيده، قال الله تعالى على لسانهم: ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾⁽²⁾، طلبوا له ملكاً وزيراً، فرد عليهم القرآن الكريم مفحماً لهم بقوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾⁽³⁾.

أما في اللغة الإنجليزية فالبداية بكلمة السؤال (what!) مع علامة التعجب خرجت بالكلام عن السؤال إلى التعجب. فهو في العربية سؤال استنكارى تؤكد إجابته

(1) العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين): التبيان في إعراب القرآن، ج 1، ص 5.

(2) الفرقان: 7.

(3) الإسراء: 95.

لشروط هذا النوع من الاتباع أن يكونوا (في ضلال وسعر). فالخرف العربي: (ألف الاستفهام) قابلته كلمة إنجليزية بحالها وهي: (what)، وعبارة: (منا) في اللغة العربية عادلها التعبير الإنجليزي المطول: (from among ourselves)، أما عبارة (نتبعه) قابلها استفهام مستأنف بدأ بالآتي:

(Shall we follow such a one?)

إذاً فإن كل إيجاز في اللغة العربية تقابله ثثرة في اللغة الإنجليزية. وكل حذف وإيجاز في اللغة العربية يقابله تطويل وإطناب في اللغة الإنجليزية. وهذه الكلمات والتعابير العربية التي هي حبلية بالمعاني الكثيفة المضغوطة في عبارات قليلة تجعل اللغة العربية تتسع لمعاني القراءان الكريم الذي لا تنقضي عجائبه.

3- ونأخذ المثال الثالث عن المفردات من قوله الله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾⁽¹⁾. ونجد ترجمة هذه الآية من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية كما يلي:

**We have not instructed
The (prophet) in Poetry,
Nor is it meet for him:
This is no less than
A Message and a Qura-an
Making things clear.**

إن الفعل العربي (علمناه) يفيد أنه لم يتعلم الشعر من أصله، ولم يقرضه كما تقرضونه أنتم، وذلك لأنه يعمل بتعليمنا إياه، فما لم نعلمه إياه لا معرفة له به، وهذا يفيد

(1) يس: 69.

بأن أمر الرسول ﷺ كله توقيفى ووحى من الله عز وجل - سواء كان هذا الأمر فى عبادة مثل الصلاة، أم كان فى عادة مثل تأليف الشعر ونظمه. بينما نجد التعبير الإنجليزى من الآية: (we have not instructed the prophet in poetry)، وهذا التعبير الإنجليزى يفيد ويوحى بأن الرسول ﷺ لم (يوجه instructed) لقول القراء بالشعر، أو لم نوجهه بالقراء شعراً. وهذا المعنى يعطى الإيحاء الفاسد بأنه فى غير القراءان يمكنه أن يكون شاعراً ينظم الشعر فى خطابه العادى، وهنا قد تعرّض شاعريته هذه القراءان الكريم للالتباس بها، بينما النص العربى صريح كل الصراحة فى نفي شاعريته من أصلها، سداً لكل ما يحوم حول ذريعة الشاعرية التى رماه بها الكفار.

ب) إتساع الكلمة العربية وحروف الجر:

1- اتساع معنى الكلمة:

قلنا سابقاً إن القواعد النحوية قد تتعدد للتعبير الواحد، أو للكلمة الواحدة، وإنه بفضل هذه التفاسير النحوية المتعددة للكلمة العربية الواحدة نجد أن هذه الكلمة تتسع لعدة معانى وتفسيرات تثرى ملكة التأويل وفهم النصوص.

أما فى اللغة الإنجليزية فإننا قلنا بما نجد هذا التعدد للمعانى. فنجد مثلاً الآية التالية:
﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾⁽¹⁾، ونصها باللغة الإنجليزية كما

يلى:

**Or (another similitude)
Is that of a rain-laden cloud
From the sky: in it are zones
Of darkness, and thunder and lightning**

(1) البقرة: 19.

فالمعنى العربى لكلمة (صيب) هو المطر، وكل نازل من علو إلى أسفل فقد صاب
يصوب فهو صيب، قال علقمة الشاعر⁽¹⁾:

كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن ديب

وعند ابن كثير فى تفسيره (الصيب) هو السحاب كما قال الضحاك⁽²⁾، غير أن الغالبية من
المفسرين على أنها المطر.

فترى الترجمة الإنجليزية أخذت أحد الأقوال فقط، أى على أن الصيب هو
السحاب الممتلئ بالمطر (rain-laden cloud).

أما كلمة (أو) فهى كما قال القرطبي فى تفسيره للقرءان - نقلاً عن الطبرى -
بمعنى الواو وأنشد بيت جرير بن عطية، وهو يمدح به الخليفة الراشد سيدنا عمر بن عبد
العزير رضي الله عنه⁽³⁾:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربّه موسى على قدر

كما نجد (أو) فى هذه الآية وفى معظم التفاسير على أنها للإباحة، أو التخيير، أو
للشك، أو للإضراب، أو للتنويع؛ وذلك كما قال الزمخشري وغيره من المفسرين: (أو) فى
أصلها لتساوى شيئين فصاعداً فى الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوى فى غير الشك،
وذلك فى قولك: "جالس الحسن أو ابن سيرين" تريد أيهما سيان فى استصواب أن يجالسا،

(1) الرجاح (أبو اسحق إبراهيم بن السرى): معانى القرءان وإعرابه، ج 1، ص 90.

(2) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب): تفسير القرءان العظيم، ج 1، ص 58.

(3) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى): الجامع لأحكام القرءان (تفسير القرطبي)، ج 1، ص

ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾⁽¹⁾، أى الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما، فكذاك قوله: (أو كصيب) معناه إن كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين، سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيهما مثلتها فأنت مصيب، وأن مثلتها بهما جميعاً فكذاك⁽²⁾.

فأين هذا الاتساع في المعاني في اللغة العربية من التحديد في اللغة الإنجليزية بكلمة (or) والتي تفيد مجرد (التخيير choice) فقط، ولا توحى بهذا التنوع الدلالي الذى يُجده في اللغة العربية.

كما أن اختلاف التفاسير لاختلاف وجهات النظر النحوية يؤثر كثيراً على الترجمة الإنجليزية للقرآن الكريم. فنخذ - مثلاً - قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾⁽³⁾. وترجمة الآية إلى الإنجليزية كما يلي:

**They followed what satans
Received over
Solomon's kingdom.
Solomon did not disbelieve
But satans disbelieved, teaching men
Magic and such things
As came down at Babylon
To the angels Harut and Marut**

⁽¹⁾ الإنسان: 24.

⁽²⁾ الرمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): الكشاف، ج 1، ص 41، و حاشية الصاوى على

الجلالين، ج 1، ص 30.

⁽³⁾ البقرة: 102.

نجد أن "ما" عند الزمخشري موصولة، فتكون جملة "ما أنزل على الملكين" عطفاً على السحر، ومفعولاً به ثانياً للفعل "يعلمون"⁽¹⁾. بينما نجد "ما" عند القرطبي نافية والواو للعطف على قوله: "وما كفر سليمان"، ففي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين، (يعنى لم يكفر سليمان كما لم ينزل على الملكين شئٌ مثل السحر) ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بيا بل هاروت وماروت، فهاروت وماروت من الشياطين. وفي حديث القرطبي تفصيل عن إطلاق الاثنين "هاروت وماروت" على الجمع "الشياطين"⁽²⁾.

ولكننا نجد الترجمة الإنجليزية تلتزم معنىً واحداً هو جعل "هاروت وماروت" ملكين يعلمان الناس السحر، لأن عبارة:

**Magic, and such things
As came down at Babylon
To the angels Harut and Marut**

فيها "such as" والتي تحوى تشبيه ما أنزل على الملكين بسحر الشياطين، أى يعلمون الناس أشياء مثل التي أنزلت على الملكين. وهذا هو أحد تفاسير الآية، ولكن تفسير القرطبي أبلغ ويليق بمقام الملكين، لأن جعل الملكين معلمى السحر هى قصة من الإسرائيليات التي لا يعتد بها.

فالكلمة العربية لها من ظلالها وإيحاءاتها ومعانيها المتعددة وتباين إعرابها ما لا يتوفر في الكلمة الإنجليزية، ولهذا كثيراً ما يأخذ المترجم الإنجليزي معنىً واحداً للآية، وذلك لأن كلمته الإنجليزية لها دلالة واحدة.

(1) الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): الكشاف، ج 1، ص 85.

(2) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 1، ص

2- اتساع معاني الحروف ولا سيما حروف الجر:

إن حروف الجر العربية تلعب دوراً كبيراً في توسيع معنى الجملة لأن الحرف يمكن تأويله إلى عدة معاني لا تتناقض. ولنأخذ بعض الأمثلة، فنقول:

(أ) قال تعالى: ﴿وَأَصْلِبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾⁽¹⁾. قال بعض المفسرين⁽²⁾: (في) بمعنى (على). ولكننا نرى لكلمة (في) سراً أعمق هو أن المعنى يكون صليبهم لا فكاك منه كمن أدخل في جرع النخلة، فإن (على) قد تفيد الالتصاق، وليس التغلغل الحاصل بكلمة (في). أما الترجمة الإنجليزية فهي:

..... and I
Will have you crucified
On trunks of palm-trees.

فإن حرف الجر الإنجليزي (on) هو صريح في تأدية معنى (على)، ويغلق مجال التأويل العربي لكلمة (في).

(ب) قال الله عز وجل: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾⁽³⁾. وترجمت الآية إلى الإنجليزية كما يلي:

A questioner asked
About a Chastisement
To befall -

(1) طه: 71.

(2) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 11، ص 202. وانظر: ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد): الصحاح، باب الحروف، باب الباء، ص 67.

(3) المعارج: 1.

هنا نرى أنه قد تغير المعنى العربى المؤلف لكلمة: (سأل) ليكون بمعنى (دعا)، وليكون السؤال بمعنى (الدعاء)، ولما ضمن معناه تعدى تعديته⁽¹⁾. أما الكلمة الإنجليزية (questioner) فتعنى (سائل) فقط ولا تفيد معنى (داع). وجاء فى تفسير القرطبي أن (الباء) بمعنى (عن)، أى سأل عن العذاب⁽²⁾.

فحرف الجر الإنجليزى (about) فهو بمعنى (عن). ومعناه هذا لا يفيد إجماعات حرف (الباء) العربى. فقول فى معنى الآية : دعا داع، أى دعا بعذاب الله. قال ابن عباس: "ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله"، وطالما هو سؤال من الكفار فهو سؤال مَنْ يقع به العذاب، وهذا هو سر (الباء)، فالباء هنا وإن كانت لا تفتقد معنى (عن) لكنها توحى بالصاق العذاب بالسائل. فالمعاند الذى يسأل مثل هذا السؤال سيقع به العذاب. أما السؤال الخالص بـ (عن) قد يأتى من سائل غير معاند، كسؤال سيدنا جبريل عليه السلام عن الساعة فى حديث الإسلام والإيمان والإحسان⁽³⁾. فالذى يسأل لكى يعرف غير الذى يسأل مستنكراً.

ومواصلةً للحديث عن تبادل المعانى بين (الباء) و (عن) يمكننا أن نأخذ المثال

التالى:

(1) الصاوى (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 3، ص 216.

(2) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 18، ص 242.

(3) أنظر نص الحديث فى: مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري): صحيح مسلم، كتاب الإيمان، 1 باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج 1، ص 36، حديث رقم 1.

ج) قال تعالى: ﴿الرحمن فاسأل به خبيراً﴾⁽¹⁾. فقد فسر العلماء (الباء) في "به" بمعنى "عن". قال إمام اللغة الزجاج: "الرحمن ابتداء و (فاسأل به) الخبر، والمعنى: فاسأل عنه خبيراً"⁽²⁾. إن بين معنى (عن) و (الباء) معاني جملة ومدارج للسلوك متفاوتة:

ف (عنه) هي مقام السالكين الذين يعرفون الله بالخبير المرشد، وكان معتمدهم على المرشد فمقامهم مقام الفاروق عليه السلام حين قال للحجر الأسعد على الكعبة: "لو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك"⁽³⁾.

أما (به) فهي مقام الواصلين - بعد الترتي - الذين عرفوا الخبير المرشد بالله، أي أنهم علموا أن هدايتهم جاءت من الله الذي أرشدهم وهياً لهم هذا الخبير المرشد الذي دلهم على الرحمن، فوجدوا بحار التوحيد وعرفوا أن الغاية هي الله فكان معتمدهم على الله، فترقوا ببركة متابعتهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى جاء إرشادهم من داخلهم إلهاماً من الله تعالى، فقبل فيهم: "إن الله جعل الحق على لسان عمر"⁽⁴⁾، فصار مقامهم مقام الفاروق عليه السلام والذي قال عنه صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر"، وفي رواية أخرى: "يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء"⁽⁵⁾.

ولو نظرنا في الترجمة الإنجليزية لهذه الآية وجدناها كما يلي:

(1) الفرقان: 59.

(2) الزجاج (أبو اسحق إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، ج 4، ص 58.

(3) البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، 25 كتاب الحج، 60 باب تقبيل الحجر، ص 320، حديث رقم 1610.

(4) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 4، ص 63.

(5) البخاري (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، 25 كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 60 باب مناقب عمر بن الخطاب عليه السلام، ص 756، حديث رقم 3689.

**Allah Most Gracious:
Ask thou, then, about Him
Of any acquainted (with such things)**

فالآية الإنجليزية اختارت لفظ (عن about)، وقد بينا الفرق بين مقام أهل (عن) ومقام أهل (الباء). عند بعض المفسرين العرب - القائلين بـ (عن) - فإن الخبير هو الدال على الله تعالى، أى المرشد، وعند بعضهم - القائلين بـ (الباء) - فإن الخبير هو الله تعالى. أما المعنى الإنجليزي فيحتمل (عن) فقط، وذلك لأن النص الإنجليزي وصف الخبير بأنه (آلف ومعتاد acquainted)، أى آلف على (هذه الأشياء such things)، معتاد على معرفة الله تعالى، وهذا المعتاد لن يكون سوى الخبير الدال على الله تعالى. فالمعنى الإنجليزي بهذه العبارات الإنجليزية ((acquainted (with such things)) ليس بسعة المعنى العربى.

٥) ومثال آخر هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾⁽¹⁾، وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلي:

**In nothing but delusion
Are the Unbelievers**

فكلمة (إن) تفيد النفي، ولكن هذا النفي توصل إليه النص الإنجليزي بكلمتين هما الضمير المنفى: (nothing) مع أداة الاستثناء أو الإضراب (but) لأن كلمة (in) هى على باهما الإنجليزي تعنى: (فى).

ولو استخدمنا الاستثناء وقلنا فى تفسير الآية: "ليس الكافرون فى شىء إلا فى غرور" فنجد الحذف لعبارة (فى لا شىء in nothing) فى العربية وذلك لمعنى (إن) المنفى للنفى؛ إلا أن عبارة: (in nothing) غير محذوفة فى النص الإنجليزي لعدم وجود كلمة (إن) النافية فى اللغة الإنجليزية وضعف قواعد الحذف والإيجاز فى هذه اللغة.

⁽¹⁾ الملك: 20.

فها نحن نرى أن الحروف العربية وحروف الجر توسع المعنى أكثر من (حروف الجر الإنجليزية prepositions) أو (الروابط conjunctions) الإنجليزية.

وقد أدرك بعض الكتاب الغربيين إشارات الحروف. فها هو الدكتور (موريس بوكاي Maurice Bucaille) يلفت الإنتباه إلى الفرق بين حروف الشرط في اللغة العربية: (إن، إذا، لو) وفي اللغة الإنجليزية (if)، ويلفت النظر إلى البلاغة القرائية في استخدام (إن) وضيق المعنى في استخدام (if)⁽¹⁾، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾⁽²⁾، وقد ترجمها موريس بوكاي كما يلي:

“O assembly of Jinns and Men, if you can penetrate regions of the heavens and earth, then penetrate them! You will not penetrate them save with a Power.”

ج) صفة النبوة العلمية للكلمة العربية:

إن أروع ما يميز الكلمة العربية في القرآن الكريم أنها مستخدمة استخداماً تتجلى فيه النبوة العلمية لمعنى الكلمة. فالمفردة في القرآن الكريم تنزيل رباني من المولى عز وجل الذي وسع كل شئ علماً؛ ولذلك فيقدر ما امتازت به الكلمة العربية من بلاغة وفصاحة فقد حوت الإعجاز العلمي أيضاً. فإننا نجد كلمات موحية بما سيأتي من معارف انسانية وعلوم كونية. ولكي نبرهن على هذا الإجماع العلمي في الكلمة العربية في القرآن الكريم نأخذ الأمثلة التالية:

⁽¹⁾ page ، The Qur'an and Science ، Bucaille (Dr. Maurice) : The Bible

.189

⁽²⁾ الرحمن: 33.

1 - قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾⁽¹⁾. ونقرأ هذه الآية باللغة الإنجليزية كما يلي:

**Then We made the sperm
Into a clot of congealed blood;
Then of that clot We made
A (foetus) lump; then We
Made out of that lump
Bones and clothed the bones
With flesh; then We developed
Out of it another creature.
So blessed be Allah.
The Best to create!**

ورد في النص العربي كلمة (نطفة) وقابلها في الإنجليزية (sperm) التي تعني (منى)؛ بينما نطفة في اللغة العربية أوسع معنى، فهي تعني الماء القليل، وتعني الماء الكثير، ومنه الحديث: "حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً" حيث أراد بالنطفتين بحر المشرق وبحر المغرب؛ وليلة نطوفة دائمة القطر⁽²⁾. فالنطفة قليلة باعتبار دفقتها وكميتها عند خروجها من الجهاز التناسلي للرجل، وهي كثيرة باعتبار تواصل إنتاجها في الجهاز التناسلي لبني الإنسان ككل وتوارث خصائص النوع البشري وتشابه الأفراد عبر الجلود، وهي كثيرة باعتبار ما تحويه الدفقة الواحدة من عدد مهول من الحيوانات المنوية بحسب ما اكتشفه علم الطب الحديث، فهي أنت ترى أن النطفة تحمل سبق الاكتشاف العلمي لعدد الحيوانات المنوية في النطفة الواحدة.

(1) المؤمنون: 14.

(2) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 12، ص 9.

ثم إننا نجد في النص العربي لهذه الآية كلمة: (علقة) وترجمتها إلى الإنجليزية كالاتي:
(a clot of congealed blood) ومعنى هذا التعبير الإنجليزي (كتلة من الدم متجمدة أو متحجرة)، أما مدلول المفردة العربية: (علقة) فيوحي بتعلق القطعة بالرحم وإساقها عليه، وهي بهذا تكون أول الخلق الذي يمارس وظيفة حيوية هي هذا التعلق، وقد اكتشف الطب الحديث هذه الخاصية للعلقة.

وقال في اللغة العربية: (مضغة) التي يقابلها في اللغة الإنجليزية (كتلة جنين foetus lump)، والمضغة هي قطعة اللحم بمقدار ما يمضغ، وهذه المضغة هي التي يتكون منها العظم ويكتسى باللحم. وهذا الخلق يتم في أربعة أشهر وهي مدة بدء تحرك الجنين وتناوله الغذاء، فالمضغة تمضغ ويتغذى بها، فأشير بطور المضغة إلى طور غذاء الجنين. مرة أخرى نرى أن تحديد حجم الخلق بمقدار المضغة يعطى الوزن والحجم للجنين وهذا مقياس طبي يعول عليه في الدراسة العلمية لحجم الجنين.

أما تعبير (أحسن الخالقين) فقد قابله بالإنجليزية (The Best to create) والتعبير الإنجليزي مراوغ وغير دقيق المعنى وربما يخلق إشكالاً في المعنى؛ فهو قد يعنى (الأفضل مخلوقاً) وليس خالقاً، لأنك تستخدم فعل الـ (to-infinitive) الإنجليزي ليعنى ما تفعله، كقولك: The word is easy to remember أى أن (الكلمة سهلة أن تُستذكر) - بالبناء للمجهول - فالفعل (to remember) في هذه الجملة يعنى (تُستذكر) ولا تعنى سهلة أن تُتذكر هي - بالبناء للمعلوم. وفعل الـ (to-infinitive) قد يفيد البناء للمعلوم كقولك (He is the best to read) بمعنى (هو أفضل من يقرأ). وعلى هذا التحليل يستحسن أن يتحاشى الترجمة التي من شأنها أن تجعل المعنى خطأً، ففى هذا النص القراءاني نخشى أن يفهم القارئ من معنى (The Best to create) (أفضل مَنْ يُخلق) - بالبناء للمجهول - لا (أفضل مَنْ يُخلق) - بالبناء للمعلوم. فلو أراد المترجم دقة التعبير أجدد به أن يقول (The beat creator)، حيث كلمة (creator) تعادل باللغة العربية (الخالق).

مرة أخرى تتمثل بلاغة الكلمة العلمية العربية في التعبير (أنشأناه خلقاً آخر)، فهذا التعبير قال في تفسيره ابن عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد: هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جماداً⁽¹⁾، وهذا يفيد بداية خلقه كأنسان له تكوينه الجسدي الذي عبر عنه الحديث الشريف بأطوار تخلقه، كما له قيمته المعنوية التي عبر عنها نفس الحديث الشريف بكتابة الرزق والأجل والسعادة والشقاء للمولود؛ قال رسول الله ﷺ: "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب رزقه وأجله وعمله، ثم يكتب شقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح"⁽²⁾. فعبارة (أنشأناه) تفيد التحول الجذري في التكوين وكأنه خلق جديد، وهذا المعنى لا يتوفر في الكلمة الإنجليزية (developed) التي تعني طُوّر أو حَسُن.

2- وفي آية أخرى بشأن الخلق قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁽³⁾. وهي بالإنجليزية كما يلي:

**And (further), thou seest
The earth barren and lifeless,
But when We pour down
Rain on it, it is stirred
(to life), it swells,
And it puts forth every kind
Of beautiful growth (in pairs).**

⁽¹⁾ نفس المصدر السابق، ج 2، ص 102.

⁽²⁾ أبو داود (الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي): سنن أبي داود، كتاب السنة، 17 باب في

القدر، ص 714، حديث رقم 7408.

⁽³⁾ الحج: 5.

قال في اللغة الإنجليزية (swells) وهى تعنى (يتورم) وهذه زيادة في الحجم والشكل الخارجى الظاهر للعين، أما كلمة (ربت) العربية في الآية فتعنى زادت في كل أحوالها، ولذلك فإننا نرى المرأة الحبلى يزيد وزنها ويزيد حجمها ويزيد نشاط الغدد لديها ولا سيما غدد افراز اللبن. قال الزجاج : "لم يقل ربأت - التى تعنى ارتفعت - بل قال ربت من ربا يربو أى يزيد على أى الجهات" (1).

وكلمة (اهتزت) تفيد الحركة التى هى من خصائص الأحياء، فاهتزت أى أتهتها الحركة من داخلها وهذا أكد من التعبير الإنجليزى: (it is stirred) وهو تعبير (مبنى للمجهول passive voice) يجعل الإحياء للأرض من خارجها، وبعبارة أخرى نقول إن الجواز العقلى في التعبير العربى أبلغ في إعطاء الحياة للأرض.

3- قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ (2). وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلي:

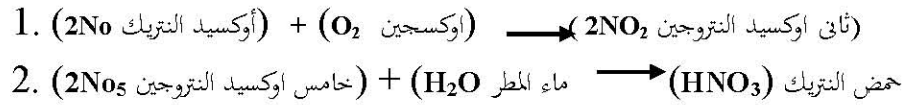
See ye the water
Which ye drink?
Do ye bring it down
(In rain) from the cloud
Or do We?
Were it Our will,
We could make it
Saltish (and unpalatable).
Then why do ye not
Give thanks?

فالترجمة الإنجليزية لكلمة (أجاجاً) هى: (مالح saltish) ولما علم المترجم أن هذه الكلمة لا تفى بالغرض أردفها شارحاً بكلمة (unpalatable) بمعنى (غير مستساغ) وهو

(1) الزجاج (أبو اسحق إبراهيم بن السرى): معانى القرآن وإعرابه، ج 3، ص 335.

(2) الواقعة: 68، 69، 70.

شرح لوحده أفضل من كلمة (saltish) التي تحصر الطعم غير المستساغ في الملوحة وحدها، بينما الكلمة العربية (أجاجاً) تعني أنه غير مستساغ إما لأنه مالح أو مر أو حامض أو كاوٍ، وتترك مجال تحديد الطعم للاكتشافات العلمية التي يأتيها بها علماء الكيمياء عندما يقولون إن شحنات البرق والتي تكون عادة مصاحبة للمطر قد تؤدي إلى تفاعلات كيميائية بين الأوكسجين في الهواء الجوى وبين اوكسيد النتريك مما يكون ثانياً أكسيد النتروجين الذي يذوب في ماء المطر قبل نزوله مكوناً حمض النتريك بمعدل مستساغ في الماء لو زاد أو نقص لأصبح الماء (أجاجاً) لا يمكن الانتفاع به، وتأكيد قولهم تنص عليه المعادلات التالية:



أما كلمة (لولا) فهي هنا بمعنى (هالاً) التي تفيد الحض على العمل، ولكن قابلها بالإنجليزية كلمة (why) التي وإن أفادت استفهام التقريح و التوبيخ أو الاستنكار فهي تخلو من رقة الحض الخاني.

ولنا وقفة لغوية هنا. فقولهم في الترجمة الإنجليزية: (Were it Our will) تعادل التعبير: (if it were Our will)، واستخدام الفعل (were) في الشرط يفيد أن هذا الشرط غير ممكن حدوثه⁽¹⁾ - تعالى الله عز وجل أن يعجزه شئ في السماوات أو في الأرض. فالتعبير الإنجليزي حصر معنى (لو if) في أنها حرف امتناع لامتناع، بما يوحي أنه قد امتنع على المولى عز وجل فعل ذلك - سبحانه وتعالى. ولكن في التعبير العربي: (لو نشاء) فإن: (لو) هنا قد تعني: "حرف لما كان سيقع لوقوع غيره"⁽²⁾، ولا تفيد استحالة الوقوع، فالجائز

(1) أنظر ال (unreal past) في: (رابعاً: استخدام الفعل وبناء الجملة) في نفس الفصل.
(2) ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 2، ص 385.

في حقه تعالى فعل كل شيء أو تركه من حدوث الأفعال في خلقه، فلا يتمتع عليه شيء سبحانه وتعالى (1).

4- قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (2). وهذه الآية تجرى بالإنجليزية كما يلي:

**And verily in cattle (too)
Will ye find an instructive Sign.
From what is within their bodies,
Between excretions and blood,
We produce, for your drink,
Milk, pure and agreeable
To those who drink it.**

قال في النص الإنجليزي: (for your drink, We produce) وتعني: (نحن ننتج لشرابكم). بينما المعنى الأصلي العربي يقول: (نسقيكم) . فالمنتج - كما في العبارة الإنجليزية - لا يمكنه إلزام أو إغراء المستهلك بالشرب. ولكن عبارة: (نسقيكم) تفيد: (أنا نهيى فيكم رغبتكم في الشرب)، ولولا هذه الرغبة لما صار اللبن سائغاً للشاربين، أى لولا أن سقانا الله تعالى إياه لما طاب لنا شربه، فكأنما أرادت الآية أن تقول: إن الإسقاء والسقيا من الله تعالى. ولو كان الأمر مجرد إنتاج للمشروب وعرضه على الناس لربما أحجم عن شربه بعضهم.

ثم أن كلمة (بطونه) قابلها بالإنجليزية (أجساد bodies) والتي لا تزيد عن معنى (أجساد)، غير أن الكلمة العربية (بطونه) توحى بالباطن وخفاء أمر اللبن وأسرار صناعته الخفية داخل الجسد مما يخفى ويبطن على غير العالم.

(1) لو أردنا قول: (لو كانت إرادته أن يجعله أجاجاً لفعل لكنه لم يرد ذلك بمحض إرادته - لا باستحالة

الفعل عليه)، لاستخدمنا (if 3) وقلنا في ترجمة الآية ما يلي:

(if it had been Our will , We could have made it unpalatable)

(2) النحل: 66.

أما الإعجاز العلمى اللغوى فى الكلمة فيتمثل فى حرف الجر. فخلق اللبن تم من علاقة كيميائية من بين صالح هو الدم وطالح هو الفرث. لم تقل الآية (من فرث ودم) بالعطف والجمع بين اثنين (فرث ودم) بل قالت (من بين فرث ودم) وكل الحكمة والإشارة فى عبارة (من بين) التى توحى بفكرة (الإنزيم أو الوسيط أو الحفز catalyst) الذى يزيد من معدل التفاعل الكيميائى، فنجد أن السكر فى داخل الجسم الإنسانى يتأكسد بدرجة كبيرة وذلك بفضل وجود (انزيم enzyme) السكريز، كما تبينه المعادلة التالية:



كما نشاهد أن بداخل أمعاء الحيوانات آكلات الحشائش بكتريا تفرز انزيمات تساعد على تكسير روابط السليولوز. أما فى حالة خلق اللبن فى الآية المذكورة فإن علماء الأحياء والطب يعرفون مسألة (البرولاكتين prolactin)⁽¹⁾، وهو هرمون فى الفص الأمامى من الغدة النخامية يثير وينظم افراز اللبن فى الثدييات. ولو ازداد هذا الهرمون بأكثر مما يجب يعطى زيادة غير طبيعية فى إدرار اللبن، وقد ينجم عنه تعسر الحمل القادم. فالمعادلة العلمية لإدرار اللبن المفيد تكمن فى توازن هذا الإنزيم الوسيط، أى البرولاكتين. ومهما يكن من التطور فى الاكتشافات العلمية فلن تبعد فكرة (من بين) فى الآية عن فكرة الوسيط أو الإنزيم.

وفى الإنجليزية افتقدت كلمة (بين between) إلى كلمة (من from)، ولكن عبارة (من بين from between) ليست من نمط التراكيب اللغوية الإنجليزية، فلو قيلت لكانت مجرد ترجمة حرفية شاذة.

⁽¹⁾ p 1041. Concise English-Chinese Medical Dictionary

5- أ) قال تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها﴾⁽¹⁾.
وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلي:

**None of Our revelations
Do We abrogate
Or cause to be forgotten,
But We substitute
Something better or similar**

في النص العربي قال: (نأتِ) مما يفيد الإتيان من جديد، ولكن في النص الإنجليزي قال: (substitute) أى (نستبدل). غير أن في (الاستبدال) إشارة إلى المبدل، بينما في (الإتيان) إنشاء جديد وإغفال للمبدل، وهذا أبلغ في التعبير عن النسخ الذى يفيد الإنشاء. ب) وقال الله عز وجل: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾⁽²⁾. وهى باللغة الإنجليزية كالاتى:

**When the anger of Moses
Was appeased, he took up
The Tablets: in the writing
Thereon was Guidance and Mercy
For such as fear their Lord.**

يلاحظ أن النص العربي لم ينسب الغضب إلى موسى، بل عرّفه بالألف واللام: (الغضب)، فكأنما الغضب ليس لموسى، بل هو شئ طارئ عليه، وهذا من باب تعليمنا أدب الحديث عن النبوة.

⁽¹⁾ البقرة: 106.

⁽²⁾ الأعراف: 154.

أما النص الإنجليزي للآية الكريمة فقد نسب الغضب إلى موسى، وذلك بكلمة:
(of) التي تفيد (الملكية possession) فكأنما هو غضب لموسى يكون في حوزته على
الدوام.

(ج) وقال عز وجل: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾⁽¹⁾. وترجمة الآية إلى اللغة
الإنجليزية كما يلي:

..... but Allah
Will cancel anything (vain)
That satan throws in,

(د) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾. ونقرأ الآية بالإنجليزية كما يلي:

This Our record speaks
About you with truth:
For We were wont
To put on record
All that ye did.

قال في سورة البقرة: (نسخ) بمعنى "لغى" أو "نزيل" وترجمتها (abrogate)؛
وقال في سورة الأعراف: "في نسختها" أى ما هو مكتوب عليها، وترجمتها في الإنجليزية هي:
(in the writing thereon)؛ وقال في سورة الحج: (ينسخ) أى يلغى ويبطال، وترجمتها
(cancel)؛ أما في سورة الجاثية فقد قال: (إنا كنا نستنسخ) أى نسجل ونكتب، وترجمتها
(We were wont to put on record).

إن النسخ بمعنى الإلغاء والإبطال لا يعيننا هنا. ولكن يهمننا ما ورد في سورة الجاثية
من معنى النسخ والاستنساخ، فالاستنساخ هو طلب كتابة أو تسجيل الشئ مرة أخرى، أى

(1) الحج: 52.

(2) الجاثية: 29.

كتابته موافقاً لمكتوب آخر. وهنا توجد لطيفة المعنى التنبؤي. فإذا كانت أعمال العبد مسجلة في اللوح المحفوظ منذ الأزل، ثم تنسخ له مرة أخرى وهو داخل رحم أمه، ثم تنسخ له مرة ثالثة وهو في دار الحياة الدنيا – إذا كان الأمر كذلك – فكأنما المسألة هي استنساخ لها من سجل إلى آخر.

وقد اكتشف حديثاً نسخ الصورة من الأصل بماكينات التصوير، ونسخ الصورة على شريط التسجيل المغنط، ونسخ الصور على الأثير وبثها في جهاز التلفاز، وحفظ الصورة والصوت في شريط التسجيل الإلكتروني (فيديو). فكل هذه الطرق من حفظ المادة لاستخدامها فيما بعد إنما هو من قبيل الاستنساخ الذي أوحى به الآية. واليوم يطالعنا (علم الأحياء **Biology**) بما يعرف بـ (الاستنساخ **cloning**)، وهو من نواتج (الهندسة الوراثية أو الجينية **genetic engineering**) وفيها يتم التدخل العلمي لإحداث (الطفرة أو التحول المفاجئ في الوراثة **mutation**) بحيث يحدث (نسخ **replication**) لمواليد متفقة أو مختلفة الخصائص عن الأبوين وذلك بسبب تحولات طارئة على (علاقات الصبغيات **chromosome relations**) وذلك باستخدام ما يسمى (DNA) وهو الحمض النووي (deoxyribonucleic acid)؛ "وفي الاستنساخ الطبي فإن تحديد موقع الجينة سيسمح بالكشف عن بعض الأمراض الوراثية. وفي المستقبل ستقوم التشخيصات (السابقة للزرع **pre-implantaion diagnosis**) باستبعاد الأجنة المستحصل عليها في المختبر والحاملة للأمراض المستعصية، قبل زرعها في رحم الأم"⁽¹⁾. كما أنه بواسطة هذا الحمض النووي يتم الكشف عن هوية الشخص حياً وميتاً عن طريق التعرف على (أساسيات جزيء الوراثة

⁽¹⁾ (وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية): مجلة لابل – فرانس، المطبعة الوطنية، باريس، العدد

(molecular basis of heredity) والذي يوجد في داخل (نواة الخلية cell nuclei).
أليس هذا نوع من استنساخ الشخص بصفاته؟ وأعماله وأقواله من أدق صفاته.
فليس لمكابر أن ينكر أن أعماله سوف تحصى عليه وتحفظ مادتها، وتنسخ ويؤتى
بنسخة منها يوم القيامة.

غير أن التعبير الإنجليزي لا يتعدى معنى (نسجل، ندوّن put on record) التي
فالعامل هنا مجرد تسجيل أو تدوين وكتابة، ولا يفيد الإيحاء العربي بكلمة (نستنسخ) التي
تعني إعادة نفس الكتابة من سجل آخر، ولو استخدم الفعل (ينقل copy/transcribe)
لكان المعنى أقرب إلى النبوءة العلمية لصراحة هذين الفعلين في معنى النقل من نسخة أخرى.
كما نلمح المغذى من حرف الجر (عليكم) في قوله: "ينطق عليكم بالحق" الذي
يوحى باستعلاء الحق وحجة الكتاب المستنسخ على العباد المحاسبين، ولا نجد هذه الإفادة في
الحرف الإنجليزي (عن about) الذي يعني (عن) وليس (على).

6) وذهب القراءان أبعد من ذلك في النبوءة العلمية فتحدث بمصطلحات
استحدثتها فاستخدمت فيما بعد في علم الفيزياء وعلم الكيمياء. قال تعالى:
أ- ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا
أكبر إلا في كتاب مبين﴾⁽¹⁾. وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلي:

**Nor is hidden
From the Lord (so much as)
The weight of an atom
On the earth or in heaven
And not the smallest
And not the greatest
Of these things but are recorded
In a clear Record.**

⁽¹⁾ يونس: 61.

ب- وقال عز وجل: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾⁽¹⁾. ونقرأ هاتين الآيتين باللغة الإنجليزية كما يلي:

**Then shall anyone who
Has done an atom's weight
Of good, shall see it !
And anyone who
Has done an atom's weight
Of evil, shall see it.**

عبر في كل من الآيات في (أ) و (ب) أعلاه بمثقال الذرة، ومعنى الذر النمل الصغير. وفي ذلك كناية عن أصغر الأحجام مما يراه أو لا يراه الرائي بالعين المجردة. ولكن النبوءة العلمية تكمن في أن الذرة قد أطلقت في هذا العصر على ذلك الثقل للمادة والذي يشكل أصغر جزء من العنصر الكيميائي الذي يحتفظ بالخصائص الكيميائية لذلك العنصر. وكان العلماء يظنون أنها أصغر شئ في تركيبية المادة. ومع صغرها فقد اكتشف العلم أن في مركز هذه الذرة توجد نواة تتكون من جسيمات تحت ذرية هي البروتونات، الإلكترونات والنيوترونات. والنواة أصغر من الذرة بمقدار 100،000. فلو أننا تخيلنا أن الذرة باتساع مطار الخرطوم فإن النواة في حجم حبة العنبة.

وتكمن النبوءة العلمية للكلمة العربية في عبارة: (أصغر من ذلك) التي تشير إلى ما هو أصغر من الذرة. أما تعبيرى: (خيراً يره، وشرّاً يره) في السورة فينم عن الإشارة إلى رؤية الذرة التي لا ترى إلاّ بالمجهر، ولم تقل السورة (يعلمه) بدلاً عن (يره)، لأن العلم يحصل للمجردات وللمجسمات، أما الرؤية فهي للمجسمات فقط.
مرة أخرى نلمح في كلمة (مثقال) الإشارة إلى الوزن الذرى للمادة، فلم تقل الآية (مقدار ذرة) بل صرحت بالثقل والوزن (مثقال).

(1) الزلزلة: 7، 8.

وعلى ما هو أصغر من الذرة (أصغر من ذلك) قامت دراسات "النانوتكنولوجي (Nanotechnology) والتي هي امتداد لدراسات الاستنساخ في علم الأحياء الجزيئي. فإن كان الاستنساخ في علم الأحياء الجزيئي يعمل على تغيير أساسيات جزيء الوراثة في النواة في الحمض النووي، فإن علم النانوتكنولوجي يعمل على تغيير جزيء النواة في المادة الفيزيائية أو الكيميائية. فالنانوتكنولوجي تعمل على مقاييس (النانوميتر) الذي يساوي: (10^{-9}) من المتر، وهذا يساوي في النظام المتري 1 ÷ بليون من المتر وهو ما يعادل 1 ÷ 000.50 من عرض شعرة الإنسان. ويعمل علم النانوتكنولوجي على معالجة المواد على مستوى الذرة وما هو أصغر منها وذلك لتغيير خصائص المادة فيدخل في الإلكترونيات، الحوسبة، الأطعمة، أدوات المكياج، وكل أوجه الحياة الأخرى"⁽¹⁾.

ونجد الفرق بين (كتاب مبین) و (سجل أو كتاب واضح clear record) للإبارة أعمق من الوضوح، فالمبين هو الذي يوضح نفسه بصفة دائمة وعلى مر الزمان فيعلمه علماء الآثار الذين يفكون طلاسمه التي عفى عليها الدهر بتقادم الزمن. ولكن الوضوح قد يكون وقتي الآن، فما كان واضحاً الآن قد يعمى على من يأتي من بعد. وفي الحقيقة إن الكلمة العربية مفعمة بالنبوءة العلمية والمعاني التي ما زال المفسرون يجتهدون في فك رموزها ومعانيها العميقة، وهذا في حد ذاته جانب أكسب اللغة العربية حيوية وثراءً في الفكر.

سابعاً: الوقف في قراءة القرآن الكريم:

إن علم تجويد القرآن الكريم قد بيّن طرق القراءة ومخارج الحروف وغيرها من قواعد القراءة الصحيحة للقرآن الكريم. ومن بين هذه القواعد مسألة الوقف عند قراءة الآية. فالوقف صيغة (صرفية عدمية zero morpheme) يتم فيها الوقف بين جملتين دون وجود

⁽¹⁾ ترجمة المؤلف من: <http://ar.wikipedia.org>

علامة من علامات الفصل والوقف مثل ال (الفاصلة comma) أو (النقطة full stop)، فالمعلوم أن القارئ يمكنه أن يقف عند نهاية كل آية محددة برمز نهاية الآية المكتوب في المصحف الشريف، مثلاً: طه ﴿١﴾. غير أن هنالك وقف أو مواصلة للآية تأتي داخل الآية الواحدة. ونحن هنا يهمنا هذا الأخير الذي منه أنواع عديدة كالوقف التام والوقف الكافي والوقف الحسن والوقف القبيح؛ وللوقف اصطلاحات أخرى كالجائز واللازم وغيرها. ونأخذ للوقف في القرآن الكريم الأمثلة التالية:

1- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾. وترجمتها إلى الإنجليزية

كما يلي:

**Let not their speech
Grieve thee: for all power
And honour belong to Allah:**

جاءت الجملة الأولى السابقة للوقف (ولا يحزنك قولهم) جملة فعلية، في حين أن الجملة الثانية التالية للوقف (إن العزة لله جميعاً) جملة إسمية، ولم تأت أداة بين الجملتين. والجملة الأولى تنهى النبي ﷺ عن الحزن من قول المشركين المتضمن للطعن عليه، وتكذيبه، والقدح في دينه، والمقصود التسلية له.

أما الجملة الثانية الواقعة بعد الوقف فإنها رسالة لغوية مستأنفة تحمل معنى مستقلاً سيق لتعليل النهي، وقيل جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: لم لا يحزنه؟ فقيل: لأنه لا يملك أحد منهم شيئاً أصلاً. بل الغلبة والقهر لله تعالى وحده الذي يقهرهم ويغلبهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم. ولولا هذا الوقف لصار (إن العزة لله جميعاً) مقول الكفار، ولهذا كسرت همزة "إن" لا ابتداء الجملة واستئنافها.

⁽¹⁾ يونس: 65.

ويلاحظ أنه أتى بـ (for) لتعليل الأمر بعدم الحزن، وذلك بسبب عدم قواعد الوقف في الجملة الإنجليزية، وبسبب الترجمة من النص العربي الذي يقوم بناء الجملة فيه على الاسترسال.

2- قال تعالى: ﴿فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾⁽¹⁾. وترجمتها إلى الإنجليزية كما يلي:

**Let not their speech, then,
Grieve thee. Verily We know
What they hide as well as
What they disclose.**

فالاسترسال في الجملة العربية إحتاج إلى أن توضع علامة وقف عند كلمة (قولهم)، يقف عندها القارئ حتى يكون ما بعدها (إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) استئناف؛ فلو لم يقف القارئ لكان مقول قولهم ومعناه يفيد أنهم يقولون: "إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون" فلا يحزنك قولهم هذا. فإن كان هذا قولهم فهو اعتراف منهم بعلم الله بما في سرائرهم وعلاانيتهم، فعلام يحزن الرسول ﷺ؟ ونص الآية العربية قد حكمه الحذف، إذ المحذوف بعد كلمة (قولهم) هو (كلمة الكفر والإنكار التي أحزنت الرسول ﷺ). أما التعبير الإنجليزي فلخلوه من الاسترسال فقد احتاج إلى فصل الجملة، واستئناف غيرها والتي تبدأ بـ (Verily). فالإحلال بقواعد الوقف في النص الإنجليزي جاء بسبب تقلب المفعول في الإنجليزية (قولهم their speech) والذي هو مفعول للفعل (let) وعامل للفعل (grieve)، حيث لا يمكن للإنجليزية أن تبدأ بـ (فعل تام finite verb) هو (يحزن grieve) فبدأت بفعل الأمر المنفى: (لا تدع let not).

⁽¹⁾ يس: 76.

3- والوقف أيضاً وسيلة لتوسيع المعنى واختلاف التفاسير، وهذا أمر لا نجد في الترجمة الإنجليزية. فمثلاً قوله تعالى: ﴿..... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾⁽¹⁾. وترجمة هذه الآية إلى اللغة الإنجليزية هي كما يلي:

**But no one knows
Its true meanings except Allah.
And those who are firmly grounded
In knowledge say : "We believe
In it: the whole of it
Is from our Lord"**

فإذا كان الوقف على اسم الجلالة: (الله) الوارد بعد كلمة (إلا) كان (الراسخون في العلم) مبتدأ⁽²⁾، وعليه خرج (الراسخون في العلم) من علم المتشابه، وهي كما قال السيوطي: "طريقة السلف، واختارها المفسر لكونها أسلم، أما إن كان الوقف على قوله تعالى: (والراسخون في العلم) كان (الراسخون في العلم) معطوف على (الله)، وعليه دخل (الراسخون في العلم) في معرفة المتشابه، وهي طريقة الخلف كما قال السيوطي: وهي أحكم. قال بعضهم ويؤيد طريقة الخلف قوله تعالى: (وما يذكر إلا أولوا الألباب)⁽³⁾. قال في تفسير القرطبي: "والوقف على هذا يكون عند قوله: (والراسخون في العلم)، قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر: وهو الصحيح؛ فإن تسميتهم راسخين يقتضى أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوى في علمه جميع من يفهم كلام العرب. وفي أى شئ رسوخهم إذا لم يعلموا إلا

(1) آل عمران: 7.

(2) ابن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد): البحر المديد في تفسير القرءان المجيد، ج 1، ص 324.

(3) الصاوي (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج 1، ص 189.

ما يعلم الجميع!"⁽¹⁾. قال السيد محمد بن علوي: "المتشابه على ضربين: أحدهما ما إذا زُدد إلى المحكم واعتبر به، عرف معناه؛ والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزرع، فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه، فيفتنون"⁽²⁾. والنوع الأول من المتشابه هو الذي قال عنه سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما: "أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله"⁽³⁾.

ها أنت ترى أن اختلاف الوقف وتنوعه يعطى تنوعاً في فهم المعنى وغزارة في المعرفة.

أما النص الإنجليزي فقد فصل بين اسم الجلالة (الله Allah) وبين (الراسخون في العلم And those who are firmly grounded in knowledge) بوضع (نقطة full stop) والتي تدل على انتهاء معنى الجملة، ولا يفيد ربط الكلام بـ (And) عدم الوقف. وبهذا يحتمل المعنى في النص الإنجليزي تفسيراً واحداً، هو خروج (الراسخون في العلم) عن معرفة المتشابه.

ثامناً: الفن والجمال في القرآن الكريم:

لقد خاطب القرآن الكريم الفهم والعقل المجرد: فصاغ المعنى اللغوي، والمفهوم العلمي، والدلالات الشرعية، والأحكام العقلية والحجج المنطقية.

(1) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ج 4، ص 21.

(2) ابن علوي (السيد محمد السيد): القواعد الأساسية في علوم القرآن، ص 71.

(3) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب): تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 340.

ثم أنه لم يغفل عن الجانب العاطفى. فقد خاطب الوجدان وجوانب الإحساس
الفنى لدى الإنسان: فتحدث عن الجمال والزينة.

أولاً: خاطب حاسة البصر:

قال الله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾⁽¹⁾. وترجمت هذه
الآية إلى الإنجليزية كما يلي:

**It is We Who have set out
Constellations in the heavens
And made them fair-seeming
To (all) beholders.**

يقول التعبير العربى: (لِلناظرين)، وهذا يوحي بأن هذه البروج تبدو جميلة لمن ينظر
إليها بعينه نظرة من يعتبر ببصيرته، لأن من رآها ببصيرته رأى فيها جمال صنع الله القدير
وبديع خلقه، وكانت زينتها آية في نظر هذا الناظر، وصار نظره للإيمان وليس لمجرد متعة
النظر، ومثل هذا النظر هو الذى يطلبه القراءان الكرم. أما الذين لا تستوقفهم الآيات
الكونية فلا يعتبرونها دليلاً على القدرة الإلهية، وهؤلاء غير ناظرين ذلك النظر الذى يعتد به.
بينما نجد فى الآية أن التعبير الإنجليزى: **To (all) beholders** أى (لكل
الناظرين)، فهذا فيه تحريف للمعنى بزيادة: **(all)**، فجاءت كلمة **(all)** حشواً يتلف المعنى،
فلو حذفنا كلمة **(all)** لاتسق المعنى الإنجليزى مع النص العربى.

ثانياً: خاطب حاسة السمع:

قال تعالى: ﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت
الحمير﴾⁽²⁾. وتجمت الترجمة الإنجليزية كما يلي:

(1) الحجر: 16.

(2) لقمان: 19.

"And be moderate
In thy pace, and lower
Thy voice; for the harshest
Of sounds without doubt
Is the braying of the ass."

عبارة : (أنكر الأصوات) تصف صوت الحمار بأقبح الأوصاف وهي استنكار السامع له باعتباره شيئاً منكراً وغير مألوف في طبقات الصوت وسلام الموسيقى، فأين من هذا المعنى العرني التعبير الإنجليزي الذي يصف الصوت بصفة واحدة هي أنه: (الأجش the harshest). في النص العرني أفرد (صوت) لأنه مصدر يدل على الكثرة، وجمع (الحمير) لتأكيد هذه الكثرة في الصوت، ولا نجد هذا الجمع في الكلمة الإنجليزية المفردة لمعنى كلمة (حمار ass). كما أنه قال في اللغة العربية: (صوت الحمير)، بينما جاء نفس المعنى في اللغة الإنجليزية: (the braying of the ass). فنلاحظ أن في اللغة العربية كان الحديث عن الأصوات، مجرد الأصوات والمفاضلة بينها لأنكار صوت الحمار، وليست المقارنة في الآية بين (صوت voice) وبين (نقيق braying).

كما تحدث القراء الكرم عن الصوت في درجات مختلفة ومجالات أخرى ومتنوعة:

أ- ففي مجال الهيبة والخشية من الله عز وجل قال تعالى: ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾⁽¹⁾. والنص الإنجليزي لهذه الآية كما يلي:

And the voices will be hushed
To The Most gracious:
So that thou hearest not
But murmuring.

⁽¹⁾ طه: 108.

قال في النص المكتوب باللغة العربية : (خشعت)، ولكن قابلها بالإنجليزية:
(hushed) والتي تفيد معنى (أخمد)، ولا نجد في الكلمة الإنجليزية معنى (خشع) بكل ما
فيها من روحانيات وإيمانيات، فالمقابل الإنجليزي الأنسب لكلمة (خشعت) هو أن نقول:
(inspired with awe). وفي كلا التعبيرين الإنجليزيين يُفْتَقَد الخشوع الطوعي التلقائي يوم
القيامة، فمن خشع بنفسه كما في النص العربي ليس كمن أُخْشِع كما في الترجمة الإنجليزية.
مرة أخرى نجد في العربية استخدام كلمة: (همساً) التي قوبلت بالإنجليزية بكلمة:
(murmur)، وهذه الكلمة الإنجليزية وإن أفادت معنى (الهمس) لكنها قد تفيد معنى
(التزمر). وَمَنْ ذا الذي يتزمر ويحتج على الله تعالى يوم القيامة؟ أو حتى يتزمر في دار الدنيا؟
فلو قال المترجم: **(whisper)** لحسم الخلاف.

ب- ففي مجال المحبة والتوقير للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾⁽¹⁾.
وترجمة الآية إلى الإنجليزية كالاتي:

**O ye who believe!
Raise not your voices
Above the voice of the Prophet,
Nor speak aloud to him
In talk, as ye may
Speak aloud to one another,**

والأصوات هي: نصح بخير أو إغواء لشر. وبشارة أو نذارة. ووعد أو وعيد،
وهدهة طمأنينة أو هزات تحوير. ولهذا تنوع الخطاب بحسب المتكلم وبحسب المخاطب.
ولقد وقفنا سابقاً على نوع الصوت في إطار خشية الله تعالى وإطار محبة المؤمن وتوقيره النبي
ﷺ. ولكن في مجال الإفساد والعقاب نجد الآتي:

⁽¹⁾ الحجرات: 2.

1- في معرض الحديث عن الإغواء والضلال قال تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾⁽¹⁾. وتقرأ الآية بالإنجليزية كما يلي:

**And Arouse those
Whom thou canst among them,
With thy (seductive) voice .**

أستفزز تعني استخف أي أجعله خفيفاً يسهل الجذابه واغواؤه، أما الكلمة الإنجليزية (يثير arouse) والإثارة والانفعال قد لا يوجد فيهما الاستخفاف، فقد يكونان استنهاضاً وتحريضاً لفعل الخير، فالأحسن استخدام الفعل (يستخف slight). أما كون صوت الشيطان (مغوياً seductive) فهذا مضمّن في صوته، ولهذا لم يُشَفَّع النص العربي بكلمة (مغوى)، وفي هذا اتساع لأشكال الضلال والإغواء من وسوسة وإغراء ودفع للشر وإيعاد بالفقر وتكذيب بالوعد وإضلال بتنميق الكلام وبشتى أنواع الأصوات، فلم يحصر صفات الصوت في صفة واحدة - هي (الإغواء seduction).

2- وفي معنى العقاب بالصيحة قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾⁽²⁾. وترجمة الآية إلى الإنجليزية كالاتي:

**For We sent against them
A single Mighty Blast,
And they became
Like the dry stubble used
By one who pens cattle.**

(1) الإسراء: 64.

(2) القمر: 31.

المهشيم هو الفتات المتناثر من السنابل. نكّر كلمة (صبيحة) والتنكير يفيد الكثرة، و (الاسم غير المتعدد **uncountable noun**) يفيد كبر الحجم، لذلك لم يتطلب النص العربى أن يصف الصوت بأنه (قوى **Mighty**).

مرة أخرى نلمس النبوءة العلمية فى الكلمة القراءانية ل (الصوت). فقد كشف علماء الفيزياء أن الصوت طاقة أو جسم له حجم وثقل وكثافة، والإنسان العادى يلمس ذلك فى صوت الطائرة الذى يهز البناء، بل فى صوت الرعد المخيف. فصوت صبيحة واحدة يكفى لصعقتهم وجعلهم كالمهشيم.

ثالثاً: خاطب حاسة الشم:

أ- وقال تعالى: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾⁽¹⁾. وترجمة الآية إلى الإنجليزية كما

يلى:

Also corn: with (its)

Leaves and stalk for fodder,

And sweet-smelling plants

الحب هو القمح أو الذرة أو الشعير، والعصف هو التبن، أى ذكر ما يأكله الإنسان وما هو طعام للحيوان . فالحب غذاء للإنسان، وهذا الحب يخلف العصف الذى هو غذاء للحيوان. ولكننا نجد التعبير الإنجليزي مطولاً بتذكيره بالغرض من (العصف **Leaves and stalk**) بأنها (للعلف **for fodder**). وقال بعض المفسرين أن كلمة (الريحان) تعنى - أيضاً - الرزق، بينما التعبير الإنجليزي حصر المعنى فى (ذو الرائحة الحلوة **sweet-smelling**) فقط دون الإشارة إلى معنى الرزق، وفى هذا توضيح للمعنى.

⁽¹⁾ الرحمن : 12.

ب- وقال تعالى: ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾⁽¹⁾. ونقرأ الآية بالإنجليزية كما يلي:

**(There is for him) Rest
And Satisfaction, and
A Garden of Delights.**

إن التعبير الإنجليزي قد حصر المعنى في: (إشباع الحاجة والإرتياح satisfaction)، ولا يوجد في هذا التعبير المعنى العربي للرائحة الطيبة من الريحان المعروف الذي يشم.

رابعاً: **خاطب حاسة الذوق:** نجد ذلك في حديث القرءان الكريم عن اللبن وماء الشرب - وقد تقدم ذكره⁽²⁾.

خامساً: خاطب حاسة اللمس:

وقال الله عز وجل: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾⁽³⁾. وترجمتها إلى الإنجليزية كالاتي:

**As often as their skins
Are roasted through
We shall change them
For fresh skins,
That they may taste
The chastisement:**

نجد النص العربي يقول: (بدلناهم)، أى أعطيناهم أو خلقنا لهم جلوداً أخرى بدلاً عن التي نضجت عليهم. ولكن التعبير الإنجليزي يقول: (سوف نبدلهم أو نغيرهم We shall change them)، وعلل هذا التبديل بقوله: (ليكون عندهم جلود جديدة For fresh skins) فجعل التغيير لشخص الكافر وليس لجلده، فكأنما خلق كافر آخر غير

(1) الواقعة: 89.

(2) أنظر أول هذا الباب: (ج) سادساً: استخدام المفردات - صفة النبوة العلمية للكلمة العربية.

(3) النساء: 56.

الذى نضج جلده. ولكن التعبير العربى يجعل التبديل لجلد نفس الكافر. كل هذا اللبس فى النص الإنجليزى سببه أن الضمير (them) قد يكون لـ (skins) أو للاسم الموجود فى (their) التى ترجع لأهل النار؛ أما فى النص العربى فإن كلمة (غيرها) صريحة فى أن المبدل هى الجلود.

(بَدَل) و (أبدل) بمعنى واحد، ولكن (بَدَل) فيها تضعيف الدال وتكرارها مما يوحى بتكرار تبديل الجلود وهذا أبلغ فى التخويف، فهل كلمة (change) فيها زيادة المعنى بهذا التضعيف؟

مرة أخرى نلمح النبوءة العلمية للكلمة القرآنية، حيث اكتشف العلم مؤخراً أن طبقة الجلد - أى البشرة الخارجية - هى الأكثر حساسية للألم وأحد شعوراً به.

وتحدث عن الزينة:

فتناول الزينة بنوعيتها: المفيدة، والضارة:

1 - عن الزينة المفيدة: تناول الزينة المادية فقال تعالى:

أ- ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾⁽¹⁾. وفى النص الإنجليزى نقرأ:

And who sends you down
Rain from the sky?
Yea, with it We cause
To grow well-planted orchards
Full of beauty and delight:

⁽¹⁾ النمل: 60.

قال في النص العربي: (حدائق ذات بهجة) والبهجة هي المنظر الحسن الذي يهيج ويسر العين. ولكن التعبير الإنجليزي (ممتلئة بالجمال **Full of beauty**) لا يفى بمعنى البهجة ولذلك - لكي يشرح معناه - أرفده المترجم بقوله: (والممتعة أو البهجة **and delight**)، وهذا يعني أن الحدائق تبعث البهجة في النفس لجمالها، غير أن التعبير العربي لا يحصر البهجة المتلقاة من الحدائق في الجمال فقط، فربما تكون البهجة بسبب كثرة محصول هذه الحدائق، أو قد تكون بسبب ظلها الوريث، أو بسبب هوائها الرطب النقي، وغير ذلك من متعة وبهجة يكون الجمال جزءاً منهما.

ب- وقال تعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾⁽¹⁾. وبالإنجليزية نقرأ:

**(It grows) till the earth
Is clad with its golden
Ornaments and is decked out
(In beauty):**

قال في النص الإنجليزي واصفاً الأرض بأنها: (مكسوة **clad**) بـ (حليها الذهبية **its golden ornaments**)، فحصر الحلية والزينة في الذهب فقط، بينما اللفظ العربي: (زخرفها) يعني مطلق حسنها وزينتها التي قد لا تكون بالضرورة من الذهب فقط.

أما عن الزينة المعنوية فنقتطف من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾⁽²⁾. والترجمة الإنجليزية لهذه الآية

تجري كما يلي:

**But Allah has endeared
The Faith to you, and
Has made it beautiful**

(1) يونس: 24.

(2) الحجرات: 7.

In your hearts,

في النص العرني قدم الجار والمجرور: (إليكم) على الشيء المحبب: (الإيمان)، وفي هذا زيادة عناية بالمؤمنين بذكرهم مباشرةً بعد الفعل: (حبيب). وفاتت هذه العناية على النص الإنجليزي، لأنه قدم (المفعول به المباشر direct object) وهو هنا: (الإيمان The Faith) على (المفعول به غير المباشر indirect object) وهو (إليكم to you) وذلك بحسب ما يمليه ويفضله علم النحو الإنجليزي.

والإسلام يضع للجمال قيمة روحية يحض على التمسك بها. هذا عن الجمال المباح والزينة المشروع تعاطيها. فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: "إن الله جميل يحب الجمال"⁽¹⁾. فليس كل جمال مكروه وليس كل زينة محرمة، قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾⁽²⁾. ونقرأ هذه الآية بالإنجليزي كما يلي:

**Say: Who hath forbidden
The beautiful (gifts) of Allah,
Which He hath produced
For His serevants,**

فالمعلوم عن الزينة أنها من الخدمات الكمالية. وهي لا تكون - في الغالب - من الأساسيات. فالآية في اللغة الإنجليزية جعلت: (زينة الله) هي بمثابة (هدايا الله الجميلة beautiful (gifts) of Allah). ولكن فهل كل هدايا الله للبشر من نوع الزينة الكمالية؟ إن كل ما بنا من نعمة - ضروريةً كانت أم كمالية، زينة كانت أم خلافها - فهي هبة وهديّة من الله تعالى. فإن هدايا الله الجميلة والمعبر عنها في النص الإنجليزي ب: (beautiful

(1) الحاكم (الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري): المستدرک علی الصحیحین، ج 5، کتاب

اللباس، ص 106، حديث رقم 7523.

(2) الأعراف: 32.

of Allah (gifts)) لا تعنى بالضرورة الزينة فقط. بينما نجد أن النص العربى للآية يركز على مفهوم الزينة فقط، وليس على مفهوم كل المنح والهدايا الربانية. لأن المنة بما هو جميل محب للنفس البشرية أبلغ من المنة بسائر المنح والعطايا العامة والمبهمة.

يلاحظ أن كلمة (Which) لا تتصل باسم الجلالة (الله Allah) لأنه فصل عنها بـ (فاصلة comma)؛ فشبهُ جملة الموصول فيها (غير معرّفة non-defining)، بل هى تعنى الفكرة المصاغة من التعبير (The beautiful (gifts) of Allah). غير أن وضعها في أول السطر - على غرار كتابة القصيدة الإنجليزية - أضعف صلتها بما قبلها، فلا يوجد في تعبيرها استرسال واتصال كما هو في الجملة العربية المعادلة لها.

2- وعن الزينة الضارة:

أ) قال الله تعالى: ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾⁽¹⁾. ونقرأ هذه الآية بالإنجليزية كما يلي:

**But we were made to carry
The weight of the ornaments
Of the (whole) people,**

وصف التعبير العربى حملهم بالأوزار، والوزر هو الخطيئة. بينما التعبير الإنجليزي يتحدث عن (ثقل الزينة weight of ornaments) حيث كلمة (weight) تعنى (ثقل)، ولا تفيد معنى وزر أو خطيئة، والتعبير العربى يصفها بثقل الحمل مجرد أنها (خطايا أو أوزار sins) وليس لأنها حلى ذهبية تزن أثقالاً.

ب) وقال تعالى: ﴿قال ربّ بما أغويتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾⁽²⁾. وترجم الآية إلى الإنجليزية كما يلي:

(1) طه: 87.

(2) الحجر: 39.

(Iblis) said: "O my Lord!
Because Thou hast put me
In the wrong, I will
Make (wrong) fair-seeming
To them on the earth.
And I will put them
All in the wrong,

قال في النص الإنجليزي (Make "wrong" fair-seeming)، ومعناه في اللغة العربية (يزين الخطأ) فالتعبير الإنجليزي تطلب ذكر المفعول به (wrong) صراحةً، فحصر التزيين في الخطأ. بينما النص العربي حذف المفعول به مما جعل التزيين يشمل الخطأ ويشمل الصواب معاً، فشموله للخطأ يبيّن، وأما شموله للصواب فيعد من قبيل كلمة الحق التي يراد بها باطل، فهذا هو الحق والصواب المزيّن لصاحبه والذي يخفى في طياته الضلال والغواية؛ فإن حباثل الشيطان تتنوع فيها المراوغة، وتنبهم على كثير من الناس، فيفسدون من حيث لا يشعرون.

ج) وقال تعالى: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾⁽¹⁾. وترجمة الآية إلى الإنجليزية كما

يلي:

So he went forth among
His people in the (pride
Of his worldly) glitter.

إن التعبير الإنجليزي: (in the pride of his worldly glitter) يعني (فخوراً بزِينته الدنيوية). ولكن مرة أخرى نلمح بلاغة الإيجاز العربي في عدم ذكر (الفخر) صراحة.

⁽¹⁾ القصص: 79.

فإن من خرج هذا الخروج فخرجه يتضمن الفخر⁽¹⁾. وما عابت الآية صاحب هذه الزينة إلا لأنه فَرِحَ وفخور بها، والله لا يحب الفرح الذي يُفْرَحُ صاحبه عن الحق. قال تعالى: ﴿قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾⁽²⁾. بخلاف الفرح بالدين ، فهو محبب ومرغوب فيه، قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾⁽³⁾. وعن الجمال العام قال الله تعالى: ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾⁽⁴⁾. وهذه الآية بالإنجليزية كالآتي:

And ye have a sense
Of pride and beauty in them
As ye drive them home
In the evening, and as ye
Lead them forth to pasture
In the morning.

مرة أخرى يتحدث النص الإنجليزي عن (الفخر pride) الذي لم يذكر في النص العربي، فالنص العربي يقول: (لكم فيها جمال)، بينما نجد النص الإنجليزي يقول: (of a sense pride and beauty)، فهو يصرح بـ (الفخر pride) مضافاً إلى كلمة (الجمال beauty). فلو كان احساسهم بجمال الإنعام يجلب لهم التفاخر لكانت هذه الأنعام نقمة عليهم ولما كانت نعمة ومتاعاً لهم، فالآية تخاطبت عامة البشر الذين يدركون جمال نعمة الله عليهم، ولم تخاطب أناساً يفخرون بهذا الجمال. وقد بينا في الفقرة (ج) أعلاه سوء التفاخر بزينة المال.

(1) أنظر حديثنا السابق عن الإيجاز والحذف في نفس الباب وفي الباب الثالث.

(2) القصص: 76 .

(3) يونس: 58 .

(4) النحل: 6 .

الجمال المعنوى:

ثم أن القرءان الكريم تناول الجمال المعنوى، ووصف بالجمال أفكاراً مجردة مثل الصفح والصبر والهجر وتسريح الزوجات:

أ) **فمن الصفح الجميل:** قال تعالى: ﴿وَإِن السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾⁽¹⁾. وترجمة الآية إلى الإنجليزية كما يلي:

**And the Hour is surely
Coming (when this will be manifest).
So overlook (any human faults)
With gracious for giveness.**

فألأنه صفح جميل لم يذكر في النص العربى صراحة أخطاء المعفو عنه كما فى التعبير الإنجليزى (any human faults). وفى النص الإنجليزى ذكر كلمة (مسامحة forgiveness) والمسامحة فيها ذكر الخطأ والعفو عنه، بينما الصفح فى اللغة العربية يعنى الإعراض عن المذنب، والمعروض لا يتذكر ذنب المخطئ، هذا هو العفو الحسن الذى طلبته الآية الكريمة.

ب) **وعن الصبر الجميل:** قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلًا﴾⁽²⁾. وتقرأ فى الإنجليزية كما يلي:

..... He said:
"Nay, but your minds
Have made up a tale
(That may pass) with you,
(For me) patience is most fitting:

(1) الحجر: 85.

(2) يوسف: 18.

الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه. وفي النص العربى نقراً: (سولت لكم أنفسكم)، بينما فى الإنجليزى نقراً: (your minds have made up a tale)، فى العربية هو تسويل نفسى، بينما هو فى الترجمة الإنجليزية عمل عقلى صدر عن: (عقولكم your minds). ولكننا نقول أن من أعمل العقل لا يرتكب خطأ القتل، ولكنه عمل النفس الأمانة بالسوء.

كما أن المترجم قال فى النص الإنجليزي ما معناه بالعربية: (الصبر بالنسبة لى أولى ذكرًا لجمال الصبر فى التعبير الإنجليزي. أجل أولى به الصبر، ولكنه ينبغي أن يكون صبراً جميلاً يليق به كنبى أو رسول).

ج) وعن الهجر الجميل: قال تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً﴾⁽¹⁾. وهذه الآية تترجم إلى الإنجليزية كما يلي:

**And have patience with what
They say, and leave them
With noble (dignity).**

قال فى النص الإنجليزي: (leave them with noble dignity)، وهذا من تعابير (الغموض أو الالتباس اللغوى language ambiguity)، لأنه قد يعنى: (أتركهم وهم على "كرامة ونبل noble dignity")، إلا أن المعنى المختار هو: (أتركهم وأنت فى "كرامة نبيلة noble dignity"). وحتى بالمعنى الثانى فليس هذا مرمى الآية، فمن استشعر كرامته ونبله استكبر عليهم ولم يهجرهم هجر المسامح لهم. فالهجر الجميل هو الذى لا يشعر فيه المهاجر بـ (تعالٍ dignity) على من هجر.

⁽¹⁾ المزمّل: 10.

د) وعن التسريح الجميل: قال تعالى: ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾⁽¹⁾. وتقرأ هذه الآية بالإنجليزية كما يلي:

**And release them
In a handsome manner.**

فما أجمل أن يبنى فراق الأزواج على التسريح الجميل.

وفي النص الإنجليزي نجد التعبير: (**handsome manner**) ويعنى: (بطريقة جميلة) فالجميل هنا طريقة التسريح، وشتان بين هذا المعنى وبين أن يكون الجميل هو التسريح نفسه – بما يصحبه من مزايا مثل أن يكون على طهارة، وفيه متعة بحسب الميسرة وليس فيه عضل أو خراج من بيت العدة. فوصف الشيء نفسه بالجمال أبلغ من وصف وسائل ذلك الشيء بالجمال.

هكذا يتضح لنا أن خصائص اللغة العربية التي تفوقت بها على نظيرتها الإنجليزية قد مكنت اللسان العربي من أن يكون أبلغ من الإنجليزية في توصيل المعاني القرآنية. إن مرد هذا القصور الإنجليزي في التعبير عن المعنى الشامل للآية القرآنية إلى أن المترجم يورد معنى واحداً من جملة المعاني التي وردت في التفاسير المختلفة للقراءان الكريم، حيث لا يسعه إيراد كل المعاني نسبة لضيق الكلمة الإنجليزية التي – في الغالب – لا تكون (مرادفاً **synonym**) للكلمة العربية. فالكلمة العربية كما رأينا في دراستنا عبر الأبواب السابقة لها دلالات وإيحاءات وظلال واسعة، فالكلمة العربية لها من الخصائص ما يسمى (الاشتراك اللفظي **polysemy**)، أي المعاني الكثيرة للفظ الواحد، بينما نجد أن الكلمة الإنجليزية تعطى معنى واحداً، لا يسع كل المعاني التي تعطيها الكلمة العربية في القراءان الكريم. فمثلاً الطهارة والنجاسة لا تنحصران في النظافة والوسخ على التوالي، ولكن الكلمة

⁽¹⁾ الأحزاب: 49.

الإجليزية تحصر المعنى. ففي قوله تعالى: ﴿ولكن يريد ليظهركم﴾⁽¹⁾، نجد المقابل الإنجليزي: (But to make you clean) فكلمة (clean) لا تفيد الطهارة التي من معانيها: النظافة، التنزيه عن الأذناس، التعقيم، وعدم النجاسة.

مما تقدم في هذا الباب ندرك أن فنيات اللغة العربية والكلمة العربية وعلم التجويد - كل ذلك - يصعب على اللغة الإنجليزية مواكبته ومنافسة العربية فيه. ولهذا تتعدد الترجمات والكلمات الإنجليزية لمعنى الكلمة العربية الواحدة بحسب فهم المترجم وإدراكه، فمثلاً كلمتا (قادر ومقتدر) من أسماء الله الحسنى هما صيغتان مختلفتان من الصفة المشبهة والتي لها نفس الجذر. فنجد (سيل Sale) قد فهم (مقتدر) على أنها (الأكثر فعاليةً most potent)، وفهمهما (رودويل Rodwell) بمعنى (فعال potent) في حين أن (بيكتال Pickthall) ترجمهما إلى (قوى وجبار Mighty)⁽²⁾. وما اختلفوا هذا الاختلاف في الترجمة إلا لضعف ادراكهم ومعرفتهم بروح اللغة العربية وأسرارها التي لم يقف عليها إلا الراسخون في علم العربية من أهلها أنفسهم.

وكما قلنا آنفاً لن نستطيع أن نحصى كل أوجه القصور الإنجليزي في التعبير عن القرءان الكريم. ونحسب أن ما ذكرناه يكفي أن نفتح به الباب لدخول من يريد التعمق في هذا الموضوع.

(1) المائة: 6.

(2) خليفة (د. محمد): الاستشراق والقرءان العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، ترجمات القرءان الإنجليزية، ص 125.

الخاتمة

إن القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية، وعلى قوم هم عرب بثقافتهم وتقاليدهم، ولا شك في ذلك. ولكن بعض الأقلام المغرضة ذوات الأفكار السقيمة قد زعمت أن القرآن الكريم دعوة إقليمية مقتصرة على العرب وحدهم. وحجتهم في ذلك أن غير العرب لا دخل لهم بثقافة العرب وتاريخ وأخلاق العرب، وأن اختلاف الأفكار والثقافات والأعراف والتقاليد - في نظرهم - يقتضى اختلاف الديانات. ونحن لو انسقنا وراء نظرهم الضيق هذا لألزمنا مبشريهم المسيحيين أن لا يحاولوا نشر الديانة المسيحية في الأوساط العربية⁽¹⁾، وذلك لأن المسيحية - بمقتضى حجتهم - لم تنزل باللغة العربية ولم تنزل على العرب. ولكن نظرهم عن محدودية الإسلام يمكن أن يتم تفنيدها بسهولة، ومن داخلهم، أى من عند كتابهم. فدعونا نتأمل الفقرة التالية للكاتب T. W. Arnold حيث يقول فيها:

“It has been a literary commonplace, that the six great religions of the world may be divided into missionary and non-missionary; under the latter head fall Judaism, Brahmanism and Zoroastrianism, and under the former Buddhism, Christianity and Islam”

(1) عدم السماح بالتبشير بالمسيحية في الوسط الإسلامى يرجع إلى هيمنة الإسلام على الديانات كلها وختمها للرسالات السماوية، وليس لأن المسيحية نزلت على غير العرب - بحسب نظرهم العنصرية.

أى أنه يقول: "إنه من المؤلف أديباً أن ديانات العالم الست يمكن أن تقسم إلى تبشيرية وغير تبشيرية، وتحت الصنف الأخير تقع اليهودية، البراهمانية، والزرادشتية، وتحت العنوان الأول تقع البوذية، المسيحية، والإسلام"⁽¹⁾.

كما أن دعواهم بوجوب اقتصار رسالة الإسلام على العرب لا تؤيدها حقائق الأمور - لا دينياً ولا تاريخياً ولا جغرافياً ولا أديباً، وذلك نسبة للآتي من حجج:
فمن ناحية دينية وروحية ينبغي على العبد التسليم لله فيما اختاره الله وشاءه؛ قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾؛ ومن لا يعرف الفرق ما بين حد العبودية وحد الربوبية نذكره بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁽³⁾.

وهذا النموذج الذى أريد به هداية البشرية جمعاء شاءت إرادة الله تعالى أن يجعله من أرض العرب، فالمثال يصاغ من جزء يهتدى به الكل. وهذا لا يقلح فى عالمية الرسالة

(1) ترجمة المؤلف من: Arnold (T.W.) The Preaching of Islam p 1.

ونحن هنا لا يهمنا عدم صحة مذهب البراهمية أو البرهمانية (وهى نظام دينى واجتماعى هندوسى وثنى يقوم على وحدة الوجود والتناسخ) ولا الزرادشتية (وهى ديانة فارسية قديمة أسسها زرادشت الذى ادعى النبوة وتقوم هذه الديانة على الثنوية باتخاذ إلهين أحدهما للخير وآخر للشر) ولا البوذية (ديانة وثنية نشرها فى آسيا الصغرى غواتاما بوذا وهى تنادى بتطهير النفس من الألم عن طريق النرفانا، أى التأمل الباطنى وجلب السعادة عن طريق قتل وتدمير شهوات النفس بالكلية، كما تؤمن بمبدأ التناسخ)، ولكن يهمنا اعتبار الكاتب الإسلام من ضمن الديانات التبشيرية. يلاحظ الخلط وعدم الدقة من جانب الكاتب حيث أنه اعتبر اليهودية ديانة غير تبشيرية وهى توراة سيدنا موسى ﷺ، بينما اعتبر البوذية ديانة سماوية وهى ديانة وثنية.

(2) القصص: 68.

(3) الأنبياء: 23.

الإسلامية. ومن قبل قد رد القرآن الكريم على كفار قريش الذين تمنوا أن لو نزلت رسالة الإسلام على صنديد قريش، قال الله تعالى على لسانهم: ﴿وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾⁽¹⁾.

وما أشبه ادعاء منكرى اليوم بأبائهم الذين قال فيهم القرآن الكريم: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة﴾⁽²⁾.

أما من ناحية تاريخية فنقول:

أولاً: لم يذكر لنا في تاريخ الأديان أن كل أمة قد أرسل إليها رسولها، ليصبح عدد الرسل بعدد الأمم على الأرض، فمعلوم أن معظم الديانات السماوية مثل (رسالة سيدنا إبراهيم عليه السلام، واليهودية، والمسيحية، وأخيراً الإسلام) قد نزلت ما بين الشام والحجاز ومصر، ومع ذلك فقد نشرها أهلها في أوروبا وإفريقيا وآسيا. ثم أن معظم دول العالم اليوم هي دول حديثة لم تكن موجودة بصورتها الحالية في أيام الرسالات السماوية بما فيها رسالة الإسلام (فهناك من القارات ما اكتشف حديثاً، مثل قارة أمريكا). ولقد جاءنا نبأ سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون لعنه الله، ولم يكن فرعون يهودياً من سلالة بني إسرائيل.

ثانياً: "إن فكرة العالمية التي لم تكن موجودة في عهد أنبياء بني إسرائيل كانت صورتها الأولى قد اكتملت قبيل ظهور الإسلام عندما اتصلت حضارات الشرق الأوسط بحضارات الهند والصين وكانت حالة الشعوب واتصالاتها قد أهلتها لأن تتلقى رسالة الإسلام

⁽¹⁾ الزخرف: 31. والرجلان العظيمان - في نظر الكفار - هما الوليد بن المغيرة بمكة والذي مات كافراً،

والآخر عروة بن مسعود الثقفي بالطائف والذي أسلم وحسن إسلامه.

⁽²⁾ المدثر: 52.

التي فرضت على أصحابها أن يمشروا بها وينشروها بين الناس شرقاً وغرباً. تلك كانت الظروف التاريخية التي مهدت لرسالة الإسلام⁽¹⁾.

ثانياً: إن العبرة - كما يقول الفقهاء - بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ويدخل في خصوص السبب أسباب النزول من الملابس التاريخية الدقيقة التي صحبت الآية. بل تبقى العبرة بالمفهوم العام للآية ومدلول ألفاظها التي تكون إما أمراً أو نهيّاً يليق بكل إنسان الامتثال له. وذلك لأن التعاليم الأخلاقية والقيم الاجتماعية والضوابط السلوكية التي جاء بها الإسلام تتفق مع العقل البشري العام. فالخمر - مثلاً - مضرّة بعقل الكافر والمسلم على السواء، والزنا ينتهك حرمة المسلم والمشرک سواءً بسواء. وهذا ما جعل الأعرابي يقول: "إني ما رأيت محمداً يقول في أمر افعل والعقل يقول لا تفعل، وما رأيت محمداً يقول في أمر لا تفعل والعقل يقول افعل"⁽²⁾. فمصالح البشر متفقة، وقد حدد علماء الشريعة هذه المصالح والتي جاء الإسلام لحمايتها في أمور خمسة (هي المحافظة على: الدين، النفس، العقل، النسل، والمال)⁽³⁾. فهل ثمة جنس بشري يتخلى عن هذه الأمور؟ كلا. وقد اعترف بعض مفكرى الغرب بهذا الأساس العقلاني والفكرى لدين الإسلام. فهذا البروفسور (مونتييه Montet) يقول:

"Islam is a religion that is essentially rationalistic in the widest sense of this term considered etymologically and historically. The definition of rationalism as a system that bases religious beliefs on principles furnished by the reason , applies to it exactly."

(1) عبد الظاهر (حسن عيسى): فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية، ص 190.

(2) أبو زهرة (الإمام محمد): تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 225.

(3) نفس المصدر السابق، ص 294.

أى هو يقول: "إن الإسلام إنما هو دين في الأساس عقلائي بكل ما يعنى مصطلح العقلانية بالقياس التاريخي وقياس تطور المصطلحات. إن تعريف العقلانية الذى يعنى تأسيس المعتقدات الدينية على قواعد المنطق ينطبق تماماً على الإسلام"⁽¹⁾.

وفوق هذا وذاك فإن دعوة الرسل كلها واحدة، وإن تكذيب أى رسول يعتبر تكديماً لجميع الرسل منطقياً، إلى هذا تشير كيفية تعبير القرآن عن تكذيب الأمم لرسالتها - الذى يعد تكديماً لكل الرسل، ففى تكذيب نوح يقول: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾⁽²⁾. وفى قوم هود يقول: ﴿كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم هود إلا تتقون﴾⁽³⁾.

وتحدث القرآن الكريم عن وحدة الأصول الدينية فقال: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾⁽⁴⁾. فكل الرسل قد جاءوا بأصول التوحيد ونفى الشرك. قال رسول الله ﷺ: "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)"⁽⁵⁾.

ثالثاً: إن القرآن الكريم قد اتخذ العرب كنموذج مصغر للبشرية لامتيازات يعلم حقيقتها الله عز وجل، وقد نبه الله تعالى على بعضها حين قال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾⁽⁶⁾. فالدين من حيث هو - سواء

(1) ترجمة المؤلف من صفحة 413 من: Arnold (T. W.) The Preaching of Islam

(2) الفرقان: 37.

(3) الشعراء: 123، 124.

(4) الشورى: 13.

(5) الصنعاني (الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام): المصنف، باب فضل أيام العشر، ج 4،

ص 290، حديث رقم 4 / 377.

(6) آل عمران: 110.

كان إسلامياً أم نصرانياً - يعتمد على القدوة والسلوك العملي للمثال المختذى به، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾⁽¹⁾. وبدون هذه القدوة والنموذج يكون القرآن الكريم - وحاشاه - متعالياً على الواقع. بل نقول إن أسباب النزول والوقائع التاريخية التي واكبت نزول القرآن الكريم أو بالأحرى التي واكبها النزول قد صانت التشريع الإسلام عن التصورات والافتراضات التي تفصل أنواع القضايا عن ظروفها الاجتماعية، فلا يكون التقدير في إلحاق الفروع بالأصول على الوجه المطلوب من الصحة، ولذلك "كان الإمام مالك رحمه الله يكره الاجتهاد الافتراضى - أى الفقه التقديرى - ويقول: دعها حتى تقع، إدراكاً منه لكون الافتراض المنبت عن ملابسات الواقع قد يوقع في الخطأ عند تبين الأنواع وإلحاقها بأجناسها"⁽²⁾. فالنص يهيمن على الواقع بالاصلاح، كما أن الواقع يستجلب ورود النص. إن ربط الحكم بحدوث الواقعة - أى ربط النظرية بالتطبيق - هو أجمع في الفهم والتذكر من إنزال النظرية قبل الواقعة في شكل كتاب يحوى الحل قبل حدوث المشكلة. ولهذا نزل القرآن الكريم منجماً ولم ينزل دفعة واحدة.

ولما كانت أكمل الحياة الواقعية وأكثرها احتياجاً للنص وأشدّها استجابة له آنذاك هي حياة العرب فقد نزل القرآن الكريم وذلك عندما كانت أمة العرب تمتلك دون غيرها من الأمم مقومات نشر وتأيد الدعوة الإسلامية؛ وذلك لما للعرب من صفات اجتماعية وأخلاق حميدة تتمثل في نصره المظلوم وإجارة المغلوب على أمره وإيواء ابن السبيل وإغاثة الملهوف وإكرام الضيف والغيرة على المحارم، كل هذه الأخلاقيات كانت لدى العرب في زمن كان فيه الغرب يزرع تحت وطأت التناوش على الدنيا والسير المنحرف اجتماعياً وأخلاقياً.

(1) الأحزاب: 21.

(2) النجار (د. عبد المجيد): خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص 124.

ولهذا خاطب الدين الإسلامى كل البشر بناء على ما وجدته عند العرب من مكارم الأخلاق، ثم انطلق لإكمال هذه الأخلاق بما يتمشى مع صلاح كل الأمم لأنها أخلاق بنيت على ما سبقها من ديانات التوحيد التى أتى بها الرسل السابقون، ولهذا روى عنه ﷺ أنه قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁽¹⁾.

أما من منطلق جغرافى فإننا إذا قرأنا الخريطة الجغرافية للمد الإسلامى نجدها تمتد رقاعها لتشمل كل أقطار العالم، فالإسلام اليوم قد انتشر فى الشرق، الغرب، الشمال والجنوب من الكرة الأرضية. إذاً فعالمية الإسلام تتمثل فى هذا الإطار الجغرافى الواسع لامتداد الدعوة الإسلامية التى تعدت جزيرة العرب. بل كانت سيادة وحكومة العالم الإسلامى قاطبة فى الدولة التركية - وهى غير عربية - لمدة ستة قرون من الزمان هى مدة الخلافة العثمانية لكل المسلمين فى تركيا (1326 - 1922 م).

وأدبياً نقول إن دعوى إقليمية الرسالة الإسلامية يدحضها علم كل منصف يعلم بأن العالمية لدى الأوساط الأدبية كثيراً ما يكون طريقها الإقليمية. وذلك لأن الكاتب الإقليمى يصور بقلمه النوازع البشرية والهواجس الإنسانية التى يشترك فيها كل البشر وإن جاء هذا التصوير فى ثوب إقليمى وزى محلى. وهل تتعارف الشعوب والقبايل إلا بقاسم مشترك بينها من العواطف والأفكار؟ فمن القرية تنشأ المدينة، ومن المدن ينشأ القطر، ومن الأقطار تتكون القارات، والكل يحوى حشداً من البشر يسهل التعرف عليه من بين الكائنات الأخرى، وقد نادى القراءان بهذه الوحدة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

(1) السخاوى (الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، حرف الهمزة، ص 105، حديث رقم 204؛ وقال أورده الإمام مالك فى الموطأ.

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿١﴾.

فالإسلام - وإن نزل بلغة العرب - يحافظ على فردية الشعوب الأخرى التي تعتنق الإسلام ويرعى خصائصها مما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام، وليس أدل على ذلك من اختلاف الفقه الإسلامى وتوسعه فى الأمصار الإسلامية المتعددة حيث نجد تشريعات تختلف باختلاف ظروف كل إقليم. إن عالمية الدين الإسلامى جعلت ازدهار الإسلام وعلومه يتم على أيدى العرب وغير العرب من أسماء العجم الذين حفلت بهم الكتب والمؤلفات الإسلامية.

كما نضيف أن الإسلام لا يطالب الإنسان باتقان اللغة العربية لكى يصح إسلامه وإيمانه. إن تعلم العربية لمجرد قراءة ما تيسر من قرآن الصلاة يكفى المسلم. أما أركان الإسلام الأخرى فلا تحتاج إلى التبحر والتعمق فى معرفة اللغة العربية، ولا تحتاج إلى التعمق فى الدين. فخلاصة الدين الإسلامى فى شهادة: "أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"؛ قال رسول الله ﷺ لرجلٍ: "ما تقول فى الصلاة؟" قال أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار. أما والله! ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. قال ﷺ: "حولها ندندن" (2). إن هذا التعمق فى اللغة والثقافة العربية فرض كفاية يقوم به - حتى فى الأوساط العربية نفسها - العلماء الذين يحفظ الله بهم حدود دينه ويحصن الغوغاء من فتن المدلسين والمتفیهقين. فاكتماب العلم والتبحر فيه تقوم به طائفة معينة من علماء المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وما

(1) الحجرات: 13.

(2) ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى): سنن ابن ماجة، ج 2، 34 كتاب الدعاء، 4 باب الجوامع من الدعاء، ص 1264، حديث رقم 3847.

كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴿١﴾.

وحتى تعلم اللغة العربية والثقافة العربية فهو من السهولة بمكان. فتاريخ العلوم يشهد على أن الذين برعوا في اللغة العربية، بل والذين اسسوا فيها المدارس النحوية جلهم من أصول غير عربية أو نشأوا في بلاد غير عربية أمثال: سيويوه، ابن جنى، أبو على الفارسي، يونس بن حبيب، أبو سعيد الحسن السيرافي، وغيرهم.

أما جهاد النفس واصلاحها وحملها على فعل الخير فهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولا يغني فيه أحد عن أحد، وقد اكتفى الأعرابي في هذا الخصوص بالتزامه بتطبيق قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (٢).

وخير ما نختتم به الدليل على عالمية الرسالة الإسلامية هو أن القرآن الكريم - لإثبات التوحيد والدين - قد أتى بقياسات منطقية من استقراء واستنتاج وتمثيل كانت هي أكبر شاحذ لهمم المسلمين الذين استفادوا منها في تنظيرهم وتفكيرهم كما يلي:

أ) أنشأوا علم أصول الفقه الذي هو علم إسلامي بحت، وقد وضع علماءه أسس المنهج التجريبي في مباحثهم في القياس الأصولي والعلة وتنقيح المناط والسبر والتقسيم، وكان له بالغ الأثر في مناهج العلوم حيث تأسس على المشاهدة والتجربة.

ب) على ضوء أبحاثهم الأصولية ابتكروا فكرة العلية أو قانون العلة، فحكم التحريم في الخمر معلول بالإسكار. وابتكروا قانون الاطراد في وقوع الحوادث، أي القطع بأن علة الأصل موجودة في الفرع، فإذا وجدت أنتجت نفس المعلول. ومن هنا فقد بنى "جون

(١) التوبة: 122.

(٢) الرزلة: 7، 8.

استيورت مل " استقراءه العلمى الذى يصل به إلى العلاقات الثابتة، أى إلى القانون الطبيعى. كما أخذ كل من " روجر بيكون وكبلر " بمبدأ الاستقراء والاعتماد على المشاهدة والتجربة من الحسن بن الهيثم⁽¹⁾. فكل تلك المعارف التى يدين فيها الغرب للمسلمين كان منبعها القرآن الكريم الذى قوم تفكير العرب وأفادهم بأساليب المنطق والتحليل العلمى. فأخذت شعوب الغرب ثم بقية العالم من علم المسلمين. وبهذا يكون القرآن الكريم قد جاء فتحاً علمياً للناس أجمعين. وقد شهد بهذا الأثر الإسلامى مفكرو وعلماء الغرب أنفسهم؛ فالمفكر الألمانى ليوبولد فايس يؤكد بأن "مدنية المسلمين نقلت إلى أوربا كثيراً من الاختراعات الصناعية والفنية ذات الطبيعة الثورية، وأكثر من هذا مبادئ تلك الطريقة العلمية نفسها التى يركز عليها العلم الحديث والمدنية الحديثة"⁽²⁾.

"وكون القرآن الكريم عربياً لا ينافى أن يكون باعتبار (مدلوله) كتاب البشرية كلها فالوصف بالعربية ليس وصفاً لتعاليمه وإنما وصف للغة التى نزلت بها تلك التعاليم. ولم ينزل القرآن باللغة الأخرى لأنه ليس من الممكن عقلاً أن تتعدد نسخة فى لغات مختلفة لأن ذلك يقتضى أن ينزل فى كل لغة يتكلم بها أى شعب من شعوب العالم التى لا يحصيها العد ولا يضبطها الحصر فضلاً عن تطور هذه اللغات كل حين ويُعدها عن أصولها التى كانت عليها"⁽³⁾.

(1) حلمى (مصطفى): مناهج البحث فى العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب، ص 64.

(2) (المركز العالمى لأبحاث الإيمان - الخرطوم): مجلة أبحاث الإيمان، دار هایل للطباعة والنشر والتغليف - بالخرطوم، العدد الثالث، ص 104.

(3) عبد الظاهر (حسن عيسى): فصول فى الدعوة والثقافة الإسلامية، ص 195.

لقد وجد القرءان الكريم في اللغة العربية الوسيلة الناجعة لنقل الأفكار والمعتقدات الإسلامية، وذلك نسبة لتوفر الخصائص التي تتمتع بها اللغة العربية من بين سائر اللغات، وقد مر بنا الكثير من هذه الخصائص في هذا الكتاب.

وأبرز هذه الخصائص هي تأدية المعنى بدلالة النحو. (يقال أن أبا يوسف يعقوب ابن إسحق "الكندى" ركب إلى أبي العباس المبرد، وقال له: "إني أجد في كلام العرب حشواً"، فقال له أبو العباس: "في أى موضع وجدت ذلك؟" فقال: "أجد العرب يقولون: عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم. الألفاظ متكررة والمعنى واحد"، فقال أبو العباس: "بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن انكار منكر. فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني" (1). وذكر ابن خلدون في مقدمته: "إن الأول العارى عن التأكيد إنما يفيد الخالى الذهن، والثاني المؤكد ب (إن) يفيد المتردد، والثالث يفيد المنكر، فهي مختلفة" (2).

أما عند الإنجليز فإن المعنى وتأكيد أو عدم تأكيده يختلف بتغير الصوت عند الكلام، وهو ما علمناه من ال (intonation) في الباب السادس.

فالعرب بتدقيقهم في علم النحو كانوا أكثر إبانة وأرصف فكراً. بل إن ما يعطينا علم النحو من القوانين والألفاظ يمهد لعلم المنطق أن يعطينا نظيره من المقولات. فمثلاً هنالك تقارب بين الاسم العلم في اللغة العربية وبين الجوهر بالمدلول المنطقي، إذ كلاهما

(1) الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، ص 22.

(2) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، الفصل الخامس والأربعون، في علوم اللسان، باب البيان، ص 474.

موصوف، ولا يكون صفة. كما أن ثمة تقارب بين صيغة الجملة الاسمية في اللغة العربية وبين صورة القضية الحملية في المنطق⁽¹⁾.

يقول التوحيدى على لسان السجستاني: "النحو منطوق عربي، والمنطق نحو عقلي. وجل نظر المنطق في المعاني، وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ التي هي كالحلل والمعارض. وجل نظر النحو في الألفاظ، وإن كان لا يجوز ولا يسوغ له الإخلال بالمعاني التي هي كالحقائق والجواهر"⁽²⁾. وهذه النزعة المنطقية الكامنة في نحو اللغة العربية هي التي مكنت القراء الكريم من خطاب العرب بأسلوب منطقي وحوار فلسفي لإثبات العقيدة.

فقد ناقشهم القراء الكريم بأسلوب (الاستقراء **induction**) الذي يقوم على المشاهدة ورصد الأحداث ثم التوصل بها إلى القانون العام، فلفت القراء الكريم انتباه العرب إلى مخلوقات الله في الكون ودقة صنعها؛ قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت﴾⁽³⁾.

وناقشهم القراء الكريم بأسلوب (الاستنتاج **deduction**) المتضمن في الشرط وجوابه، أو في القياس الذي يأتي كنتيجة لحدوث الشرط والوقائع و(المقدمات المنطقية **premises**) فقال لهم: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

(1) زيدان (د. فهمي): في فلسفة اللغة، ص 172.

(2) نفس المصدر السابق، ص 174.

(3) الغاشية: 17، 18، 19، 20. الأفعال: (خلقت، رفعت، نصبت، سطحت) مبنية للمجهول لتفيد أن هذه المخلوقات لم تفعل هذا التكوين الحاصل لها بنفسها، وإنما فُعِلَ لها بفعل فاعل هو خالقها الذي لم يذكر صراحة في جملة المبني للمجهول لأنه موضوع البحث والمطلوب إثباته عن طريق التفكير في هذه المخلوقات وما فُعِلَ بها.

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴿١﴾.

وجادلهم القرآن الكريم بأسلوب جمع فيه بين القوى الانفعالية (العاطفية sentimental) والقوى الفكرية (المنطقية logical)، وهاتان قوتان متضادتان . أى جمع فيه بين انفعال الأحاسيس الوثابة، وبين رتابة المنطق المتأنى. فالمثار المنفعل لا يرضخ للعقل وردع المنطق، كما أن صاحب المنطق المتحرى التؤدة لا ينجرف خلف الانفعالات الفالته. فجمع القرآن الكريم بين المتضادين، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدةً ميتاً كذلك الخروج﴾ (٢).

فعبارة (أفلم ينظروا) استفهامية، أى هى جملة إنشائية، ومعلوم أن الإنشاء يخلق الحركة والتوتر ويتميز بروح حوارية تصلح للأخذ والرد والمجادلة. هذا بخلاف الجملة الخبرية والتي تفيد التقرير والبت فى الأمر. فكأنما قال لهم: "هلا انظروا! ولماذا لا ينظرون؟ وكيف ينظرون؟"، أى خاطبهم بالاستفهام الذى يشحذ همهم ويستنكر عليهم ركونهم لعدم النظر. ثم خاطبهم بالجملة الخبرية التى تسكن قلقهم وتقرر لهم الحقائق الفكرية: (الأرض مددناها، وألقينا فيها رواسي)، ودعاهم للتأمل وإحساس الجمال والمتعة: (زوج بهيج)، ثم أعلمهم الغرض من كل هذا الحشد من الدعوات، وهو أن يتبصر المرء ويعرف خالقه ويذكره: (تبصرة وذكرى)، ثم استعطفهم بشحنة الرحمة التى حباهم بشمارها، وهى رزقه

(١) البقرة: 23، 24.

(٢) ق: 6، 7، 8، 9، 10، 11.

للعباد. وكل هذه الشواهد التي ساقتها الآيات تدل على مقدرة الخالق على البعث وإخراج العباد من أجدانهم: (كذلك الخروج). فهذا أسلوب كما ترى مشحون بالعاطفة وعبارة اللطف والتلطف بالخلق: (السماء بنيناها فوقهم) أى وقاية لهم، (رزقاً للعباد) أى هيأنا لهم سبل العيش. كما أنه في ذات الوقت أسلوب يجرى على أسس منطق الاستقراء، وهو الخروج من الحوادث الكثيرة المذكورة بحقيقة عامة مؤداها مقدرة الله تعالى على بعث الخلق ومحاسبتهم، وذلك بمنطق: (من استطاع إحياء البلد الميت، كذلك يستطيع أن يحيى العظام البالية في قبورها).

وفي آيات أخرى يزواج القرءان الكريم بين الأسلوب الانفعالي وأسلوب المنطق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾⁽¹⁾. هجم عليهم بالسؤال الذى نبههم فيه على حجمهم الصغير مقارنةً بمخلوقاته عز وجل الكبرى كالسماء المرفوعة فوقهم. ثم أخبرهم وعدد أفعاله ونعمه عليهم مثل بسط الأرض وإخراج المرعى وإرساء الجبال، ثم استعطفهم بقوله بأن كل ذلك قد خلقه الله وسواه من أجل إسعادهم ومتعتهم: (متاعاً لكم ولأنعامكم)، ثم خوفهم بقوله: (فإذا جاءت الطامة الكبرى). فجعل يحركهم إليه بلطف، ويخوفهم بهزات الوعيد، حتى يكونوا بين خوف منه ورجاء له.

وعندما تكون الحججة واضحة وبينية، لا لبس فيها ولا غموض، يجادلهم القرءان الكريم بأسلوب تلقين الحججة، حيث يكون كل المطلوب هو أن يقول المرء ويردد ما أمر بتردده. وهذا الأسلوب من أهم الحجج الدينية، لأن الذكر والعبادة أمر توقيفى من الشارع.

(1) النازعات: 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34.

ففى هذا النوع من الحجج نجد قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿قل لمن ما فى السماوات والأرض قل لله﴾⁽²⁾.

وفى هذا الأسلوب التلقينى دلالة واضحة على صدق النبوة، لأن المخاطب - وهو الرسول ﷺ - لا يقول بالوحي من عند نفسه، بل يأتيه الوحي من الله تعالى، فيقول له: (قل)، فيقول.

أما التحدى الأكبر والحجة العظمى التى هى موضوع كتابنا هى أنه لما رمى كفار قريش الرسول ﷺ بتهمة تلقى القرآن الكريم من مصادر أجنبية، نزل قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾⁽³⁾. فردّ عليهم القرآن الكريم وأفحمهم بحقيقتين أساسيتين هما:

أولهما: إن ما اتهموه به من مصدر أجنبى يتلقى به الرسول ﷺ هذا القرآن هو لسان ولغة أعجمية، والعجمة معناها فى اللغة العربية عدم الوضوح والإبانة، أى أن هذا اللسان الأجنبى غير فصيح، ولا يمكنه إعراب المعنى وإبانته، وهذه التهمة بالعجمة لم يقدر اللسان الإنجليزى - باعتباره لسان أعجمى - على تفنيدها كما مر بنا فى هذا الكتاب.

ثانيهما: إن اللسان الوحيد الذى يمكنه أن يحمل معانى القرآن الكريم فى غاية الوضوح والإبانة والفصاحة هو اللسان العربى، وعبارة (لسان عربى مبين) التى وردت فى الآية هى مدح فى وجه المفاضلة بين لسان العرب واللغات الأخرى، وهى انتصار للسان العربى، ولا تفيد معنى أن هنالك لساناً عربياً مبيناً وآخر عربياً غير مبين. ولقد اتضح لنا فى هذه

(1) الإخلاص: 1.

(2) الأنعام: 12.

(3) النحل: 103.

الدراسة كم استغل القرءان الكريم خصائص اللغة العربية فأورد المعاني بأبلغ ما يكون العرض وأدق ما يكون البيان والإفصاح.

ولكن يبقى السؤال الأساسي، وهو: إذا كان اللسان العربي لساناً مبيناً بفطرته وتكوينه الإلهي، فلماذا أعجز القرءان الكريم كل العرب عن الإتيان بمثله ولو سورة واحدة؟! إن إعجاز القرءان الكريم للعرب يكمن في أن القرءان استخدم هذه الوسيلة التعبيرية - أى اللغة العربية - بكل جمالياتها وأساليبها المبدعة، استخداماً بصورة مذهلة، معجزة، فيها من المقدرات البلاغية ما لا يمكن أن يأتى بمثله قلم بشرى. فالعرب يستطيع كاتبهم أن يأتى بالجملة وفيها من البلاغة والبديع الشئ المذهل، ولكنه لا يستطيع أن يضمّن هذه الجملة جُلّ البلاغة والبيان كما فعل القرءان الكريم. إن العربي - وهو متحدث بلغة القرءان الكريم على سجيته - لا يستطيع نقل أبعاد النص القرءاني وإمكاناته الكامنة فيه، وليس أدل على ذلك من هذا البحر المتلاطم الأمواج المكون من التفاسير العديدة منذ مقاتل والطبرى وحتى مفسرى اليوم، وكلهم يحاولون مجرد تقريب المفاهيم القرءانية. فهل تنجح اللغة الأعجمية في الترجمة التفسيرية للقرءان الكريم؟

بل إن التحدى القرءاني وقع على كافة اللغات. قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾⁽¹⁾. وكافة الإنس والجن لهم لغات مختلفة يتواصلون بها. فالتحدى القرءاني موجه لكل اللغات.

واللغة الإنجليزية باعتبارها لغة ذات وزن عالمي يشملها هذا التحدى بصورة أساسية. ترى هل صمدت اللغة الإنجليزية أمام هذا التحدى؟ هذا ما قصدنا أن نبينه في هذا الكتاب. فقمنا بمقارنتها مع اللغة العربية، وأثبتنا لها بعض جوانب الجمال والفصاحة مما

(1) الإسراء: 88.

يؤهلها للدخول في حلبة المنافسة. غير أن غلبة جوانب القصور فيها قد تعدت بما عن الصمود أمام هذا التحدي، فلم تثبت أقدامها في حلبة الإبداع القرآني. وقد اعترف بهذا القصور أهل اللغة الإنجليزية أنفسهم. فهي هو المستشرق (كريتزك **Kritzeck**) يقول: "لا تستطيع أية ترجمة إلا نقل أقل القليل مما يحرك قلوب الرجال ويجعلهم يذرفون الدمع عند إنصاتهم للقرآن"⁽¹⁾، هذا بخصوص ترجمة القران الكريم ونقله من العربية إلى الإنجليزية، فكيف بخصوص الإتيان بقرآن مثله⁽²⁾؟ هيهات، هيهات. وقد أدرك بعض المستشرقين صعوبة ترجمة القران الكريم إلى غير العربية. ولذلك - تخرجاً من تسمية ما كتبه قرآناً - فقد سموا كتاباتهم كما يلي: (بيكتال **Pickthall**) أطلق على كتابه: (معنى القران العظيم **The Meaning of the Glorious Qura-an**)، في حين أن (آربري **Arberry**) أطلق على ترجمته تسمية: (تأويل القران **The Qura-an Interpreted**)، وحتى الأستاذ عبد الله يوسف على، فإنه وإن أطلق على ترجمته اسم: (القران المقدس **The Holy Qura-an**) إلا أنه شفع هذه التسمية بعبارة تحتها وهي: (ترجمة النص مع التعليقات **Text Translation and Commentary**)، وهكذا من التسميات التي يعترف كتابها بأن ما كتبه ليس مطابقاً للقران الكريم باللغة العربية.

إن الترجمة الحرفية تعني نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من ألفاظ اللغة الأخرى، بحيث يكون النظم موافقاً للنظم، والترتيب موافقاً للترتيب. يقول الأستاذ مناع القطان:

(1) خليفة (د. محمد): الاستشراق والقران العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، ص 29.

(2) من هنا ندرك وهن دعوى الكفار بأن النبي ﷺ قد تلقى القران الكريم من اللسان الأعجمي، فكيف بلسان غير مبين المعاني أن ينقل معاني القران الواسعة؟ وقد دحض القران الكريم دعوى الكفار، وذلك بقوله تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ - النحل: 103.

"الذين على بصر باللغات يعرفون أن الترجمة الحرفية لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه، فإن خواص كل لغة تختلف عن الأخرى"⁽¹⁾.

أما الترجمة التفسيرية أو المعنوية بمعنى نقل المعاني الأصلية دون الثانوية، أى نقل أمهات الأحكام والمعاني فلا بأس بها. ولكن كل هذه الترجمات لا تعتبر قرءاناً ولا تفيد معنى كلام الله الأصلي المتعبد بتلاوته، فذلك لا يصح إلا بالقرءان الذى أنزله الله تعالى باللغة العربية.

إن إخفاق اللغة الإنجليزية في هذا التحدى وقع عليها من جهة القصور الخاص بها، أى الكامن في هذه اللغة، والذى يعجز عن منافسة اللسان العربى المبين.

إننا في دراستنا للنصوص القرءانية باللغة الإنجليزية قد اعتمدنا على مصحف مجمع الملك فهد بالسعودية، وهذا المصحف بدوره قد اعتمد كثيراً على ترجمة عبد الله يوسف على. وقد جاء في مصحف مجمع الملك فهد الإنجليزي الاعتراف التالى: "ولا بد من التسليم أولاً بأن القرءان العظيم لا يمكن أن تترجم جميع معانيه لأية لغة ولا يمكن أن تكون الترجمة قرءاناً باللغة الأجنبية لأن القرءان معجز بلفظه ومعناه..... وحيث أن بعض الألفاظ العربية مثل الزكاة وغيرها لا يمكن ترجمتها ترجمة تؤدى المعنى الصحيح فى الإسلام، لهذا فضلت اللجان أن تبقى هذه الألفاظ كما هى فى اللغة العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية...."⁽²⁾. ولنفس السبب من صعوبة الكلمة العربية وغرابتها على اللغة الأجنبية يرى الدكتور محمود العزب: "... من الألفاظ ما يعتبر من مفاتيح هذه الحضارة- أى العربية - ولا نظير لها مقابلاً فى اللغات الهندوأوروبية مثل: بحيرة وسائية، ووصيلة وحام،..... ومثل هذه

(1) القطان (متاع خليل): مباحث فى علوم القرءان، ص 313.

(2) القرءان الكرم وترجمة معانيه وتفسيره إلى اللغة الإنجليزية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المقدمة، ص 1، 2.

الكلمات تفرض على المترجم أن يكتبها كما هي بالحروف اللاتينية، ثم يضع لها هوامش تشرح ما قاله المفسرون العرب المسلمون⁽¹⁾.

وفي ذات الإطار يقول الدكتور محمد خليفة: "فغالبية هذه الترجمات مقتضبة ومصحوبة بملاحظات توضيحية ضرورية لتثبيت الترجمات الحرفية وتقويتها، ولا شك أن هذه الطريقة قد تخون الأصل وتجور عليه، ومن ثم فهي تجور على القراء، ذلك أن الثروة الضخمة من المعاني التي تحملها أية كلمة عربية تتحول إلى ظل شاحب ضيق المعنى، يرمز إليه بالكلمة الإنجليزية المقابلة التي ينتخبها المترجم، وعلى ذلك لا يمكن للصورة الناتجة أن تعطي شيئاً من الإنطباعات الظاهرة للعيان، والناتجة عن الأفكار غير العادية والغنية التي توصل إليها المفسرون، والمشاعر الروحية المعبر عنها في الأصل العربي"⁽²⁾.

ومن قبل قال ابن فارس: "قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقدير، والتأخير، وغيرها من سنن العرب في القراءان فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجع على أن ينقله إلى شيء من الألسنة.... لأن العجم لم تتسع في الجحاز اتساع العرب"⁽³⁾.

ولهذا نقول لا ضير أية ترجمة إنجليزية للقراءان الكريم اعتمدنا عليها في هذا الكتاب، فالنتيجة هي أن كل الترجمات الإنجليزية على اختلاف كتابها ومترجميها تظل غير وافية بمعاني النص العربي للقراءان الكريم نسبة لمكمن العجز البلاغي في اللغة الإنجليزية نفسها.

(1) العزب (دكتور محمود): إشكالية ترجمة معاني القراءان الكريم، ص 47.

(2) خليفة (د. محمد): الاستشراق والقراءان العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، ص 20.

(3) ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد): الصحاح، باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها،

نتيجة البحث:

خلصنا في هذا البحث إلى صدق ما افترضناه في المقدمة بأن اللغة الإنجليزية لا يمكنها حمل معاني القراءان الكريم. وقد وصلنا إلى هذه النتيجة عبر مقارنة بين اللغتين - العربية والإنجليزية مؤكدين الاختلاف الكبير في أساليب التعبير وتباين المفردات. وشفعنا أقولنا باعترافات بعض الكتاب الإنجليز أنفسهم بتفوق اللغة العربية وقصور لغتهم الإنجليزية. كما شهدت لنا بهذه النتيجة الترجمات العديدة للقراءان الكريم في اللغة الإنجليزية. فإن كانت هذه الترجمات للمعاني العربية الجاهزة قد استعصت على الإنجليزية، فكيف للغة الإنجليزية أن تأتي بقراءان جديد؟ ونحسب أن ما توصلنا إليه يشكل نتيجة أولية تقبل التطوير والتعميق بأقلام أوسع تفحصاً وأعمق رؤية منى.

أجل إننى في هذا الكتاب حاولت إثبات حقيقة هذا العجز في اللسان الإنجليزي، فإن حالفنى التوفيق في إيراد الحجة البينة فبالله التوفيق وله الحمد، وله الثناء على ما أولانى من نعمة اطلاق جوادى في حظيرة - رغم وعورتها - رجوت أن أخرج منها بصيد ثمين. ويقىنى أنها دراسة شائكة المسالك ، وعرة الدروب ، وأنها تحتاج - كما قلت سابقاً - إلى أقلام شتى تبسط القول هنا وهناك، وإلى تناول أعمق من أن يطاله قلم واحد. فالأمر يتعلق بالقراءان الكريم الذى لا تنقضى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. لهذا فإننى لا أدعى الإتيان في هذا الكتاب المتواضع بما لم تستطعه الأوائل من القول الجامع المانع، والدر الناصع، فالكمال لله وحده.

فإنى لأرجو قبول العمل من رب كريم يقبل اليسير ويغفر الذلل والتقصير.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

والحمد لله بدءاً وختماً، وصلى الله وسلم على مولانا وحبينا وسيدنا محمد ذاتاً ووصفاً واسماً وعلى آله وصحابه ذوى القدر العلى الأسمى.

أولاً: المراجع العربية

(أ): القرآن الكريم والحديث الشريف

- 1- القرآن الكريم
- 2- البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخارى، دار السلام للتوزيع والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1417 هـ / 1997 م.
- 3- مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري): صحيح مسلم (بشرح النووي)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411 هـ / 1990 م.
- 4- ابن ماجة (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني): سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 5- الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): سنن الترمذى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1415 هـ / 1995 م.
- 6- النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب): سنن النسائى دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1421 هـ / 2001 م.
- 7- أبو داود (الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى): سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ / 1998 م.
- 8- ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني): مسند الإمام أحمد، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004 م.
- 9- الحاكم (الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى): المستدرک على الصحيحين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421 هـ / 2001 م.
- 10- الدارمى (الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن): سنن الدارمى، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420 هـ / 2000 م.

- 11- الهيثمي (الحافظ نور الدين على بن أبي بكر بن سليمان): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ / 2001 م .
- 12- الصنعاني (الإمام عبد الرزاق بن همام): المصنف، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ / 2000 م .
- 13- السخاوي (الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1412 هـ / 1991 م .

(ب) : المؤلفات العامة

- 1- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1377 هـ .
- 2- ابن جنى (أبو الفتح عثمان): الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت .
- 3- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت .
- 4- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .
- 5- ابن عجيبة الحسني (الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، القاهرة، 1419 هـ / 1999 م .
- 6- ابن عجيبة الحسني (الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد): الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1428 هـ / 2007 م .
- 7- ابن عري (الشيخ محي الدين): الفتوحات المكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414 هـ / 1994 م .

- 8- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الثانية، 1414 هـ / 1994 م.
- 9- ابن علوى (السيد محمد السيد): القواعد الأساسية في علوم القرآن، مطابع سحر، الطبعة الأولى، 1419 هـ.
- 10- ابن فارس (الإمام أبو الحسين أحمد): الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ / 1997 م.
- 11- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب): تفسير القرآن العظيم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1423 هـ / 2002 م.
- 12- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصارى): شرح شذور الذهب، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1990 م.
- 13- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصارى): شرح قطر الندى وبل الصدى، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الحادية عشرة، 1383 هـ / 1963 م.
- 14- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب): السيرة النبوية، دار القلم، بيروت.
- 15- أبو زهرة (الإمام محمد): تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 16- أبو طالب المكي (محمد بن علي بن عطية الحارثي): قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1995 م.
- 17- الآمدى (سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم): المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1413 هـ / 1993 م.
- 18- الأنطاكى (محمد) : المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الرابعة.

- 19- الباقلائي (أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم): إعجاز القرآن، "مطبوع على هامش كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي"، دار الفكر، بيروت، 1368 هـ.
- 20- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى): دلائل النبوة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ / 1997 م.
- 21- التجيبي (أبو يحيى محمد بن صمادح): مختصر تفسير الطبري، دار الفجر الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، 1422 هـ / 2001 م.
- 22- الجرجاني (السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي): التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424 هـ / 2003 م.
- 23- الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمن بن محمد): دلائل الإعجاز، دار قتيبة.
- 24- الحفيان (الشيخ عبد المحمود الشيخ الجيلي): سلسلة موسوعة نظرات في التصوف الإسلامي، ج 3، البيعة والسماع، مطابع العملة، الخرطوم، ط الأولى، 2001 م.
- 25- الحلبي (الإمام العلامة علي بن برهان الدين): السيرة الحلبية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 26- الدحداح (أنطوان): معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات، مكتبة لبنان، الطبعة الحادية عشرة، 2001 م.
- 27- الدميري (الشيخ كمال الدين): حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- 28- الزجاج (أبو إسحق إبراهيم بن السري): معاني القرآن وإعرابه، دار الحديث، القاهرة، 1424 هـ / 2004 م.

- 29- الزرقاني (الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد): شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، طبعة عام 1398 هـ / 1978 م.
- 30- الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): الكشاف، دار المعرفة، بيروت.
- 31- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد): مفتاح العلوم، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.
- 32- السيد (عبد الرؤوف بابكر): المدارس العروضية في الشعر العربي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1394 هـ / 1985 م.
- 33- السيوطي (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1368 هـ.
- 34- السيوطي (أبو بكر عبد الرحمن جلال الدين): المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الجليل، بيروت.
- 35- الشعراوي (الشيخ محمد متولى): أحكام الزواج والطلاق والخلع، المكتبة التوفيقية، طبعة 1420 هـ / 2000 م.
- 36- الصابوني (محمد علي): صفوة التفاسير، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ.
- 37- الصاوي (أحمد بن محمد): حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1414 هـ / 1993 م.
- 38- الصاوي (أحمد بن محمد): شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الخامسة، 1428 هـ / 2007 م.
- 39- الصدر (محمد باقر): فلسفتنا مجمع الشهيد الصدر العلمي الثقافي، بغداد، الطبعة الثانية، 1408 هـ.

- 40- العراقي (الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ابن أبي بكر): المغنى عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، "مطبوع على هامش إحياء علوم الدين للغزالي"، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1400 هـ / 1982 م.
- 41- العز (عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم): زيد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز، مكتبة تاج، طنطا، مصر، طبعة 1995 م.
- 42- العزب (د. محمود): إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم، نضضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، إبريل 2006 م.
- 43- العقاد (عباس مصطفى محمود): ابن الرومي - حياته من شعره، المكتبة العصرية، بيروت، 1402 هـ / 1982 م.
- 44- العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين): التبيان في إعراب القرآن، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ / 1987 م.
- 45- الغراب (محمود محمود): شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية، مطبعة نضر، دمشق، الطبعة الثانية، 1413 هـ 1993 م.
- 46- الغزالي (الإمام أبو حامد محمد بن محمد): إحياء علوم الدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1400 هـ / 1982 م.
- 47- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد): المستصفى، دار الفكر للطباعة والنشر.
- 48- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ / 2003 م.
- 49- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري): الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1421 هـ / 2000 م.

- 50- القشيري (الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري): تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ / 2000 م.
- 51- القضماني (د. رضوان): علم اللسان، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، 1984 م.
- 52- القطان (مناع خليل): مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، 1402 هـ / 1982 م.
- 53- المجذوب (عبد الله الطيب): المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، بيروت، الطبعة الأولى، 1955 م.
- 54- المهدي (السيد محمد عقيل بن علي): دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية.
- 55- النجار (د. عبد المجيد): خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، بحث في جدلية النص والعقل والواقع، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1425 هـ / 2005 م.
- 56- الندوي (محمد نعمان الدين): خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، 1426 هـ / 2005 م.
- 57- الهاشمي (السيد محمد بن أحمد): التوضيحات الجلية في شرح المقدمة الآجرومية، الدار السودانية للكتب، 1418 هـ / 1998 م.
- 58- الهاشمي (السيد محمد بن أحمد): ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، 1399 هـ / 1979 م.
- 59- أمين (بكري شيخ): التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، 1399 هـ / 1979 م.

- 60- بالى (مرفت عزة): أفلوطين والنزعة الصوفية فى فلسفته، مكتبة الأبحلو المصرية، القاهرة، 1991 م.
- 61- بدوى (د. عبد الرحمن): مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 2005 م.
- 62- بسج (الأستاذ أحمد حسن): ديوان البوصيرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ / 2001 م.
- 63- ثعلب (أبو العباس): شرح ديوان الخنساء، دار الكتاب العربى، بيروت، طبعة 1429 هـ / 2008 م.
- 64- جهامى (د. جيران): الاشكالات اللغوية فى الفلسفة العربية، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، 1994 م.
- 65- حسن (د. حسن إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسى - الدينى - الثقافى - الاجتماعى، دار الجليل، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، 1422 هـ / 2001 م.
- 66- حلمى (د. مصطفى): مناهج البحث فى العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1426 هـ / 2005 م.
- 67- خاطر (سليمان يوسف): اللغة العربية للباحثين بها، أمدرمان، الطبعة الثانية، 1424 هـ / 2003 م.
- 68- خليفة (د. محمد): الاستشراق والقرءان العظيم، ترجمة مروان عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414 هـ / 1994 م.
- 69- دعاس (عزة عبيد): فن التجويد، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة التاسعة، 1408 هـ / 1988 م.
- 70- دك الباب (جعفر): نحو نظرة جديدة إلى فقه اللغة، الأهالى للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 1989 م.

- 71- زكريا (دكتور ميشال): الألسنية - علم اللغة الحديث - المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر - بيروت.
- 72- زيدان (د. محمود فهمي): فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت.
- 73- سلام (د. محمد زغلول): أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1861 م.
- 74- سلطان (د. منير): مناهج في تحليل النظم القرائن، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990 م.
- 75- سوسر (فردناند دي): علم اللغة العام، ترجمة د. يونيل يوسف عزيز، المكتبة الوطنية، بغداد، الطبعة الثانية، 1988 م.
- 76- سيرل (جون): العقل واللغة والمجتمع - الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغنامي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 1427 هـ / 2006 م.
- 77- شوشة (فاروق): جمال العربية، مجلة العربي، عدد 52، عن الطبعة الأولى، 2003 م.
- 78- ضناوى (محمد أمين): المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ / 1999 م.
- 79- عبد الظاهر (حسن عيسى): فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1401 هـ / 1981 م.
- 80- عبد القادر (د. محمد أحمد): ملامح الفكر الإسلامى بين الاعتدال والغلو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، طبعة عام 1996 م.
- 81- عبد القادر (د. محمد أحمد): الإلهيات في الفكر الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 1996 م.
- 82- عبد الله (الشيخ محمد المبارك): في مفهوم الإسلام والإيمان والإحسان، مصلحة الثقافة، الخرطوم، الطبعة الأولى، 1407 هـ / 1986 م.

- 83- على الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة للمدارس الثانوية السودانية، دار المعارف، القاهرة، 1992 م.
- 84- قاسم (أ. د. عون الشريف): قاموس اللهجة العامية في السودان، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، الطبعة الثالثة، 2002 م.
- 85- ليونز (جون): نعوم تشومسكى، ترجمة د. بابكر عمر عبد الماجد، المعهد الإسلامي للترجمة، الخرطوم، 1997 م.
- 86- مؤقت (د. أحمد): علم الترجمة، مشكلات دلالية، دار القلم العربي، دمشق، الطبعة الأولى، 1418 هـ / 1997 م.
- 87- مجهول (د. فيصل غازي): تحليل اللغة في رسالة فتحنشتاين المنطقية الفلسفية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009 م.
- 88- محمد عبد الغنى ومجد محمد الباكير: اللغة العربية (ثقافة عامة).
- 89- محمد (د. سلمى): كتاب اللغة العربية.
- 90- مذكور (إبراهيم مصطفى وآخرون): المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا.
- 91- موسى (عبد الرازق بن على بن إبراهيم): الفوائد التجويدية في المقدمة الجزرية، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1418 هـ / 1997 م.
- 92- هلال (عبد الغفار حامد): أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1416 هـ / 1996 م.
- 93- هلال (د. عبد الغفار حامد): علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلأوى، شبرا، مصر، 1406 هـ / 1986 م.
- 94- وافي (د. على عبد الواحد): علم اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- 95- وافي (د. على عبد الواحد): فقه اللغة، دار نهضة مصر، القاهرة.

- 96- وهبه (مجدى وآخرون): معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984 م.
- 97- وهبة (دكتور مراد): المعجم الفلسفى، دار قباء الحديثة، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2007 م.

ثانياً: المراجع الإنجليزية

- 1- Arnold (T. W.): The Preaching of Islam, Adam Publishers, New Delhi, 2002.
- 2- Bucaille (Dr. Maurice): The Bible, the Qur'an and Science, Rightway Publications, Delhi, 2004.
- 3- Concise English-Chinese Medical Dictionary, Oxford University Press, 1st published, 1990.
- 4- Cripier (C.) & H. G. Winddowson: Sociolinguistics & Language Teaching.
- 5- Cuddon (J. A.): The Penguin Dictionary of Literary Terms and Literary Theory, 4th edition, Clays Ltd, England, 1998.
- 6- Fowler: (H. W): Fowler's Modern English Usage, Oxford University Press, 1982.
- 7- Frederick C. Mish & Others: Merriam Webster's Collegiate Dictionary, U. S. A. 10th edition 1997.
- 8- Good News Bible – Old Testament, the Bible Societies, U. K. .1971
- 9- Kane (Thomas S) & Leonard J. Peters: Writing Prose: Techniques and Purposes, Oxford University Press, 2nd edition, 1964.
- 10- Orwell (George): "As I Please," Daily Tribune & Partisan Review, .1947
- 11- Palmer (F. R.): Semantics Cambridge University Press, 2nd edition, 2004.

- 12- Potter (Simon): Our Language, Harmondsworth, Middlesex, Penguin Books LTD, England.
- 13- Radford (Andrew) & Others: Linguistics, Cambridge University Press, 5th edition, 2003.
- 14- Sampson (George): Wordsworth and Coleridge (1798 – 1805) The Lyrical Ballads, Methuen & Co LTD, London
- 15- Skeat (Walter W.): The concise Dictionary of English Etymology, Wordsworth Editions Ltd, 1993.
- 16-The Holy Qura-an, English translation of the meaning and commentary, King Fahd Holy Qura-an Printing Complex, Saudi Arabia, 1410 H - 1990 A.D. .
- 17-The Spine Series, Pupil's Book 4, El-Tarbia Printing Press, Khartoum, 1995.
- 18-The Spine Series, Pupil's Book 6, El-Tarbia Printing Press, Khartoum, 1995.

ثالثاً: الدوريات والإنترنت

- 1- مجلة لابل - فرانس، وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، المطبعة الوطنية، باريس، العدد 29، مارس 2003 م.
- 2- (المركز العالمي لأبحاث الإيمان - الخرطوم): مجلة أبحاث الإيمان، دار هاييل للطباعة والنشر والتغليف - بالخرطوم، العدد الثالث، 1417 هـ / 1996 م.
- 3- <http://ar.wikipedia.org>
- 4- www.google.com

مسرد المحتويات

4	* الآية
6	* إهداء
7	* كلمة شكر
8	* المقدمة
14	* الباب الأول: ارتباط اللغة بالتفكير
40	* الباب الثاني: بذور الإيمان بالله تعالى الكامنة في اللغات
57	* الباب الثالث: الدلالات الفكرية في اللغة العربية
113	* الباب الرابع: أثر الإسلام على اللغة العربية
144	* الباب الخامس: بلاغة اللغة الإنجليزية
	* الباب السادس: بعض جوانب القصور البلاغي
165	في اللغة الإنجليزية
183	* الباب السابع: وما القراءان الكريم بقول شاعر
	* الباب الثامن: دراسة تحليلية لبعض نصوص القراءان الكريم
209	في اللغتين: العربية والإنجليزية
272	* الخاتمة
292	* مسرد المراجع
304	* مسرد المحتويات

رقم الإيداع: 95 - 2008 م أبو ظبي.
رقم المطبوع: 18323 / 100122 / 1 أبو ظبي.
الطبعة الأولى 1429 هـ - 2008 م.

الكاتب فى سطور:



الإسم: عبد الرحمن محمد عبد الماجد (ود الكبيدة) .

الميلاد: طيبة الشيخ القرشى ود الزين (غرب الحصاصيصة) ١٩٥٢م .

النشأة: ود الخبير (شرق رفاعة / البطانة) .

التعليم: * بكالوريوس إدارة الأعمال - كلية الإقتصاد - جامعة الخرطوم ١٩٧٨م .

* دبلوم تدريس اللغة الإنجليزية معهد تدريب المعلمين - أمدرمان ١٩٨٢م .

الحياة العملية: * عمل معلماً بالمرحلة الابتدائية بجبال الإنقسنا (جنوب النيل الأزرق)

١٩٧٣م .

* عمل معلماً بالمرحلة الثانوية منذ ١٩٧٨م وحتى عام ٢٠٠٥م ثم تقاعد
إختيارياً عن الخدمة المدنية.

* يقوم حالياً بالإشراف على مسجد وخلوة الشيخ دفع الله الصائم ديمه
بالخرطوم - السلمة.

مؤلفاته: * رحيق اللارنج فى شرح البرزنجى .

* الإعلام عند الصوفية .

* النظم الفريد فى علم التوحيد .

* الدر المنظوم فى مدح الرسول ﷺ والقوم (ديوان شعر) .

* إيقاع على إيقاع (ديوان شعر) .

* إطلالة على أطلال (ديوان شعر) .

* وهذا الكتاب إعجاز القراء العزيز للغة الإنجليز .

تحقيقات وشروحات: * تحقيق وشرح ديوان الشيخ العركى الشيخ الريح (فيض الأنسية فى مدح خير البرية ﷺ) .

* تحقيق وشرح ديوان الشيخ دفع الله الصائم ديمه .

وتحت الطبع: * قطب الشريعة والحقيقة الشيخ دفع الله الصائم ديمه .

* منهل الخواص من سورة الإخلاص .